الشعر العباسي في تاريخ الطبري

في القرنين الثاني والثالث للهجرة

الشعر العباسي في تاريخ الطبري في القرنين الثاني والثالث للهجرة (دراسة)

زايد خالد مصطفى محمود مقابلة

الطبعة الأولى 2022

© حقوق الطبع محفوظة.

الآن ناشرون وموزعون

المدير العام: د. باسم الزعبي

الأردن، عمّان، شارع الملكة رانيا، بجانب صحيفة «الرأي»، مجمع المفلح التجاري (87)، ط1. هاتف: 797162720،

(+962) 65620722

alaan.publish@gmail.com

alaanpublishers.com

تصميم الغلاف: بسام حمدان

All rights reserved. No part of this book may be reproduced ،stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher .

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

ISBN:978-9923-13-402-3

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(2020 /7 /2370)

813.03

مقابلة، زايد

الشعر العباسي في تاريخ الطبري/ زايد خالد مقابله. عمان: الآن ناشرون وموزعون، 2020

(304) ص

ر. إ: 2370/ 7/ 2020

الواصفات: النقد الأدبي/ / التحليل الأدبي/ / الشعر العربي/ / العصر العباسي

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

طبع بدعم من وزارة الثقافة

2021

الآراء الواردة في الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن رأي الجهة الداعمة

د. زايد خالد مقابلة

الشعر العباسي في تاريخ الطبري

في القرنين الثاني والثالث للهجرة

دراسة موضوعية وفنية

وقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً

صدق الله العظيم

إهداء

إلى والدّي الكريمين، وإلى إخواني وأخواتي

إلى من وهبتني كلَّ حبِّها، وكانت لي عونا على كل شدّة، وشاطرتني كلّ ما سرَّني وأحزنني، وتحمّلتني في غضبي وخفّفت عنّي تعبي وأودعت السكينة في قلبي، زوجتي العزيزة ميسون الزعبي.

إلى أولادي سائدة وأسل وياسمين وأحمد خازر

إهداء محبة وتقدير وعرفان..

شكر وتقدير

إن هذا الكتاب خلاصة جهد وتعب وسهر، وإنني لمدين به لأستاذي الكبير الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة، الذي أتوجه إليه بالشكر والثناء والتقدير والعرفان على طيب خلقه، وأدبه، وإرشاداته وتوجيهاته التي أنارت لي السبل، وذلّلت لي المصاعب، ومهّدّت لي الطريق، كما أشكر له صبره عليّ طيلة سنوات الدراسة، وأشكره على مراجعته لفصول الكتاب، فقد فتح أمامي آفاقا واسعة للبحث والدراسة، وذلك سواء في جلساتي معه في مصر، أو مراسلاته أو مهاتفاته، فآمل من أستاذي المفضال قبول شكري وتقديري الخالصين، على عظيم ما قدَّمه لي.

كما أشكر كل من ذلّل لي صعوبة، أو قدّم لي مساعدة، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور يوسف خليف، والأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن لقبولهما الاشتراك في مناقشة هذا البحث، كما أشكر الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد، والأستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن أبو الهيجاء على عظيم ما قدماه لي.

وإن أنسَ لا أنسَ زوجتي الغالية ميسون الزعبي، التي وقفت إلى جانبي وشجعتني، وهيأت لي أسباب الراحة والهدوء مما مكنني من مواصلة دراستي، فلها مني كل الشكر والتقدير.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام علي سيّد المرسلين، سيّدنا محمد وآله الذين اصطفى وبعد،

فإنّه بمجرد حصولي على درجة الماجستير في الآداب سنة 1987م من كلية الآداب، جامعة اليرموك، بدأت الجهود لتسجيل موضوع لنيل درجة الدكتوراه. وحدث أَنْ التقيت بالأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب من جامعة عين شمس أثناء زيارته الأردن، وبحثت معه موضوع الدراسات العليا، فأشار عليّ بالمجيء إليه في عين شمس في أقرب فرصة ممكنة. ولقد ساعدني كثيرا في الحصول على قبول من قسم اللغة العربية في الجامعة، ولا أَنسى موقف الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة الذي قبل الإشراف عليّ في هذا البحث -رغم كثرة مشاغله وكثرة عدد الطلبة عنده- بفضل تقديمي له من الأستاذ الدكتور يوسف خليف. ولقد عرضت على أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة عدّة موضوعات، فاختار من بينها هذا الموضوع، وهو: «الشعر العباسي في تاريخ الطبري في القرنين الثاني والثالث للهجرة، دراسة موضوعية وفنية».

والطبري عالم وهب للعلم نفسه، ورحل في طلبه إلى كثير من الأمصار والبلدان، فذاع صيته واشتهر علمه بالتفسير، والقراءات والحديث، والفقه، والتاريخ، والنحو، وغير ذلك. وتاريخه الشهير يعد أوفى عمل تاريخي بين مصنفات العرب التي تقدمته، لذا فإنّه يستحق الدراسة والتمحيص، لا سيما الشعر الموجود فيه، ومنهجه في

الاستشهاد به، فتاريخ الطبري يحتوي على كم هائل من الشعر لشعراء كثر، توزّع فيه الشعر على مختلف الأغراض الشعرية، وواكب معظم الأحداث السياسية.

ولا أخال أَنّ دراسة بحثت هذا الشعر أو درسته -على حد علمي- فإذا ما رحنا نبحث عن دراسة مستقلة، أعيتنا السبل، وأضنانا الجهد، فقد ظلّ الشعر العباسي في تاريخ الطبري موضوعا لم يتطرق إليه الباحثون، مما دعاني إلى العناية به، والكشف عن أسراره وخباياه، كما أَنّ سيرة الطبري، ومنهجه في تاريخه لم يحظيا بالدراسة الوافية، فكل ذلك ما حدا بي إلى اختياره موضوعا لدراستي.

وتعتمد الدراسة على مصدر واحد أساس هو «تاريخ الطبري»، ثم تستعين بعدد من المصادر الأخرى القديمة من مثل: «الأغاني» لأبي فرج الأصبهاني، و«مروج الذهب» للمسعودي، و«ولاة مصر» للكندي، و«البيان والتبيين»، و«الحيوان» للجاحظ، و«عيون الأخبار» و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة، و«معجم الأدباء» لياقوت الحموي الرومي، و«الكامل في التاريخ»، و«اللّباب في تهذيب الأَنساب» لابن الأثير، و«الفهرست» لابن النديم، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان، و«الوافي بالوفيات» للصفدي، كما استعانت الدراسة بعدد من كتب التاريخ والسير والأنساب والطبقات والمعاجم، وبمجموعة كبيرة من دواوين الشعراء من مثل: أبي تمام، البحتري، مسلم بن الوليد، أبي العتاهية، إبراهيم بن العباس الصولي، أبي دلامة الأسدي، الحسين بن الضحاك، أبي الشيص الخزاعي، دعبل الخزاعي، منصور النَّمري، مروان بن أبي حفصة وغيرهم.

كما استعان البحث بعدد كبير من المراجع المثبتة في نهايته.

وجاءت هذه الدراسة مقسمة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

المقدمة: حددت فيها أسباب اختياري الموضوع، ودوافعه، وتعريف مقتضب بأهم المصادر والمراجع.

الفصل الأول: وبينت فيه مواكبة الشعر العباسي للأحداث (الثورة العباسية، الصراع بين العباسيين والأمويين، الصراع بين العباسيين والعلويين، الصراع بين العباسيين والموالي، الصراع بين العباسيين والخوارج، سياسة العباسيين، الزندقة، الفتن والثورات والحروب الداخلية، الصراع بين العباسيين والروم (الحروب الخارجية).

الفصل الثاني: وصدّرته بالحديث عن الرواية والرواة، ثم بحثت في مصادر الشعر العباسي في تاريخ الطبري، وقد قسّمتها إلى مصادر شفوية من الرواة، ومصادر مكتوبة. ومن أهم هذه المصادر كتب السير والمغازي، كتب التفسير، كتب الأَنساب، دواوين الشعراء، دواوين الحماسة، كتب اللغة والنحو والأدب والتراجم.

الفصل الثالث: وهو دراسة مقارنة في منهج الاستشهاد بالشعر عند الطبري في تاريخ الرُّسُل والملوك، وعند المسعودي في مروج الذهب ومعادن الجوهر، الكندي ولاة مصر. وبحثت فيه المنهج، ومواكبة الشعر للأحداث والأغراض الشعرية من حيث مواطن الاتفاق ومواطن الاختلاف وتميُّزِ كلٍّ منهما عن الآخر، وختمت الفصل بالحديث عن شخصية كل مؤرخ وآثرها على اختياره للشعر.

الفصل الرابع: وخصصته للدراسة الفنية، وقسّمته إلى قسمين: دراسة في الخيال والصورة، ودراسة في اللغة والأسلوب.

ففي الخيال والصورة درست الصورة والعناصر الخيالية، وقد اعتمد الخيال في الشعر العربي بعامة على عدد من الفنون البلاغية وفي مقدمتها الاستعارة والتشبيه بأقسامهما المختلفة.

وفي مجال اللغة وجدنا أَنّ الشعراء تنازعهم تياران: تيار قديم يُقلّد القدماء ويتَّبعُ سنتهم، وتيار جديد يمثل الحياة الجديدة ويؤمن بتطور اللغة، وهي لغة اعتمدت على تهذيب اللغة القديمة.

أما الأسلوب فقد سلك فيه الشعراء مسلكين، إذ سار قسم منهم على الأساليب القديمة، وقسم آخر كانوا يتخلصون من النسيج القديم، ومن هنا نشأ ما عرف بالأسلوب المولّد.

وقد أنهيت البحث بخاتمة لَخَّصت فيها البحث وتناولت فيها أهم النتائج التي توصّلت إليها.

ثم أتبعت ذلك بقائمة تضم أسماء المصادر والمراجع، مرتبة ترتيباً هجائيّاً، وقسّمتها إلى قسمين: الأول للمصادر، والثاني للمراجع، ثم أثبت محتوى الكتاب.

وبعد: فإنَّ الكمال لله وحده، وهذا مبلغ جهدي، وما من دارس يزعم أَنّه قد بلغ الغاية أَو زلف إليها، لكنّه يزعم أَنّه قَدْ رَامَها وأَعلم أَنّه لا يحيط المخلوق بالغاية، ولا يبلغ البشر النهاية، فإِنْ وقف أَحُد على شيء فاتنا فذلك جهدنا ولم نقصد إلى الإحاطة بكل شيء. وحسبي أني بذلت في هذا البحث ما استطعت من جهد، فله سبحانه وتعالى الفضل والمنّة، وبه أَستعين، ﴿**ربنا لا تؤاخدنا إِن نَسينا أَو أخطأنا، ربّنا**

ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحمّلنا مالا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾.

أَمّا أُستاذي المفضال، الأستاذ الدكتور مصطفة الشكعة، فله منّي خالص الشكر والتقدير والعرفان، لما قام به من توضيح الصورة الأولى لهذا الكتاب، وللعناية التي أَحاطني بها منذ أَنْ بدأت في جمع الجزازات إلى أَنْ خرج الكتاب على هذا النحو، ولِمَا قَامَ به من مراجعة ومناقشة لكل ما كتبت، فلولاه لما كان الكتاب على هذه الصورة، كما أَشكره على حسن معاملته، وحسن استقباله، وصبره عليّ، كما أشكر له عطفه الأَبوي، مما كان له أطيب الأثر في نفسي، فقد خفّف عنّي مشاق السّفر، والبعد عن الأهل، كما أَشكره على تقديمه لي مجموعة كبيرة من المصادر والمراجع التي أفدت منها كثيرا في ثنايا البحث، وأقول له كما قال الشاعر لعبد الله بن طاهر والي مصر:

يَقُــولُ أُنــاسٌ إِنّ مِصْــرَ بعيــدة وَمَا بَعُدَتْ مِصْرٌ وفِيْهَا ابنُ طاهِرِ

المؤلف

الفصل الأول

مواكبة الشعر العباسي للأحداث

لقد اعتنى النظام القبلي في شبه الجزيرة العربية برواية تاريخ القبيلة، وتاريخ القبائل التي ترتبط معا بحلف أو قرابة، واهتم كثيراً بحوادث الأيام، وما ورد فيها من مفاخرة ومدائح، ومثالب في الخصم.

وقد كان «الشعر هو المادة الأساسية في رواية الأيام، تتخلل كل راوية أبيات أو قصائد قد يكون لها مناسبة مع الحادث وربما لا يكون لها مناسبة، وقد يكون دخوله لأسباب ثانوية كأن يكون شرحا أو تقريرا لفرع من فروع الأصل، وقد يكون رغبة في توثيق الحدث أو الخبر، أو تشويقا إليه، وقد يكون كلفا بالشعر»[1].

ولقد كان وجود الشعر ضروريا في عرف رواة الأيام، وقد يكون وجوده هو السبب في بقاء الرواية برمتها. فإذا اندثرت الأشعار اندثرت الروايات القديمة باندثارها.

وإذا كان الشاعر لسان القبيلة المتحدث باسمها، المعبر عن حالات الانتصار التي تمر بها القبيلة، فإن شعره يتردد على الألسنة تغنيا بهذه الأمجاد والانتصارات، وعندما تُسرَد الأحداث والمعارك، يكون الشعر جزاء مهما من الحدث التاريخي الذي تفتخر به القبيلة في أيامها وغزواتها، ومن هنا كان لا بد من الشعر في كل ما أثر من أخبار وأحداث تاريخية.

وكنا نرى هذا النهج عند القدماء من العرب من مثل كتاب «التيجان في ملوك حمير» لعبيد بن شرية، و«نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب» للأصمعي، ورواة الأدب يروون مع التاريخ كثيرا من القصائد فيبينون المناسبات التي قيلت فيها، أو الأحداث المذكورة بها، والأشخاص المتصلين بها.

ومن هنا امتزج الأدب بالتاريخ، وصار من المألوف أن يكون المؤرخ راوية للأدب، وأن يكون راوية الأدب مؤرخا[2]، ومن أهم هؤلاء أبو عبيدة، والهيثم بن عدي، والأصمعي، وأبو سعيد السّكري، وأهمهم الطبري. وعلى الرغم من اتباعه لدرب مطروق سلكه قبله

(1) الطبري، السيرة والتاريخ، د. عبد الرحمن العزواي، ص219.

(2) الطبري، د. أحمد الحوفي، ص198-200.

آخرون، فإنَّه جهد في أن يدعم معطياته قبل كل شيء بالشواهد الشعرية دون كلف أو تشويق لهذا الموضوع أو ذاك.

وقد كان الطبري واسع الأطلاع على الشعر والأدب، وقد مكنته سعة اطلاعه من أن يُرصّع كتابه بمجموعة من القصائد البديعة، والمقطوعات البارعة، والخطب البليغة، والأقاويل الحكيمة، وهو لا يعرضها في إطناب وإسراف، وإنّما يذكرها في مناسباتها، وينزلها منازلها اللائقة فيضيء بها جوانب التاريخ، ويجلو غوامض الحوادث»[1].

والتاريخ لا يُكتَب بعيدا عن الأدب، والأدب لا يمكن أن يُدرَس بمعزل عن الفكر، وقد دلّت الأحداث على أن الشعر كان وثيقة من الوقائق المعتمدة في التدليل على سلامة الأحداث، ولم تكن عادة الاستشهاد به حالة طارئة انفردت بها كتب معينة، أو عُرف بها مؤلف أو اقتصرت على فن أدبي وحده، وإنّما كانت الكتب على اختلاف موضوعاتها وفنونها تضم شعرا كثيرا[2].

ومسألة الاستشهاد بالشعر في كتب السيرة والتاريخ وكتب البلدان والمعاجم لا تكاد يختلف عن كتب اللغة والأدب والنحو والبلاغة، وقد حفلت كتب السيرة والتاريخ والقصص بالأشعار الكثيرة، لأَنَّ أسبابها تستدعي هذه الكثرة، وموجباتها تلزم هذا الاستشهاد. والشعر دليل على صدق ما يروى من أخبار، وإن ايراده لا يعني اعتباره غاية تُقصَد لذاتها، وإنما يُذكَر ليكون مثلا أو شاهدا لتوضيح ما يراد توضيحه، أو تفسير ما يورد، أو دليلا يدعم ما يُذهَب إليه من آراء، وهي شواهد صادقة، وأمثلة سائرة[3].

وإضافة إلى تدليلهم الاستشهاد بالشعر على صحة ما يقولون، فقد يستشهدون بالشعر لما له من منزلة في نفوس الناس، ولأثره في تزيين الخبر، وربما أنّه لم يكن هدفا في حد ذاته،

(1) بعض مؤرخي الإسلام، علي أدهم، ص35-36.
(2) الشعر والتاريخ، نوري القيسي، ص17.
(3) المصدر نفسه، ص18-19.

بل كان وسيلة يقتطف منها المؤرخ والأديب ما يناسب مؤلفَه ليستشهد به، وقد كان لهذه العملية دور في تقطيع أوصال الشعر وتناثره.

لقد حفل العصر العباسي بالأحداث السياسية، سواء أكانت ثورات أم معارك مع الدولة البيزنطية. وقد كان لهذه الأحداث صدى في أدب ذاك العصر شعراً أَونثراً، وليست جميع الكتب التي اهتمت بذاك العصر صالحة للتعرف على العلاقة بين الشعر والأحداث، فمثلا كتاب «الأغاني» وهو من أوسع مصادر ذاك العصر، لا يمكن أن يطلعنا على مدى علاقة الشاعر العباسي بأحداث زمانه، فقد اهتم «الأغاني» بالمجالس الغنائية، ينظم لإطراب ممدوح أو لغناء مغنى... إلخ. أمّا المصادر التي تثير اهتمام الباحث وتطلعه على علاقة الشعر العباسي بالأحداث، فهي كتب التاريخ العام التي ترسم أحداث التاريخ في كثير من الأحيان، من خلال الصور الشعرية التي نقلتها متتبعة دقائقها ملقية الضوء على حياة الناس اليومية ومآسيهم ومواقفهم المختلفة من الأحداث، هذا بالرّغم من أن المؤرخ لا تعنيه الجوانب الفنية لهذا الشعر من حيث قيمته الفنية أو هوية قائله أو رأي النقاد فيه[1].

لقد حفلت هذه الفترة بأحداث ضخمة، كما عاصرها أكبر شعراء العصر ابتداء ببشّار بن برد وأبي نواس ومسلم بن الوليد، وانتهاء بأبي تمام والبحتري وابن الرّومي. لكن اهتمام الشعراء العباسيين بالأحداث المحيطة بهم يتفاوت تبعا لمدى الصلة بين الشاعر والحاضرة، ولمدى تتبعه للأحداث العامة.

وارتبط شعر هذا العصر بغاية التكسب، فكان من العوامل التي أضعفت رؤية الشاعر للأمور على حقيقتها. فقد ركّز الشاعر العباسي اهتمامه الأول على شخص الممدوح ونسي كل ما عداه. لذلك جرى أكثر الشعر العباسي الذي يعرض للأحداث السياسية على طريقة شعر مناسبات يتتبع فيه الشاعر أحداثا تتصل بشخصية ممدوحه، فيأتي الشعر خاليا

(1) الشعر في الحاضرة العباسية، د. وديعة نجم، ط1، شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، ص79.

من المشاركة الوجدانية، فإذا كان الشاعر يقصد إلى المديح فإن الحدث لا يرد ذكره إلا من أجل تبجيل الممدوح وتعظيم شأنه وشخصه -وكذلك في بقية الأغراض-، ولقد فعل ذلك أكثر شعراء المديح من مثل مروان بن أبي حفصة، ومنصور النّمري، ومسلم الخاسر، وغيرهم. ولعل أبا تمام كان أوّل شاعر استطاع أن يخرج على هذا النهج، وأن يعطي الحدث قيمة خاصة في شعره.

وقد كانت معظم الأحداث في تاريخ الطبري أحداثا سياسية، فهل كان الشعر في تاريخ الطبري للقرنين الثاني والثالث للهجرة مواكبا لهذه الأحداث؟

1. الثورة العباسية

تختلف الآراء حول الأسباب المباشرة وغير المباشرة التي أَدّت إلى انهيار الدولة الأمويّة ثم سقوطها في سنة 132هـ. وبعض هذه الأسباب يتّجه إلى تحلل الأسرة المروانية من داخلها ووقوع النزاع على السلطة بين أفرادها، ذلك النزاع الذي كان مرده إلى السياسة الخاطئة التي سار عليها الأمويون في توليتهم العهد اثنين يلي أحدهما الآخر[1]. وبعضها يرجع إلى ما يُقال عن انشغال خلفاء بني أمية بلذاتهم عن تفقد أمور الدولة، وإلى ظلمهم الرَّعيَّة، حتى أيأسوا الناس من إنصافهم، فتمنوا الراحة منهم[2]. وبعضها يرجع إلى الصراع القبلي بين اليمنية والنزارية، واضطراب النظام المالي للدولة، وظهور الطبقية بشكل حاد بين العرب وأهالي البلاد المفتوحة[3].

إضافة لما سبق، كان الشيعة عنصر مناوأة للأمويين في شرعية حكمهم وأحقيتهم في ولاية أمر الناس، ذلك أن تنازل الحسن بن علي عن حقّه في الخلافة واستشهاد الحسين في كربلاء، ومبايعة علي زين العابدين ليزيد بن معاوية ثم لعبد الملك بن مروان، ثم مبايعة محمد بن علي لعبد الملك نفسه، كل ذلك لم يكن معناه أَنَّ الشيعة ألقت سلاحها وتركت الأمر نهائيا لبني أميّة.

ولقد مثّلت الشيعة في حياة الدولتين الأموية والعباسية دور المعارضة السياسية، وطورت وسائلها وفقا لما كانت تقتضيه الظروف التاريخية.

---

(1) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د. حسن إبراهيم حسن، ج2، ص7.

(2) مروج الذهب للمسعودي، ج2، ص194.

(3) في الأدب العباسي، د. عز الدين إسماعيل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، سنة 1975، ص15.

وقد استطاع الأمويون أن يصمدوا للثورات الشيعية أو التي رفعت شعار التشيع، وأن يقضوا عليها. وكذلك الأمور بالنسبة لثورات الخوارج، لكن الثورة التي أجهزت عليهم كانت ثورة العباسيين، فقد تزعم الدعوة العباسية بعد محمد بن علي ابنه إبراهيم وصار هو الإمام. وهو الذي اختار أبا مسلم الخراساني للقيام بالدعوة في خراسان، واستقر إبراهيم في الحميمة، لكن مروان بن محمد الخليفة الاموي دُلَّ على إبراهيم بن محمد، واستقدم مروان إبراهيم إليه في الحرة، فأدرك أَنَّه مقدم على خطر، فبعث إلى أبي مسلم كتابا يطلب فيه منه الاستمرار بالدعوة حتى لو أَنَّه قتل، وواجه مروان إبراهيم الإمام بأقوال ابن عمه عبدالله بن حسن فيه فأنكر، لكن مروان أمر به فحبس، وقد توفي في السجن. ويقال إِنّ مروان دَسّ إليه إناء فيه لبن مسموم فمات به، وكانت وفاته في المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائة. وقد أكثر الشاعر إبراهيم بن علي بن هَرْمَة من رثاء الإمام إبراهيم، ومن ذلك قوله[1]:

قد كُنْتُ أَحسبُني جَلداً فضَعْضَعَني ... قَبْرٌ بِحَرّانَ فِيْهِ عِصْمَةُ الدِّينِ

فِيْهِ الإمَامُ وَخَيْرُ النَّاسِ كلَّهمُ ... بَيْنَ الصَفَائِحِ والأحَجْارَ والطِّيْنِ

فِيْهِ الإمامُ الذي عَمَّتْ مُصيبتُه ... وَعيَّلَتْ كُلّ ذي مَالٍ ومِسكينِ

فَلاَ عفَا اللهُ عَنْ مَرْوَانَ مظلمةً ... لَكِنْ عَفَا اللهُ عمّن قَالَ آمِيْنِ

فقد كان إبراهيم بن محمد في الحبس، وكان معه في الحبس عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز وشراحيل بن مسلمة بن عبدالملك فكانوا يتززاورون، وخصّ الذي بين إبراهيم وشراحيل فأتاه رسوله يوما بلبن فقال: يقول لك أخوك: إنّي شربت من هذا اللبن فاستطبته فأحببت أن تشرب منه، فتناوله فشرب فتوصّب من ساعته وتكّسر جسده، وكان يوما يأتي فيه شراحيل،

(1) تاريخ الطبري، ج2، ص437، سنة 132هـ.

فأبطأ عليه، فارسل إليه: جُعلت فداك! قد أبطأت فما حبسك؟ فأرسل إليه: إنّي لما شربت اللبن الذي أرسلته إليّ أخلفني، فأتاه شراحيل مذعورا وقال: لا والله الذي لا إله إلا هو، ما شربت اليوم لبنا، ولا أرسلت به إليك، فإنّا لله وإنا إليه راجعون! احتيل لك والله، فبات ليلته وأصبح ميتا، فقال ابن هرمة في رثائه هذا الشعر.

ولقد كانت خراسان بيئة صالحة اختارها العباسيون لثورتهم، ثم الانقضاض منها علي بني أمية، وقد كانت خراسان مركزا لصراع قبلي، فقد كان أسد بن عبدالله القسري يتولى أمر خراسان من قبل الأمويين وهو يمني، فكان يتعصب لقومه، لكن جاء بعد أسد هذا نصر بن سيار، وهو مضري من كنانة، وفي عهده برز الصراع واشتد بين الكتل الثلاث.

وحين استشرى أمر أبي مسلم الخراساني لم يجد نصر من ينصره، فاستصرخ والي العراق من قبل الأمويين ابن هبيرة ليمده بالجيوش والأمداد فوعده ثم أخلف، ولمّا لم يجد نصرا من والي العراق اتجه إلى الخليفة في الشام، وشكا له فعل ابن هبيرة، وصور له عظم أمر أبي مسلم وكثرة من معه، وإليه تنسب الأبيات التي تقول[1]:

أَرَى بَـيْنَ الرَّمـادِ وَمـيضَ جَمْـرٍ ... ويوشـك أن يكُـونَ لـه ضِـرامُ

فـإنَّ النَّـارَ بـالعودَيْن تُـذْكَى ... وإنَّ الحَـرْبَ مَبْـدؤها كـلامُ

فقُلـتُ مـن التَّعَجُّـبِ لَيْـتَ شِـعْري ... أَأَيقـاظٌ أُمَيَّـةُ أمْ نِيـامُ

فكتب إليه: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فاحسم الثؤلول قِبَلك، فقال نصر: أمّا صاحبكم فقد أعلمكم ألا نصر عنده. فكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة والي العراق

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص369، سنة 129هـ، مروج الذهب للمسعودي، ج3، ص255.

يستمده، وكتب إليه بأبيات شعر[1]:

أَبلِـغْ يَزِيـدَ وخَيْـرُ القَـوْلِ أَصـدَقُهُ ... وقـد تيَقَّنْـتُ ألاَّ خَيْـرَ في الكـذبِ
بـأَنَّ خْراسـانَ رضـى قـد رَأيْـتُ بهـا ... بَيْضَـا لوَ أفْرَخَ قـد حُـدِّثتَ بالعَجَـبِ
فِـرَاخُ عـامَيْنِ إلاّ أَنَّهـا كبِـرَتْ ... لمّـا يَطِـرْنَ وقـد سُـرْبِلْنَ بالزَّغَـبِ
فَـإنْ يَطِـرْنَ ولَـمْ يُحْتـلْ لَهُـنَّ بِهَـا ... يُلْهِـبْنَ نيـرانَ حَـرْب أَيَّمـا لَهَـبِ

فقال يزيد: لا غلبة إلا بكثرة، وليس عندي رجل. وإنّما أراد أن يوقع بين الخيلفة ونصر بن سيار، ويضعف نصر أيضا.

وظل نصر بن سيار يستصرخ الخليفة ويزيد بن هبيرة والي العراق ويوضح لهما الخطر القادم المتمثل بأبي مسلم ومن معه. لكن الأمر ورد إلى أبي مسلم من إبراهيم الإمام[2]- وهو إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس -بالتحرك نحو العراق فدخلت جيوش الهاشمية مدينة سرخس، ثم سقطت طوس وقتل فيها تصميم بن نصر بن سيار، فحزن عليه ورثاه بقوله[3]:

نَفَـى عنّـي العـزاءَ -وكنـتُ جَلْـدَا- ... نكـوبُ فجـائع الحـدث العظـيمِ
وَهَـمٌ أورثَ الأحشـاء وجـداً ... لإجـلاء الفـوارس عـن تميـمِ
وَمَصـرعه علـى قُضُـبِ الأعـادي ... يـذبُّ عـن الجماعـة والحـريمِ
وَفـاءً للخليفـة وابتـذالا ... لنفسـي مـن أخـي ثقـةٍ كـريمِ
فَـإن يـك دهرنـا أودى مـداهُ ... بفارسـنا المقاتـل في الصـميمِ
وَإن يشـمت بنكبتنـا عـدوٌّ ... فمـا أنـا بالضّـعيف ولا السـئومِ

(1) تـاريخ الطـبري، ج7، ص369-370، سـنة 129هـ، مـروج الـذهب للمسـعودي، ج3، ص257.

(2) المصدر نفسه، ج7، ص355، سنة 129هـ.

(3) أخبار الدولة العباسية، لمؤلف مجهول من القرن الثالث للهجرة، تحقيق عبدالعزيز الدوري وعبدالجبار المطلبي، دار الطليعة - بيروت، سنة 1971م، ص322.

بعد ذلك أخبر نصر الخليفة، فكتب الخليفة إلى ابن هبيرة كتابا يأمره فيه بتجهيز الجيوش لمساعدة نصر في حربه مع أبي مسلم.

وتوالى سقوط خراسان في أيدي أبي مسلم وجيشه، فسقطت نيسابور وجرجات وقومس وطبرستان والخوار والرّي، ومرض نصر مرضا شديدا توفي على أثره سنة 131هـ.

ثم توالى سقوط المدن أمام جيش أبي مسلم، فأشتد غيط مروان، فأرسل إلى والي العراق رسالة يطلب منه فيها أن يخرج بنفسه لملاقاة جيش أبي مسلم، فخرج إلى جلولاء وخندق فيها، لكن جيش الهاشمية اتّجه إلى الكوفة. أما مروان الخليفة فقد خرج من حرّان بقوة عظيمة حتى انتهى إلى الموصل.

ولما علم أبو العباس بأن مروان قد عسكر في الموصل جهزّ له جيشا بقيادة عمه عبدالله بن علي، فالتقى الجيشان على نهر الزاب الأكبر. ودارت بينهما معركة عنيفة انتهت بانتصار عبدالله بن علي، وفر مروان هاربا، وظل عبدالله يتعقبه في مدن الشام وفلسطين ومصر حتى لحقه وقتله في أحد الأديرة، وكان ذلك في أواخر شهر ذي الحجة من سنة 132هـ.

وفي هروب مروان، قال رجال من ولد سعيد بن العاص يعيره على هروبه من ساحة المعركة وترك الخلافة بقوله[1]:

لَـجَّ الفِـرارُ بمـروانٍ فقلـتُ لَـهُ ... عـاد الظلـومُ ظَليمـًا هَمُّـه الهَـربُ

أَيْـنَ الفـرارُ وتـركُ المُلْـكِ إذ ذهبـت ... عنـك الهُـوَينَى فـلا ديـنٌ ولا حَسـبُ

فَرَاشَـةُ الحِلـم فِزْعَـوْنُ العِقـابِ وإنْ ... تَطْلُـبْ نَـداهُ فكلـبٌ دونـه كَلِـبُ

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص434، سنة 132هـ.

وبانتصار العباسيين وهزيمة الأمويين سنة 132هـ، انتهت دولة بنى أمية وظهرت دولة بني العباس. وقد انتقم العباسيون من الأمويين شر انتقام، واستأصلوهم من الأرض استئصالا، فلم يفلت منهم إلا رضيع أو من هرب إلى الأندلس، ويقال إنَّ العباسيين نبشوا قبور الأمويين وحرّقوها.

2. الصراع بين العباسيين وبقايا الأمويين

لقد دأب شعراء الحزب العباسي الحاكم على تحريض الخلفاء العباسيين على بني أمية مما أدّى إلى استئصال شأنهم وتقليص نفوذهم على نحو ما كان من سديف الشاعر. فقد أنشد سديف أبا العباس وعنده رجال من بني أمية قوله[1]:

يـــابن عَـــمَّ النبـــيَّ أنْـــتَ ضـــياءٌ اســـتبنّا بِـــكَ اليقـــينَ الجَلِيَّـــا

فلما بلغ قوله:

جَـرَّد السـيفَ وارْفَـعَ الشَّـوْطَ حَتـى لا تَـــرَى فَـــوْقَ ظَهْرِهَـــا أمَوِيَّـــا
لاَ يَغُرَّنْـكَ مَـا تَـرَى مـن رِجَـالٍ إنَّ تَحْـــتَ الضُّـــلوعِ داءً دَوِيَّـــا
بَطُـنَ الـبُغْضَ في القَـدِيمِ فَأَضْـحَى ثاوِيـــا فِـــي قُلـــوبِهِم مَطْوِيَّـــا

قال: يا سديف: خلق الإنسان من عجل، ثم قال:

أَحْيـا الضـغائِنَ آبـاء لنـا سَـلَفُوا فَلَـــنْ تَبِيْـــدَ وَللآبَـــاءِ أَبْنَـــاءُ

ثم أمر بمن عنده منهم فقتلوا.

لقد استجمع سديف كل أسباب العنف اللفظي والثورة المعنوية العاتية في هذه الأبيات من القصيدة، حتى إن سليمان بن هشام أحسَّ بما قد يتلوها من مجزرة فقال لسديف: يا ابن الفاعلة ألا تسكت، فاشتد غضب أبي العباس لذلك، ونظر إلى رجاله وأشار عليهم بالضرب[2].

ولما توارى عبد الله بن علي بالبصرة عند سليمان بن علي عن المنصور أَشْرَقَ يوما ومعه بعض مواليه ومولى لسليمان بن علي، فنظر إلى رجل له جمال وكمال، ويجرُّ أثوابه من الخيلاء، فالتفت إلى مولى لسليمان بن علي، فقال: من هذا؟ قال له: فلان بن فلان

(1) الأغاني، 4/ 346، وطبقات الشعراء لابن المعتز، ص40.

(2) رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، د. مصطفى الشكعة، عالم الكتب، بيروت، 1979، ط3، ص403.

الأموي، فاستشاط غضبا وصَفَّقَ بيديه عجبا، وقال: إنّ طريقنا لنبك[1] بعد، يا فلان- لمولى له- انزل فأتني برأسه، وتمثل قول سديف[2].

عَـلاَمَ وَفِـيْمَ تَتْـرُكُ عبـدَ شـمسٍ لهـــا في كـــلِّ راعيـــةٍ ثُغـــاءُ!
فَمَـــا بـــالرَّمْسِ في حَـــرّانَ منهـــا ولـــو قُتِلَـــتْ بأَجْمِعَهـــا وفـــاءُ

وهذه الأبيات كان سديف قد حرضّ فيها بني العباس على الأمويين.

وقد أغرى سديف الشاعر العباسيين بقتل الأمويين، على نحو ما كان منه يوم أن دخل على مجلس أبي العباس السفاح بالحيرة وقد جلس بنو أمية حوله فأنشد يقول[3]:

أَصْـبَحَ المُلْـكُ ثَابِـتَ الأَسـاسِ بالبهاليـــل مِـــنْ بنـــي العَبَّـــاسِ
بالصُـــدُورِ المُقَـــدَّمِيْنَ قَـــدِيْمًا والـــرؤوس القَمَـــاقِمِ الـــرّوَاسِ
لا تُقـــيلَنَّ عَبْـــدَ شَـــمْسٍ عِثَـــارا واقْطَعَـــنْ كُـــلَّ رَقْلَـــةٍ وفِـــرَاسِ
أَنْزِلُوهـــا بِحَيْـــثُ أَنْزلَهـــا الله بِـــدارِ الهَـــوَانِ والإنْعَـــاسِ

فلما أكمل القصيدة، تغير لون أبي العباس وأخذته رعدة، فالتفت بعض ولد سليمان بن عبدالملك إلى رجل منهم وكان إلى جنبه فقال: قتلنا والله العبد ثم أقبل أبو العباس عليهم فقال: يا بني الفواعل، أرى قتلاكم من أهلي قد سلفوا وأنتم أحياء تتلذذون في الدنيا، فأمر بقتلهم.

«إن هذا الشعر ليس أكثر من إيقاظ للفتنة وتذكير بالثأر وإشارة لحمية جاهلية، وليس له من الشعر إلا نظمه، أما حقيقته فمقالة سياسية عصبية كريهة حركت في نفس السفاح روح القتل ونية الانتقام من أعيان بني أمية»[4].

(1) النبكة: أكمة محددة الرأس، وربما كانت حمراء، ولا تخلو من الحجارة.
(2) تاريخ الطبري، ج8، ص83، سنة 158هـ.
(3) الأغاني، 4/ 345.
(4) رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، ص403.

وكان سديف شديد الإلحاح والتحريض على بني أمية لاستئصال شأفة من بقي منهم حيّاً، على نحو ما جاء في قوله لأبي العباس السفاح يحضه على الاقتصاص منهم ويذكره بمن قتل بنو أمية من قومه[1]:

كَيْفَ بالعَفْو عَنْهُمُ وقديمًا ... قَتَلُوكُمْ وهَتَّكُوا الحُرُمَاتِ
أَيْنَ زَيْدٌ أو أَيْنَ يحيى بنُ زَيْدٍ ... يالَهَا مِنْ مُصيبَةٍ وتراتِ
والإمامُ الّذي أُصيبَ بحرّا ... نَ إمامُ الهُدَى ورأسُ الثَّقاتِ
قَتلَوا آلَ أحمدٍ لاعَفَا الذَّنْب ... لمروان غافِرُ السَّيئاتِ

وقد استطاعت السلطة العباسية بأساليبها المتعددة أنْ تحدث تحوّلا جوهريا في اتجاه بعض الشعراء وميولهم السياسية، على نحو ما كان من مروان بن أبي حفصة وأبي نخيلة والعماني وغيرهم، ممن غيروا اتجاهاتهم السياسية وانقلبوا من شديدي التعصب لبني أمية إلى شعراء شديدي التعصب لبني العباس. إلا أنّ بعضهم ظل على ولائه للأمويين. فقد كان حفص بن أبي جمعة الأموي الشاعر مداحا لبني أمية في أيام بني أميّة وأيام المنصور، فلم ينكر عليه ذلك المنصور، ولم يزل مع المهدي- إذ كان مؤدبا له -أيام ولايته العهد. ومات قبل أن يلي المهدي الخلافة. قال: وكان مما مدح به بني أمية قوله[2]:

أَيْنَ رَوْقَا عَبْد شَمْسٍ أَيْنَ هُمْ ... أَيْنَ أَهلُ البَاعِ مِنْهُمْ والحَسَبْ
لَمْ تُكنْ أَيْدٍ لَهُمْ عِنَدكُمُ ... مَا فَعَلْتُمْ آل عَبْدِ المُطّلِبْ
أَيُّها السَّائلُ عنهم إنهم ... جُثَث تلمعُ من فَوْق الخَشَبْ
إنْ جُذُّوا لأَصْلَ نهمْ فَهَا ... يَا لَقْومٍ للزمان المنقَلِبْ
إِنْ احلبُوا ما شئتُم في صَحْنِكُمْ ... فسَتُسقَون صَرىَ ذاك الحَلبْ

(1) الأغاني، 4/ 350.

(2) تاريخ الطبري، ج8، ص101، سنة 158هـ.

وكان حفص قد دخل على المنصور، فكلمه فاستخبره، فقال له: من أنت فقال: مولاك يا أمير المؤمنين، قال: مولى لي مثلك لا أعرفه، قال: مولى خادم لك عبد مناف يا أمير المؤمنين، فاستحسن ذلك منه، وعلم أنه مولى لبني أمية، فضمّه إلى المهدي، وقال له: احتفظ به.

وقد كانت مساهمة الشعر في خدمة الأمويين في العصر العباسي مساهمة محدودة، لأنّ الحزب الأموي لم يقم أساسا على أصول دينية أو سياسية محددة، ولقد استقطب الحزب الأموي عددا قليلا من الشعراء ارتبطوا به لأسباب شخصية لا مذهبية أو حزبية، ولكن سياسة البطش التي مارسها العباسيون أفرست أبواق الدعاية الأموية. في غضون هذا كله كانت تتردد في الأسماع صيحات تحثّ فلول الأمويين على التجمع من جديد لاستعادة الخلافة من العباسيين بعد أن صارت مقاليد الأمور والحكم بيد الموالي.

وسيمر بنا عدد كبير من النصوص في فصل الصراع بين العباسيين والعلويين يعبر فيها الشعراء عن ولائهم للعباسيين الذين هم خلفاء الله في أرضه، وأن الله هو الذي اختارهم للخلافة وليس الناس، وهم أحق من غيرهم بوراثة الخلافة من الرسول محمد ﷺ، كما أنّهم أيضا ليسوا أحق بالخلافة من الأمويين فقط بل ومن جميع الناس وخاصة من العلويين.

وانطلاقا من رغبة الخلفاء العباسيين بإذاعة هذه المبادئ بين الناس، كان تنويه أبي دلامة الأسدي بأنّ الخلافة التي يتربع عليها المنصور إنّما هي بقضاء الله على نحو ما نرى في قوله[1].

لا والـذي يـا أميـر المـؤمنين قَضَـى لــكَ الخلافــة في أســبابِها الرَّفَــعُ

فالخليفة العباسي يجمع بين الصفتين السياسية والدينية.

(1) ديوان أبي دلامة الأسدي، إعداد رشدي علي حسن، مؤسسة الرسالة، دار عمار، ط1، 1406هـ- 1985م، ص62- 63.

ولإشباع رغبة الخلفاء، يلح أبو دلامة على نعت خلفاء بني العباس بأنّهم الأئمة، مؤكدا رغبة الخليفة العباسي بسماع هذا اللقب على نحو ما نرى في قوله في المنصور[1]:

وكنّا نُرَّجِي من إمامٍ زيادةً فزادَ الإمامُ المصطفى في القلانِسِ

ترَاها عَلى هامِ الرَّجال كَأَنَّها دِنانُ يهودٍ جُلِّلَتْ بالبرَانِسِ

فبالرغم من الانتقاد الذكي الذي وجهه الشاعر لسياسة الدولة بعد أن انتقلت أنماط الحياة الفارسية الساسانية إلى قصور العباسيين، إلا أنّه يركز على أن الإمامة للخليفة العباسي.

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص43، سنة 153هـ، والديوان، ص60.

3. الصراع بين العباسيين والشيعة

بعد نجاح الثورة العباسية واستتباب الأمر لبني العباس، كان أَوّل شيء حرصوا عليه هو بيان شرعية حكمهم ونظريتهم في الحكم للشيعة العلويين، الصوت المناوئ لهم، ذلك الصوت الذي مثّل المعارضة في العهد الأموي، وهم بطبيعة الحال لم يحتاجوا إلى بيان ذلك للحزب الأموي لأَنَّهم أسكتوا هذا الصوت بحد السيف في معركة الزّاب الكبير سنة 132هـ.

أمّا الشيعة الإمامية فكان إمامها في ذلك الوقت جعفر الصادق (من فرع الحسين بن علي بن أبي طالب)، فحين انتقلت الخلافة إلى بني العباس أخلد إلى السكينة، ونصح أتباعه بالهدوء، إذ لم تكن الظروف مواتية للخروج على بني العباس.

لكن كان هناك في الوقت نفسه رجل آخر من البيت العلوي، من (فرع الحسن بن علي بن أبي طالب)، هو محمد بن عبدالله الذي كان يلقب بالنفس الزكيّة، وكان يرى نفسه حقيقا بالأمر دون بني العباس، لِما زعموه من أن بني هاشم انتخبوه للخلافة في أواخر عهد بني أمية، وكان ممن بايعه أبو جعفر المنصور.

وقد امتنع عن المبايعة لأبي العباس السفاح ولأبي جعفر المنصور من بعده.

وقد ضاق به المنصور فطلبه في المدينة، لكنه اختفى، فأمر بكل من كان بالمدينة من أبناء الحسن فحبسوا بها، ثم حملهم إلى العراق وأذاقهم صنوف العذاب، فلم يذعن محمد له، وقرر أن يظهر بالمدينة ويدعو الناس إليه، ويأخذ لنفسه البيعة منهم، وقد كانوا يقدرونه ويحترمونه، ويفضّلونه على المنصور، لكنهم تحرجوا في البداية وقالوا: إنّ للمنصور بيعة في أعناقنا، فأحلّهم الإمام مالك بن أنس منها، بفتوى أنّهم أعطوا البيعة مكرهين، وأَنّه لا يمين على مكره، وهكذا بايع أهل المدينة لمحمد بن عبدالله.

وعلم المنصور بخروج محمد بن عبدالله بالمدينة، فكتب إليه كتاب أمان له ولشيعته ولمن بايعوه إن هو رجع عن دعوته قبل أن يضطره إلى حربه، فأجابه محمد بن عبدالله

بكتاب يشرح فيه وجهة نظره، ويبين أحقيته بالخلافة، ورد المنصور عليه بخطاب ينقض فيه ماورد في كتاب محمد من حجج، ولقد أثبت المنصور شرعية حكم العباسيين بعدة نقاط هي:

1. أنّهم أبناء عم الرسول عليه السلام، وأنّ العم له التقدمة على أبناء البنت، ومن ثم فإنّ الإمامة إنّما تورث من جهة العم لا من جهة البنت.
2. أنّ محاولات العلويين لنيل الخلافة أخفقت وباءت بالفشل، ولم يستطع الطفر بالخلافة من الأمويين إلا بنو العباس، كما أنّ الناس لم يلتفوا حول العلويين في حين التفوا حول بني العباس، ورغبوا فيهم، وأنّهم أمهر من العلويين في باب سياسة الناس.
3. أنّ العباسيين انتقموا للعلويين من بني أمية وأخذوا بثأرهم، وأنّهم بذلك أصحاب الفضل.

وقد انتهى هذا الجدل إلى الحرب، فقد جهز المنصور جيشا بقيادة عيسى بن موسى دهم المدينة، وقتل محمدا وأرسل رأسه إلى المنصور سنة 145هـ. وظهر أخوه إبراهيم بن عبدالله في البصرة، لكنه لحق بأخيه في السنة نفسها.

وربما استطاع العباسيون بهذه الحجج أن يقنعوا عددا كبيرا من شيعة العلويين أنفسهم، وبخاصة من الموالي الفرس وأهل خراسان. وربما أخذ هؤلاء جانب العباسيين خوفا من بطشهم، فالعباسيون هم الجانب الأقوى، ولذلك مال هؤلاء معهم.

ولم يكن قضاء المنصور على الفرع الحسيني من العلويين في المدينة والبصرة قد أمن الحكم العباسي نهائيا من المعارضة العلوية كما سنرى.

وكان أبو جعفر المنصور قد حج في سنة أربعين ومائة، وأتاه عبدالله وحسن ابنا حسن، فتتكلّم المهدي فلحن، فقال عبدُ الله: يا أمير المؤمنين، ألا تأمر بهذا من يعدل لسانه، فإنّه يغفل غفل الأمة، فلم يفهم فغمزه العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، فلم ينتبه

له وعاد لأبي جعفر فاحتفظ من ذلك، وقال: أين ابنك؟ فقال: لا أدري، قال لتأتيني به، قال: لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه، قال يا ربيع قم به إلى الحبس... وكان عبدالله بن حسن قد تمثل قبل ذلك لأبي العباس[1].

أَلَمْ تَرَحَوْ شَبًا أَمْسَى يُبَنَّيْ بُيُوتًا نَقْعُهَا لِبَنِي بُقَيْلَهْ

لم تزل في نفس أبي جعفر عليه، فلما أمر بحبسه، قال: ألست القائل لأبي العباس، وذكر البيت، وهو آمن الناس عليك، وأحسنهم إليك صنيعا.

رُوي أن محمد بن عبدالله بن حسن قال: بينا أنا في رضوى مع أمة لي أم ولد، معها بُني لي ترضعه، إذا ابن سنوطي (مولى لأهل المدينة)، قد هجم عليّ في الجبل يطلبني، فخرجت هاربا، وهربت الجارية. فسقط الصبيّ منها فتقطع، فلما ظهر محمد أُتي بابن سنوطي فقال له: يا بن سنوطي، أتعرف حديث الصبي؟ قال: أي والله، إنّي لأعرفه، فأمر به فحبس، فلم يزل محبوسا حتى قتل محمد، ولما سقط ابن محمد ولقي محمد ما لقى قال[2]:

مُنخرقِ السرّبال يَشْكُو الوَجَى تَنْكبُهُ أطرافُ مرٍو حِدَاد
شَرَّدهُ الخَوْفُ فأَزْرَى بِهِ كَذَاكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الجِلادْ
قَدْ كَانَ فِي المَوْتِ لَهُ رَاحَةٌ والمَوْتُ حَتمٌ في رقابِ العبادْ

وفي ذكر خبر خروج محمد بن عبدالله بن حسن بالمدينة، حدثت كلثم بنت وهب، قالت: لما خرج محمد تنحّى أهل المدينة، فكان فيمن خرج زوجي عبد الوهاب بن يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير إلى البقيع، فاختبأتُ عند أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبدالله بن عباس، قالت: فكتب إلى عبدالوهاب بأبيات قالها فكتبت إليه[3]:

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص525، سنة 144هـ.
(2) المصدر نفسه، ج7، ص525، سنة 144هـ.
(3) تاريخ الطبري، ج7، ص559- 560، سنة 145هـ.

رَحِـــــــمَ الله شـــــــبابًا قَـــــاتَلُوا يـــــومَ الثنيَـــــهْ
قَـــــاتَلُوا عَنْـــــهُ بنيـــــا ت واَحْســـــاب نقيَـــــهْ
فـــــرَ عَنْـــــهُ النـــــاسُ طـــــرّا غيـــــرَ خَيْـــــلِ أســـــديَّهْ

قالت: فزادَ الناسُ:

قَتَـــــلَ الـــــرَّحْمَنُ عيســـــى قَاتِـــــلَ الـــــنّفسِ الزَّكِيَّـــــهْ

وكان ابن هرمة من شعراء الحزب العباسي وأنصاره فقد دافع عن حقهم في الخلافة، ودحض حجج العلويين، وجعل خلافة العباسيين من الله وليس من الناس، وأنّهم ورثة النبي عليه السلام، وأنّ أعداءهم ليسوا سوى حاسدين لهم على هذا الشرف، وحاقدين عليهم. قال ابن هرمة لما ظهر محمد بن عبدالله بن حسن بالمدينة لأبي جعفر المنصور[1]:

غَلبـتَ عَلـى الخَلافَـةِ مَـن تَمَنـى وَمَنـاهُ المضِـلُّ بِهـا الضَـلولُ
فَأهلَـكَ نَفسَـهُ سَـفَهًا وَجُبنـًا وَلَـم يُقسَـم لَـهُ مِنهـا فَتيـلُ
وَوازرَهُ ذَوُو طَمَـعٍ فَكـانوا غُثـاءَ السَـيلِ يَجمَعـهُ السـيولُ
دَعـوا إِبلـيسَ إِذ كـذَبوا وَجـاروا فَلَـم يصـرِخهُمُ المُغـوي الخَـذولُ
وَكـانوا أَهـلَ طاعتِـهِ فَـوَلّى وَسـارَ وَراءَهُ مـنهُم قَبيـلُ
وَهـم لَـم يُقصِـروا فيهـا بحَـقٍّ عَلـى أَثَـرِ المضِـلِّ وَلَـم يُطيلـوا
وَمـا النـاسُ اِحتبَـوكَ بِهـا وَلَكِـن حَبـاكَ بِـذلِكَ المَلِـكُ الجَليـلُ
تـراثُ مَحمـدٍ لَكـمُ وَكُنـتُم أُصـولَ الحَـقِّ إِذ نُفِـيَ الأُصـولُ

وبعد موت محمد بن عبدالله بن حسن رثاه عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بقوله[2]:

(1) المصدر نفسه، ج7، ص562، سنة 145هـ.

(2) تاريخ الطبري، ج7، ص602- 603، سنة 145هـ.

يَـا صـاحِبَّي دَعَـا الملامـةَ وَاعْلَمـا ... أَنْ لَسْـتُ في هـذا بـأَلْوَم مِنكمـا
وَقِفَـا بقبـر ابـن النبّـي فَسـلِّما ... لا بـأْسَ أنْ تَقِفَـا بِـه فَتسـلِّما
قَبْـرٌ تَضَـمَّنَ خَيْـرَ أَهْـلِ زَمانِـه ... حَسَـبا وَطيْـبَ سـجيّةٍ وتَكرُّمـا
رَجُـلٌ نفـى بالعَـدْلِ جَـوْرَ بِلادِنـا ... وعفـا عظيمـاتِ الأمـور وأَنْعَمـا

إلى أَنْ يقول:

وَاللهِ لـو شـهد النبـي محمـدٌ ... صـلّى الإلـه علـى النبّـي وسـلّما
إِشْـراعَ أُمِتِـه الأَسـنَّة لابْنِـهِ ... حتـى تقطَّـر مـن ظَبِـاتهمُ دَمـا
حَقـًا لأَيْقَـنَ أنّهـم قَـد ضَـيَّعوا ... تلـكَ القرابـةَ واسـتحلّوا المَحَرما

ولما قَتَلَ أبو جعفر المنصور محمدَ بن عبدالله بالمدينة وأخاه إبراهيم بياخمرى وخرج إبراهيم بن حسن بن حسن بمصر فَحُمِل إليه، كتب إلى بني علي بن أبي طالب بالمدينة كتابا يذكّرهم فيه إبراهيم بن الحسن بن الحسن وخروجه بمصر، وأنّه لم يفعل ذلك إلاّ عن رأيهم، وأنّهم يدأبون في طلب السلطان، ويلتمسون بذلك القطيعة والعقوق، وقد عجزوا عن عداوة بني أمية لمّا نازعوهم السلطان، وضعفوا عن طلب ثأرهم، حتى وثبت بنو أبيه غضبا لهم على بني أمية، فطلبوا بثأرهم، فأدركوا بدماءهم، وانتزعوا السلطان عن أيديهم، وتمثل في الكتاب بشعر سبيع بن ربيعه بن معاوية اليربوعي[1]:

فَلـولا دِفـاعي عـنكُمُ إذ عَجَـزْتُمُ ... وبـالله أَحْمـي عـنكُمُ وأدافِـعُ
لضَـاعَتْ أُمـورٌ مـنكُمُ لا أَرى لهـا ... كفـاةً ومـالا يَحْفَـظَ الله ضـائعُ
فَسَمُّوا لنا مَنْ طَحْطَحَ النّاسَ عنكُمُ ... ومن ذا الذي تُحْنى عليهِ الأصابعُ
ومَـا زَالَ مِنـا قـد علمْـتمْ علـيكُمُ ... علـى الـدَّهر إفْضَـالٌ يُـرَى ومنـافِعُ
ومَـا زَالَ مِـنْكُمْ أَهْـلُ غَـدْرٍ وجَفْـوَةٍ ... وبـالله مُغْتَـرٌّ وللـرَّحْمِ قَـاطِعُ

(1) المصدر نفسه، ج8، ص95، سنة 158هـ.

وكان أبو جعفر المنصور لما تتابعت عليه الأحداث يتمثل بقول الشاعر[1]:

تَفرّقَــتْ اِلظّبــاءُ عَلــى خِــداشٍ فَمَــا يَــدْرِي خِــدَاشٌ مَــا يَصــيدُ

ثم أمر باحضار القواد والموالي والصحابة وأهل بيته، ثم خرج في يوم من أيامه حتى علا المنبر، فَأَزمّ عليه طويلا لا ينطق، وافترع الخطبة، ثم قال[2]:

مَـالِي أُكَفْكِـفُ عَـنْ سَـعْدٍ وَتشْـتُمُنِى ولـوَ شَـتمت بَنـي سَـعْد لَقَـدْ سَـكَنوا

جَهْـلاً عَلـيَّ وجُبْنَـا عَـنْ عَـدُوّهمُ لَبِئِسَـتْ الخَلّتـان الَجْهـلُ والجُـبُنُ

ثم جلس وقال:

فَألَقَيْتُ عَنْ رأسي القِنَاعَ وَلَـمْ أَكـنْ لأَكْشِــفهُ إلاّ لإحــدىَ العَظَــائِمِ

والله لقد عجزوا عن أمر قمنا به، فما شكروا الكافي، ولقد مهدوا فاستوعروا وغمطوا الحق وغمصوا، فماذا حاولوا، أشرب رنقا على غصص، أم أقيم على ضيم ومضض! والله لا أكرم أحدا بإهانة نفسي، والله لئن لم يقبلوا الحقّ ليطلبنّه ثم لا يجدونه عندي: والسعيد مَنْ وُعظ بغيره.

ولما خرج العلويون في عهد الهادي بالمدينة بزعامة الحسين بن علي بن الحسن، والتفّ حوله الطالبيون الذين كانوا يلاقون من والي بني العباس كثيرا من الإعنات، وفي طريقه إلى مكة وعلى بعد أميال منها واجهه جيش العباسيين في ذلك الوادي الذي يسمى بِفخّ، فكانت معركة عنيفة قتل فيها الحسين وبعض أهل بيته، وتأتي هذه الموقعة بالشدّة بعد كربلاء، وقد كثر شعر الشيعة في رثاء قتلاهم ومن ذلك قول أحدهم[3]:

فَلأَبْكِــــيَنَّ عَلَــــى الحُسَــــيْنِ بِعَوْلَــــةٍ وعلــــى الحَسَــــنْ

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص92، سنة 158هـ، والأغاني، 12/ 229.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص92، سنة 158هـ، وهذا الشعر من قصيدة لقعنب ابن أم صاحب في مختارات ابن الشجري 6-8 وفيها: «مالي أكفكف عن وهب».

(3) المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص337.

وعَلَـــى ابـــنِ عَاتِكَـــةَ الَّـــذي ... أَثَـــوْهُ لـــيس لـــه كفـــنْ
تُرِكُـــوا بفـــخّ غُـــدْوة ... في غيـــر منزلـــة الـــوطنْ
كَـــانُوا كرامـــاً قتّلـــوا ... لا طائشـــين ولا جُـــبُنْ
غَســـلُوا المذلّـــةَ عـــنهم ... غســـل الثيـــاب مِـــنَ الـــدَرَنْ
هُـــدِيَ العبـــادُ بِجَـــدّهم ... فلَهُـــمْ علـــى الله المِـــنَنْ

وقد نجا من مذبحة «فخ» إدريس بن عبدالله بن الحسن وأخوه يحيى، أمّا إدريس فقد فر إلى مصر ومنها إلى المغرب الأقصى، وبعث له الرشيد بمن دسّ له السّم فمات، وجاء ابنه بعد موته فسمّاه أتباعه باسم أبيه وبايعوه بالخلافة، وأنشأ دولة الأدارسة في بلاد المغرب، أما أخوه يحيى فقد فر إلى بلاد الديلم، وأخذ لنفسه البيعة من أهلها، فوجه الرشيد له الفضل بن يحيى البرمكي بجيش عظيم، ولكن الفضل استطاع إقناع يحيى وعاد به إلى الرشيد فأكرمه ثم حبسه بوشاية بعض أعدائه، وقد أطلقه جعفر البرمكي من محبسه دون أمر الرشيد، فكان ذلك من الأسباب التي دفعت هارون الرشيد إلى نكبة البرامكة.

وفي مخرج يحيى بن عبدالله بالدّيلم قال أبو تمامة الخطيب[1] في محد الفضل بن يحيى البرمكي:

لِلْفَضْـــلِ يـــومُ الطّالَقَـــانِ وقبلـــهُ ... يـــومٌ أنـــاخَ بـــهِ علـــى خاقـــانِ
مَـــا مِثْـــلُ يَوْمَيـــهِ اللَّـــذيْن تَواليَـــا ... في غَـــزْوَتَيْن تَوَالتَـــا يَوْمَـــانِ
سَـــدَّ الشُّـــعوَر وردّ أُلْفَـــةَ هاشـــمٍ ... بَعْـــدَ الشَّـــتاتِ فَشْـــعبُها مُتَـــدَانِ
عَصَـــمَتْ حكوَمتُـــهُ جَماعَـــةَ هاشِـــمٍ ... مِـــنْ أَن يُجَـــرّد بَيْنَهـــا سَـــيْفَانِ

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص243- 244 سنة 176هـ.

تِلْـكَ الحْكُومـةُ لاَ التـي عَـنْ لَبْسـها عَظُـمَ النَّبّـا وتفـرَّقَ الحَكَمَـانِ

وكان مروان بن أبي حفصة شاعر العباسيين المقرب يكثر من مدحهم، وينال جوائزهم التي حسده عليها كثيرون، وقد مزج مدحه هذا في كثير من الأحيان ببلورة شعرية لحجج العباسيين في شرعية خلافتهم، وفي أحقيتهم بها دون العلويين ومن ذلك قوله في قصيدة يمدح بها هارون الرشيد ومطلعها[1]:

وسـدَّتْ بِهـارونَ الثغـورُ فأَحِكمَـتْ بـهِ مِـنْ أُمـورِ المُسْـلِمينَ المَرائـرُ

يقول:

علـى ثِقَـةٍ أَلقَـتْ إليْـكَ أمورَهـا قُـرَيْشٌ، كَمَـا أَلقَـى عَصـاهُ المَسـافِرُ
أَمـورٌ بِمِيْـرَاثِ النَبـيَّ ولَيتَهـا فأَنْـتَ لَهَـا بـالحَزْمِ طَـاوٍ وَنَاشِـرُ
إلـيكُمْ تَنَاهَـتْ فاسـتقَّرتْ وَإنَّمـا إلـى أَهلِـه صَـارَتْ بِهِـنَّ المَصـايرُ

إلى أَن يقول:

أَبـوكَ وَلـيُّ المُصْـطفَى دُوْنَ هَاشِـمٍ وَإنْ رَغَمَتْ مِـنْ حَاسِـدِيْكَ المَنَـاخِرُ

ويمضى مروان في مدح المهدي في قصائد أخرى عديدة لكن على نفس الدرب السياسي، محاولا أن يجعل من نفسه محاميا للخلافة العباسية مدافعا عن شرعيتها، فيقول[2]:

يَـا ابْـنَ الـذي وَرِثَ النبـيَّ مُحَمّـداً دونَ الأقـاربِ مـن بنـي الأَرْحـامِ
الـوَحْيُ بَـيْنَ بنـي البنـاتِ وبيـنكُم قَطَـعَ الخِصَـامَ فـلاتَ حِـينَ خِصَـامِ
مَـا للنسـاءِ مِـنَ الرَّجـالِ فريضـة نزلـت بـذلك سـورةُ الأَنْعَـامِ
أَنَّـى يكـون- ولـيسَ ذَاكَ بِكَـائِنٍ لبنـي البَنَـاتِ وراثَـةُ الأَعْمَـامِ

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص347 – 349هـ، وشعر مروان بن أبي حفصة، ص53 – 54.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص182، سنة 169هـ، والأغاني 13/ 43، شعر مروان، ص104.

ألغَـى سـهامَهم الكتـابُ فحـاولوا ... أن يشـــرعوا فيهـــا بِغيـــرِ سِـــهامِ
خَلُّـوا الطريـقَ لمعشـرٍ عـاداتهمْ ... حَطـمُ المناكـب كـل يـومِ زحـامِ
وارضَـوْا بمـا قسـم الإلـهُ لكُـمْ بـه ... ودَعـوا وِراثـةَ كـلِّ أَصْـيَدَ حـامِ

فالمهدي قد ورث الخلافة عن النبي ﷺ دون سائر أقاربه لأنّ جده العباس كان الوارث الوحيد له، فهو أحقّ بالخلافة من العلويين بني بنت رسول الله. ومن أجل ذلك مضى يؤول آيات سورة الأنعام، وهذه المعاني التي رددها في هذه الأبيات تذكرنا بما رُوِيَ عن منصور النّمري «أنه عرف مذهب الرشيد في الشعر وإرادته أنْ يصل مدحه إياه بنفي الإمامة عن ولد علي بن أبي طالب، والطعن عليهم، وعلم مغزاه في ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروان بن أبي حفصة وتفضيله إيّاه على الشعراء في الجوائز[1].

ويقال إنَّه كان أشد ما أزعج العلويين في هذا الشعر بيته الذي يقول فيه: أَنَّى يكون... وقد أثار حفيظتهم فردوا عليه شعرا كذلك، ويقال إنّهم تعقبوا مروان نفسه واغتالوه. وجاء ردّهم على لسان شاعرهم جعفر بن عفان الطائي ومن نفس البحر والقافية[2]:

لِـــمَ لا يكـــونُ وإنّ ذاكَ لَـــكائنٌ ... لبنـــي البنـــاتِ وراثـــةُ الأَعْمَـــامِ
لِلْبِنْـــتِ نِصْـــفٌ كامـــلٌ مِـــنْ مَالِـــهِ ... والعـــمُّ متـــروكٌ بِغَيْـــرِ سِهَـــامِ
مَـــا لِلْطَلِيْـــقِ وللتُـــراثِ وإنّمـــا ... صـلَّى الطليـقُ مَخَـافَةَ الصِّمْـصَامِ

حجة فقهية بحجة، أما الطليق الذي يتحدث عنه البيت الثالث فهو العباس ابن عبد المطلب. والبيت يردد ما كان يجري على ألسنة العلويين في التعريض بالعباس من جهة أَنَّه كان مع المشركين يوم بدر. ثم أُسر فافتدى نفسه، ومن ثم أُطلق عليه لفظ الطليق.

ويقول منصور النّمري مخاطبا الرّشيد[1]:

(1) الأغاني، 13/ 140.
(2) المصدر نفسه، 10/ 95.

يَـا ابْـنَ الأئمـةِ مـن بعـد النبـيّ ويـا ... ابـن الأوصـياءِ أَفـرَّ النـاسُ أَم دَفَعـوُا
لَـوْلاَ عَـدِيٌّ وتـيمٌ لـم تكـن وصَـلَتْ ... إلـــى أُميّـــة تَمْرِيهـــا وترتَضِـــعُ
إنَّ الخلافــة كانــت إرثَ والــدِكُم ... مـــن دون تَـــيْمٍ وعفـــو الله مُتّسِـــعُ
وَمَـــا لآل علـــي في إمـــارَتِكُم ... حـــقٌّ ومـــالهم في إرثكـــم طَمَـــعُ
يـا أيهـا النـاسُ لاتَعْـزُبْ عقـولُكُمُ ... ولا تُضِـفْكُمْ إلـى أكتافِهـا البِـدَعُ
العَـمُّ أَولى مِـن ابـنِ العـمَّ فاستمعوا ... قَـوْلَ التَّصِـيحِ فـإنَّ الحَـقَّ يُسْـتَمَعُ

واللهجة الخطابية واضحة في هذه الأبيات، وعلى هذا النحو مضى النّميري يمدح العباسيين ويصانعهم، فيصف الرشيد بأنّه ابن الأئمة وابن الأوصياء وبأن هذه أمور بديهية ومقررة ولا مجال لنقاشها، وبِأنَّ الخلافة ميراث ورثه والدهم العباس عن النبيّ ﷺ، وبِأنَّهم أحقُّ بهذا الميراث من بني أمية ومن آل علي لأنّ العمّ أَوْلّى بالميراث مِن ابن العم.

والخليفة جاء إلى الخلافة بطريق الشرع، وبأمر الله. قال علي ابن الجهم في مدح الواثق[2]:

أَسَـــــدٌ تَضْـــــحَكُ عَـــــنْ ... شِـــــدَّاتِهِ الحَـــــرْبُ العبـــــوسُ
يَـــابَني العَبَـــاس يَـــأْبَى اللّـــ ... ـــــــهُ إلا أَنْ تَسوُسُـــــــوا

وذكر عن عثمان بن سعيد الطائي، قال: كانت لي من الحسين بن علي ناحية خاصة، فلما رضي عنه محمد الأمين ورد إليه قيادته ومنزلته، عبرتُ إليه مع المهنئين، فوجدته واقفا بباب الجسر، فهنأته ودعوت له، ثم قلت له، ثم داعبته ومازحته، ثم أنشأت أقول[3]:

هُـــمُ قتَلـــوه حـــينَ تَـــمَّ تمامُـــه ... وصـــار مُعَـــزَّا بالنَّـــدَى والتَّمَجُّـــدِ
أَغَـــرُّ كـــأَنَّ البَـــدْرَ سُـــنَّةُ وجَهْـــهِ ... إذا جَـــاءَ يمشـــي في الحديـــدِ المُسّـــردِ

(1) شعر منصور النَّمري، ص103.
(2) تاريخ الطبري، ج9، ص152، سنة 232هـ.
(3) تاريخ الطبري، ج8، ص431، سنة 196هـ.

إذّا جَشَـأَتْ نَفْـسُ الجَبَـانِ وَهَلَّلَـتْ ... مَضَـى قُـدُما بالمَشْـرَفِي المُهنَّـدِ
حَلِيْمٌ لدَى النادِي جَهُولٌ لدَى الوغَى ... عَكـورٌ علـى الأعـدَاء قليـلُ التَّزَيُّـدِ
فَثَـأرَكَ أدْرِكْـهُ مِـنَ القَـومِ إنَّهـمْ ... رَمَـوْكَ علـى عَمْـدٍ بِشَـنْعَا مُزَنَّـد

فضحك، ثم قال: ما أحرصني على ذاك إن ساعدني عمر، وأيّدت بفتح ونصر، ثم وقف على باب الجسر، وهرب في نفر من خدمه ومواليه، فنادى محمد في الناس، فركبوا في طلبه، فأدركوه بمسجد كوثر، فلما بصر بالخيل نزل وقيد فرسه، وصلى ركعتين وتحرّم، ثم لقيهم فحمل عليهم حملات في محلها يهزمهم ويقتل فيهم. ثم إنَّ فرسه عثر به وسقط، وابتدره النّاس طعنًا وضربًا وأخذوا رأسه، وفي ذلك يقول على بن جبلة وقيل الخُرَيميّ[1].

أَلاَ قاتَـلَ الله الأُلَـىّ كفـروا بـهِ ... وفـازوا بـرأسِ الهَرْثَمـي حُسَـيْنِ
لَقَـدْ أَورَدُوا منـهُ قنـاةً صـليبةً ... بِشَـطبِ يَمـانيٍّ ورمـحِ رُدَيْنِـي
رَجَـا فِي خِـلافِ الحَـقَّ عـزًّا وإمْـرَةً ... فأَلبسـهُ التأمِيـلُ خُـفَّ حُنَـينِ

وقيل: إنّ محمداً لما صفح عن الحسين استوزرهُ ودفع إليه خاتمه.

وذكر عن مروان بن أبي الجنوب أبي السمط، أَنَّه قال: أنشدت أمير المؤمنين- المتوكل- فيه شعرا، وذكرت الرَّافضة فيه، فعقد لي على البحرين واليمامة، وخلع عليّ أربع خلع في دار العامة، وخلع عليّ المنتصر وأمر لي بثلاثة آلاف دينار، فنثرت على رأسي، وأمر ابنه المنتصر وسعدا إلا يتاخىّ يلقطانها لي، ولا أمسّ منها شيئا، فجمعاها، فانصرفت بها.

قال: والشعر الذي قال فيه[2].

(1) المصدر نفسه، ج8، ص431، ص196هـ.

(2) تاريخ الطبري، ج9، ص231، سنة 247هـ.

مُلـــكُ الخليفـــةِ جعفـــرٍ ... للـــدين والـــدنيا سَـــلاَمَهْ
لَكـــمُ تـــراث محمـــدٍ ... وبِعَـــدْ لِكُـــم تُنْفَـــى الظلامـــهْ
يَرْجُـــو التُّـــراثَ بنـــو البنـــا ... تِ وَمَـــا لَهُـــمْ فِيْهَـــا قُلاَمَـــهْ
والصَّـــهرُ لـــيس بـــوارثٍ ... والبِنْـــتُ لاتَـــرِثُ الإمامـــهْ
مَـــا لِلَّـــذينَ تَنَحَّلـــوا ... مِيـــرَاثَكُمْ إلا النَدامـــهْ
أَخَـــذ الوراثَـــةَ أهلُهـــا ... فَعـــلاَمَ لـــومُكمُ علاَمَـــهَ
لَـــوْ كَـــانَ حقُّكـــمُ لَمـــا ... قامـــتْ علـــى النـــاسِ القيامـــهْ
لَـــيْسَ التُّـــرَاثُ لِغَيـــركمْ ... لا والإلـــه ولا كَرَامَـــهْ
أَصْـــبَحْتُ بـــين مُحـــبِّكمْ ... والمُبْغِضِـــينَ لَكُـــمْ عَلامَـــهْ

ولما استُخلف المتوكل مدح مروان بن أبي الجنوب ابن أبي دواد بقصيدة وكان في آخرها بيتان ذكر فيهما أمر ابن الزيات، فلما صارت القصيدة إلى ابن أبي دواد ذكرها للمتوكل، وأَنشدهُ البيتين فأمره باحضاره فقال: هو باليمامة، كان الواثق نفاه لمودّته لأمير المؤمنين، قال: يُحْمَلْ، قال: عليه دين، قال: كم هو؟ قال: ستة آلاف دينار، قال: يُعطاها، فأعِطي وحُملَ من اليمامة، فصار إلى سامرّاء، وامتدح المتوكل بقصيدة يقول فيها[1]:

رَحَـلَ الشَـبابُ وَلَيتَـهُ لَـمْ يَرحَـلِ ... والشَـيبُ حَـلَّ ولَيْتَـهُ لَـمْ يَحْلُـلِ

فلما صار إلى هذين البيتين من القصيدة

كَانَـتْ خِلافَـةُ جَعْفَـرٍ كنُبـوَّةٍ ... جَـاءَتْ بِـلا طَلَـبٍ وَلاَ بِتَنَحُّـلِ
وَهـبَ الإلـهُ لَـهُ الخِلافـةَ مِثـلَ مَـا ... وَهَـبَ النُبـوَّةَ لِلْنَبِـيِّ المُرْسَـلِ

فأمر له بخمسين ألف درهم.

ومروان يردُّ على العلويين ما يزعمونه من وراثة الخلافة عن أمهم فاطمة الزهراء إذ العم مقدم على أبناء البنت في الوراثة بحسب حكم الشريعة الإسلامية، والبنت لا ترث الولاية

(1) المصدر نفسه، ج9، ص232، سنة 247هـ، وانظر ج9، ص152، سنة 232هـ.

على المسلمين ولا الإمامة، فكيف يحق لأبناء السيدة فاطمة وأحفادها أن يدَّعوا وراثتها عنها. ويقول الرواة إنّ المتوكل فرح بالقصيدة فرحا ما بعده فرح، فكافأهُ على هذا الشعر بأن قلّده اليمامة والبحرين وخلع عليه اربع خلع.

وعندما ظهر يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالكوفة، وقتل فيها، ذكر عن بعض الطاهريين أنه حضر مجلس محمد بن عبدالله بن طاهر وهو يهنا بمقتل يحيى بن عمرو بالفتح وجماعة من الهاشميين والطالبيين وغيرهم حضور، فدخل داود بن القائم أبو هاشم الجعفري في من دخل، فسمعهم يهنئونه، فقال: أَيُّها الأمير، إنّك لتهنّا بقتل رجل لو كان رسول الله ﷺ حيّا لَعُزّيَ به! فما ردَّ عليه محمد بن عبدالله شيئا فخرج أبو هاشم الجعفري، وهو يقول[1]:

يَا بَنِي طَاهِرٍ كُلُوهُ وَبِيًّا ... إنّ لَحْمَ النبيَّ غَيرُ مريِّ

إِنَّ وِتراً يكونُ طالِبه الله ... لَوِتْرٌ نجاحُهُ بالحَرِيِّ

وهكذا مضى الشعر في خدمة الحزب العباسي الحاكم فرأينا أعدادا كثيرة من الشعراء تنتجعه وتنقطع له، وتناضل عن آرائه ونظرياته السياسية وترد على خصومه السياسيين من علويين وأمويين وفرس.

وقد أوجد التشيع عددا من الشعراء آمنوا بعدالة القضية العلوية ونوهوا بأحقيتهم في الخلافة، ووقفوا جهودهم وأعمارهم لخدمة هذه المبادئ. وأبرز هؤلاء جميعا دعبل الخزاعي الذي كان صريحا في تشيعه مخلصا للعلويين، إلا أَنَّ الطبري لم يورد له شعرا في هذا الموضوع.

ويعد هذا ماورد من شعر للصراع بين العباسيين والعلويين في تاريخ الطبري أضفت إليه قصيدتين لمروان بن أبي حفصة وقصيدة للنّميري لتكمل صورة الصراع. إلا أَنّنا نجد شعرا كثيرا يمثل الصراع بين العباسيين والعلويين متناثرا في كتب الأدب والمجموعات الشعرية

(1) تاريخ الطبري، ج9، ص270، سنة 250هـ.

ودواوين الشعراء ككتب الأغاني وطبقات الشعراء وديوان دعبل الخزاعي، وشعر أبي نخيلة والسيد الحميري وإبّأن اللاّحقي وبشّار بن برد، وأبي دلامة والعماني والحسين بن مطير وابن المعتز وإبراهيم بن المهاجر البجلي وغيرهم.

4. الصراع بين العباسيين والموالي

تكونت طبقة الموالي منذ صدر الإسلام وفي خلال حكم بني أمية من أولئك الذين كانوا يؤخذون أسرى من خلال الفتوح، وكانوا بمثابة أرقّاء. وكان الولاة يبعثون منهم المئات بل الألوف إلى الخليفة كهدايا أو بدلا من الخراج، والخليفة يفرق ذلك في حاشيته وبين قواده، وهؤلاء يفرقونه أو يبيعونه، فينقل إلى الناس على اختلاف طبقاتهم، ولما كان هؤلاء الموالي قد جلبوا في الأصل من مواطنهم فقد كان منهم الفارسي والخراساني والديلمي والتركي والسندي والرومي والبربري.

ولقد انتصر العباسيون على الأمويين في معركة الزاب الفاصلة في سنة 132هـ. وبعد نجاح الانقلاب العباسي اشرأبت أعناق الموالي، وأحسّوا أَنَّ الدولة الجديدة قامت على سواعدهم القوية، مما حدا بكثير من القدامى والمحدثين على القول إنَّ انتصار العباسيين على الأمويين كان معناه انتصار الفرس على العرب، وساعد هؤلاء الموالي أيضا اعتراف أولى الأمر من بني العباس بفضلهم، واعتراف بني العباس بفضلهم لا يعني مطلقا القبول بما أظهروه من الاستئثار بالسلطة والمنافسة لهم في ميادين السياسة والحكم، وما تناقلته ألسنتهم من السخرية بالعرب، وما أبدوه من ازدراء للشعر العربي والتقاليد العربية حتى غدا لفظ عربي عندهم يدل على أحقر المعاني.

لقد صار الموالي الفرس رجال الدولة الجديدة، واتسع المجال لهم في تسيير دفّة الحكم بعد المنصور، حتى إن المهدي كان إذا جمع خاصته لمشاورتهم كان يُعطي الموالي الكلمة الأولى، ثم استفحل أمرهم في عهد هارون الرشيد حتى كان جعفر بن يحيى البرمكي وزيره قادرا على التصرف باسم الرشيد دون استشارته، حتى فيما يعلم أَنَّه مضاد لرغبته.

وعندما استشعر خلفاء بني العباس هذه الأحقاد التي أظهرها الموالي في عدة مجالات بدأوا ينكلون بهم، فبدأ المنصور بأبي مسلم الخراساني صاحب الدولة، وله يقول المنصور[1].

زَعَمْتَ أَنَّ الدّين لايُقْتَضَى فاسْتَوفِ بالكَيْلِ أَبا مُجْرِمِ
سُقِيْتَ كأْسًا كنتَ تَسقي بِها أَمَرَّ في الحَلْقِ مِنَ العَلْقَمِ

وكان السبب في قتل المنصور لأبي مسلم أن كتب إلى أبي العباس السفاح ينهاه عن الموات، ولتقدمه لأبي جعفر المنصور في طريق الحج، ولقوله حين أتاه الخبر بموت أبي العباس السفاح- وهو عائد من الحج- لمن أشار عليه أن يرجع إلى المنصور، نقدم فنرى من رأينا، ولأَنَّه أراد أخذ جارية عبدالله بن علي، ولمراغمته وخروجه إلى خراسان.

وكان أبو جعفر المنصور قد أضمر قتل أبي مسلم زمن أبي العباس السفاح حين قال: «والله ليس لنا ملك مع حياة أبي مسلم»، وعندما تولى أبو جعفر الخلافة كان من أهم الأمور عنده قتل أبي مسلم، وبعد مكاتبات بينهم أقنع أبو جعفر المنصور ورسله أبا مسلم بالعودة إلى بغداد، وهناك اختار المنصور أربعة من حرسه فقتلوه.

ومع ذلك فإن الخلفاء العباسيين لم يجدوا حرجا في تولية الموالي أرقى المناصب في الدولة، فمنذ البداية اتخذوا أبا سلمة الخلال وزيرا لهم، ولكن أبا العباس السفاح قتله لأَنَّه كان يظهر الدعاء إلى وَلَد العباس ويضمره لغيرهم، ولأَنَّه امتنع عن مائة درهم أَجْراً لصاحب الإبل التي ركبها العباس وأهله، وفيه يقول سليمان بن المهاجر البجليّ[2]:

إنّ الوزيرَ وزيرَ آلِ محمدٍ أَودَى فَمَنْ يَشْنَاكَ كان وَزيرا

وكان يقال لأبي سلمة (حفص بن سليمان) وزير آل محمد، ولأبي مسلم: أمين آل محمد.

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص491، سنة 137هـ.
(2) تاريخ الطبري، ج7، ص450، سنة 132هـ، مروج الذهب للمسعودي، ج3، ص285.

ويزغ نجم خالد بن برمك في عهد المنصور، فقرَّبَه وعهد إليه محاربة الأكراد الذين كانوا قد مدّوا نفوذهم إلى فارس، وكان بمنزلة الوزير. ثم صار ابنه يحيى من بعده وزيرا، وصار جعفر بن يحيى من بعده وزيرا.

وحين تجمعت لدى هارون الرشيد عن طريق عيونه وجواسيه الأسباب التي جعلته يفتك بالبرامكة قام بقتل جعفر البرمكي، ووضع بقية البرامكة في السجون وصودرت أموالُهم. ولكن الموالي تعاقدوا على الأخذ بثأر أبي مسلم والبرامكة، وتربصوا يترقبون الوقت المناسب والثغرة التي ينفذون منها، فكانت الحرب بين الأمين والمأمون، بين الأمين معه العرب، والمأمون معه الفرس. وسنفصّل ذلك عند الحديث عن الفتن والثورات والحروب الداخلية.

وفي عهد المهدي تقلد يعقوب بن داؤد الوزارة حيث استأثر بالمنصب استئثار عظيما حيث قال بشار يهجو المهدي ويستحث بقايا بني أمية على التجمع واستعادة الخلافة[1].

بَنـي أُمَيَّـةَ هُبُّـوا طـالَ نَـوْمُكُمُ إنَّ الخَلِيفَـةَ يعقـوبُ بـن داودِ
ضَـاعَتْ خِلافَـتُكُمْ يـاقَوْمِ فَـاطَّلبِوُا خَلِيفَـةَ اللهِ بَـيْنَ الـدُّفّ والعُـودِ

وكانت يعقوب بن داؤد عندما فوض إليه المهدي أمر الخلافة، أرسل إلى الزيدية، فأتى بهم من كل أوب، وولاهم أمور الخلافة في المشرق والمغرب كل جليل وعمل نفيس، والدنيا كلها في يديه، فحسده موالي المهدي فسعوا عليه.

وفي عهد المأمون اتخذ الفضل بن سهل وزيرا ولُقّب «ذا الرياستين» لجمعه بين السيف والقلم[2] ولكن المأمون نكّل به أيضا.

وهكذا علا شأن الموالي في الدولة العباسية علوا كبيرا مما أثار سخط العرب حكاما ومحكومين، وقد عبروا عن سخطهم بتلك الثورة التي قادها نصر بن سيار سنة 198هـ.

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص156، سنة 166هـ، والديوان، ج3، ص91، وج4، ص45.
(2) الفخري في الآداب السلطانية، ص196.

فكانت هذه الثورة تعبيرا صادقا عن الرغبة في وضع حد لاستبداد الموالي بالسلطة دون العباسيين.

وقد مر بنا في فصل الحياة السياسية أثناء الحديث عن سيطرة الفرس والترك وتدهور الخلافة، كيف كان الموالي يعذبون الخليفة أويقتلونه ويولّون غيره، فكان أُلعوبة بين أيديهم.

ويبدو أنّ الشعراء الموالي قد استشعروا الأمن في ظلال اتساع نفوذ الموالي في ميادين السياسة والحكم، فمضوا يفخرون بأصولهم الفارسية مفاخرة تستمد من حضارتهم وما كان العرب فيه من بداوة وحياة خشنة غليظة.

وكانت أهم مطاعنهم التي وجهوها إلى العرب أنّهم كانوا بدوا رعاة أغنام وإبل، ولم يكن لهم ملك ولا حضارة ولا مدنية ولا معرفة بالعلوم، فأين هم من ملوك الأكاسرة والقياصرة والحضارة الفارسية والرومية؟ وأين هم من علوم الهند والفرس والكلدان واليونان والرومان؟.. وقد مضوا يزرون بخطابتهم واعتمادهم على العصي، كما أزروا على أسلحتهم الساذجة وأطعمتهم الخشنة، وأخذوا يتتبعون مثالبهم ويحصونها عليهم لاستعمالها في شعرهم ونثرهم[1].

ولقد كان أسلوب الشعوبيين في النيل من العرب يعتمد حينا على مبررات يلتمسونها تأخذ شكل الدفاع عن النفس مثل بشار والخُريميّ، وحينا آخر كان الشعوبي ينطلق من عقدة كراهيته للعرب فيهجوهم متطوعا دون أن يحفل باختلاف سبب لهجائه مثلما فعل علي بن الخليل وأبو نواس[2].

(1) البيان والتبيين 3/ 5- 14.

(2) الشعر والشعراء، د. مصطفى الشكعة، ص174.

وعندما استشعر الشعراء الموالي الأمن في ظلال اتساع نفوذهم في ميادين السياسة والحكم، مضوا يفخرون بأصولهم الفارسية على نحو ما كان بشار بن برد، الذي دأب على الفخر بأصله الخراساني الفارسي.

وقد أمعنت النظر في الشعر العباسي الموجود في تاريخ الطبري فلم أجد قصيدة من القصائد التي قالها بشار بن برد أو أبو نواس في هذا الموضوع. فربما عاد هذا إلى الطبري المؤرخ الذي لم يرد أثبات أي نص من هذه النصوص الشعرية رغم كثرتها، وكثرة عدد الشعراء الذين شاركوا فيها. وذلك لعدم إظهار طعن الشعراء للعرب وهجائهم، لأنّ الطبري لا يريد ذلك، أو لأنّ الطبري بطبيعته لا يحب الهجاء المقذع بالرغم من أنّه أورد شعرا كثيرا في الهجاء، ولكنه قيل في أشخاص وليس في شعوب، أو لأنّه لا يريد إذكاء نار الفتنة بين المسلمين.

وبالرّغم من اشتعال نار الشعوبية إلاّ أنّنا نجد بعض الموالي يدّعون النسب إلى العرب، ففي ذكر خبر رد نسب آل بكرة وآل زياد إلى نسبهم الصحيح. روى الطبري أنّ المهدي ردّ آل زياد من نسبهم في ثقيف إلى ولاء رسول الله ﷺ. ورد آل زياد من نسبهم الذي الحقهم به معاوية إلى نسبهم من عبيد في موالي ثقيف. ثم إنّ آل زياد بعد ذلك رشوا صاحب الديوان حتى ردّهم إلى ما كانوا عليه، فقال خالد النجار في ذلك[1]:

إنَّ زيـــاداً وَنَافِعَـــاً وأَبـــا ... بَكْـرَةَ عِنـدي مِـنْ أَعْجَـبِ الْعَجَـبِ

ذَا قُرَشٌـــي كَمَـــا يَقُـــولُ وَذَا ... مَـــوْلًى، وَهَـــذَا بِزَعْمِـــهِ عَرَبِـــي

(1) تاريخ الطبري، ص8، ص130، سنة 160هـ.

5. الصراع بين العباسيين والخوارج

لقد حارب الخوارج السلطة العباسية منذ خلافة أبي العباس السفّاح حتى خلافة المأمون، ولقد استطاع العباسيون القضاء على ثورات الخوارج. ومن أهم الملاحظات على الأدب العباسي عدم إبراز ثورات الخوارج، فلم نجد لهم في هذه الفترة شاعرا بارزا، كما لم نجد من شعرهم إلا النزر اليسير مما يتصل بالأحداث التاريخية أو مما يتصل بعقيدتهم ومبادئهم وأفكارهم، وربما كان ألمع أدبهم في العهد العباسي ما قيل في حادثة الوليد بن طريق الشّاري الذي حاربه يزيد ابن مزيد الشيباني في نواحي نصيبين وقد ذكر مسلم بن الوليد هذه الحادثة في شعره، فنظم في ذلك قصيدته اللامية التي مطلعها[1]:

أَجْرِرْتُ حَبْلَ خَلِيعٍ فِي الصَّبا غَزِلِ وشَمَّرتْ هِمَمُ العُدَّالِ فِي عَذْلي

وهي قصيدة طويلة يصف فيها حروب يزيد بن مزيد ويصور فروسيته وصنيعه بالاعداء، ويقول:

لَوْلاَ يَزِيْدُ لأَضْحَى المُلْكُ مطَّرَحًا أو مائِلَ السَّمْك أو مُسْتَرْخِيَ الطَّوَلِ
يَغْشَى الوَغَى وشِهَابُ الموتِ في يَدِهِ يَرْمِي الفَوَارِسَ والأبطَالَ بالشُّعَلِ

ثم يصل إلى الحديث عن الخوارج فيذكر يوسف البرم والوليد بن طريف الشاري بقوله:

وَيُوسفُ البَرمُ قد صَبَّحْتُ عَسْكَرَهُ بِعَسْكَرٍ يَلْفِظُ الأقدارَ ذي زَجَلِ
وَالمَارِقُ ابنُ طريفٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهُ بِعَسْكَرٍ للمنايا مُسْبِلٍ هَطِلِ

وكان يوسف البرم قد خرج على طاعة الخليفة المهدي سنة ستين ومائة، فتوجه إليه يزيد بن مزيد فلقيه، واقتتلا حتى صارا إلى المعانقة فأسره يزيد، وبعث به إلى المهدي،

(1) الأغاني 12/ 96 وما بعدها، وديوان مسلم بن الوليد، تحقيق سامي الدهان، دار المعارف، ط3، ص1- 23.

وبعث معه من وجوه أصحابه بعدّة، فلما انتهى بهم إلى النهروان، حُمل يوسف البرم على بعير وقد حوّل وجهه إلى ذنب البعير، وأصحابه على بعير، فأدخلوهم الرصافة على تلك الحال، فأدخلوه على المهدي، فأمر هرثمة بن أعين -أحد قادة المهدي- فقطع يَدي يوسف ورجليه، وضرب عنقه وعنق أصحابه، وصلبهم على جسر دجلة الأعلى، مما يلي عسكر المهدي، وإنّما أمر هرثمة بقتله، لأنَّه قتل أخاً لهرثمة بخراسان[1].

وفي سنة تسع وسبعين ومائة رجع الوليد بن طريف الشاري إلى الجزيرة واشتدت شوكته، وكثر تبعه، فوجّه الرّشيد إليه يزيد بن مزيد الشيباني، فراوغه يزيد، ثم لقيه وهو مغترٌّ، فقتله وجماعة كانوا معه، وتفرّق الباقون، فقال الشاعر[2]:

وَائِلٌ بَعْضُها يَقْتُلُ بَعْضَا لاَيَفُلَّ الحَدِيْدَ إلاّ الحَدِيْدُ

وكان الوليد بن طريف ويزيد بن مزيد الشيباني من قبيلة وائل.

روى الأصفهاني أن الوليد بن طريف خرج إلى جند يزيد بن مزيد الشيباني وهو يقول[3]:

أَنَا الوليدُ بنُ طَريفِ الشَّاري
قَسْوَرَةٌ لايُصْطَلَى بِنَارِي
جَوْرُكُمُ أَخْرَجَنِي مِنْ دَارِي

وعندما قُتل الوليد بن طريف تولت أخته ليلى القيادة وجعلت تحمل على جيش يزيد بن مزيد، ولكن ابن مزيد ضرب برمحه قطاةٌ فرسها وقال لها: أغربي غرب الله عليك قد

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص124، سنة 160هـ.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص261، سنة 179هـ.

(3) الأغاني 12/ 95، ووفيات الأعيان 6/ 32.

فضحت العشيرة، فاستحيت وانصرفت وهي تقول[1]:

بتــلِّ نُهــاكي رَسْــمُ قَبْــرٍ كأَنَّــه ... علــى جَبَــلٍ فَــوْقَ الجِبَــالِ مُنيــفِ
تضــمّن مجــداً عــدْ مُلكــًا وسـؤدداً ... وهمــةَ مقــدامٍ ورأسَ حصــيف
فيــا شــجر الخــابورِ مالــكَ مورقــا ... كأنك لــم تحزنْ على ابـن طريـف
فتــى لا يحــب الــزادَ إلا مــن التقــى ... ولا المــالَ إلا مــن قنــًا وســيوف

وقيل إنّ أُخت الوليد اسمها القارعة وقيل فاطمة، تجيد الشعر وتسلك سبيل الخنساء في مراثيها لأخيها صخر[2].

ولها فيه مراثٍ كثيرة، فمن ذلك قولها فيه أيضا[3]:

ذَكّــرْتُ الوليــدَ وأيّامَــه إذْ ... إذ الأرضْ مِــنْ شَخْصِــهِ بَلْقَــعُ
فأقبلــتُ أطلبــه في السَّــماءِ ... كمــا يَبْتَغِــي أَنْفُــهُ الأجْــدَعُ

وكان يزيد بن مزيد عندما بعثه الرشيد لحرب الوليد بن طريف الشاري، أخذ يخاتل الوليد وبما يكره، وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد فأغروا به الرّشيد وقالوا: إنّه يراعيه لأجل الرَّحم، وإلا فشوكة الوليد يسيرة، وهو يواعده وينتظر ما يكون من أمره، فوجه إليه الرشيد كتاب مغضب وقال: لو وجهت أحد الخدم لقام بأكثر مِمّا تقوم به ولكنك مداهنٌ متعصب، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليبعثن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين، فلقي الوليد فظهر عليه فقتله[4].

وبعد فإنّ شعر الخوارج في العصر العباسي لم يواكب حركة الصراع السياسي، ولم يعبر عن نشاطهم مثل تعبيره في العهد بالأموي، لأنّ الاضطهاد الذي أصابهم في الحقبة العباسية،

(1) وفيات الأعيان 6/ 31-34، وانظر تاريخ الطبري، ج8، ص261، سنة 179هـ.
(2) وفيات الأعيان، 6/ 23.
(3) المصدر نفسه، 6/ 23.
(4) المصدر نفسه، 6/ 31- 36.

أصاب شعرهم، ولأنّ شعراءَهم قادة الجيوش، ومن هنا فإنّ ضياع شعرهم أمر طبيعي كلما قتل هذا القائد أو ذاك، كما أنّ السلطة العباسية لم تسمح لرواة الشعر ومدوني الأدب بتدوين شعر الخوارج وإن أباحت لهم رواية الأدب الخارجي الأموي[1].

(1) ضحى الإسلام، أحمد أمين، 3/ 345.

6. الزندقة

جاء شعر الزندقة والزنادقة على قلة في تاريخ الطبري. فعندما اشتدّ موسى الهادي في طلب الزنادقة وقتل جماعة منهم، كان ممن قتل منهم يزدان بن باذان كاتب يقطين، وابنه علي بن يقطين من أهل النهروان، ذُكِرَ عنه أنه حجَّ فنظر إلى الناس في الطواف يهرولون، فقال: ما أشبههم إلا ببقر تدوس في البيدر، وله يقول العلاء بن الحداد الأعمى[1]:

أيـــا أَمِـــيْنَ الله في خَلْقِـــهِ ... وَوَارِثَ الكَعْبَـــةِ والمنْبَـــرْ
مَـــاذَا تَـــرىَ في رَجُـــلٍ كَـــافِرٍ ... يُشَـــبِّهُ الكَعبَـــةَ بالبَيْـــدَرْ
ويَجْعَـــلُ النـــاسَ إذَا مَـــا سَـــعَوْا ... حُمْـــراً تَـــدُوسُ البُـــرَّ والدَّوْسَـــرْ

فقتله موسى ثم صلبه، فسقطت خشبته على رجل من الحاج فقتلته وقتلت حماره.

وذكر عن محمد بن خلالد الشروِيّ، قال: حدثني أبي قال: سمع محمد الأمين شعر أبي نواس وقوله[2]:

أَلا سَـــــقِّني خَمْـــــرا ... وقُـــل لـــي هـــي الخَمْـــرُ

وقوله[3]:

اسْـــــقِنِيْهَا يَـــــا ذُفافـــــهْ ... مُـــــرَّة الطَّعْـــــمِ سُـــــلاَفَهْ
ذَلَّ عِنـــــدِي مَـــــنْ قَلاَهـــــا ... لِرَجـــــاءٍ أو مَخَافَـــــهْ
مِثـــلَ مَـــا ذَلَّـــتْ وضَـــاعَتْ ... بَعْـــدَ هَـــارُونَ الخِلاَفَـــهْ

قال ثم أنشد له[4]:

فَجَـــاءَ بِهـــا زَيْتِيَّـــةً ذَهَبِيَّـــةً ... فَلَمْ نَسِتَطعْ دُونَ السُّجودِ لَها صَبْرا

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص190، سنة 169هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص525، سنة 198هـ. والديوان، ص96.
(3) الديوان، ص28.
(4) الديوان، ص61.

قال فحبسه محمد على هذا، وقال: إيه! أنت كافر، وأنت زنديق فكتب في ذلك إلى الفضل بن الربيع قصيدة مدحه فيها، فكانت سبب خروجه من السجن.

كانت الزندقة قد ارتبطت في وقت ما بالطرف حتى أصبحت صفة زنديق من دلالات ظرف صاحبها، ولقد كان محمد بن زياد الخاركي يتصنع الزندقة حتى يقال عنه طريف، وفي ذلك يخاطبه ابن مناذر قائلا[1]:

يَـــا ابْـــنَ زِيَـــادٍ اَبَـــا جعفـــر أَظهـرتَ دِينـًا غيـرَ مَـا تُخفـي

مزَنْـــدَقَ الظّـــاهِر بـــاللَّفظ في بَـــاطِنِ إســـلامِ فتـــىً عَـــفَّ

لَسْـــتَ بِزِنْـــدِيقٍ ولكنَّمـــا أَرَدْتَ أنْ تُوسَـــمَ بـــالظَرفِ

ومن المؤسف -كما يقول الدكتور مصطفى الشكعة- أن هذه الظاهرة لا تزال تظهر في كثير من المجتمعات، يكون المرء كامل الإيمان ويظهنر الزندقة بغية أن يقال عنه ظريف، وفي هذا المعنى يقول الشاعر الحصيف[2].

تزنـــدقَ مُعْلِنَـــاً لِيَقُـــولَ قـــومٌ إذا ذَكـــروُهُ زِنْـــدِيقٌ ظَرِيـــفُ

فَقَـدْ بَقِـيَ التَّزنُـدُقُ فِيْـهِ وَسْـمًا ومـا قِيْـلَ الظَّريـفُ وَلا اللَّطِيْـفُ

(1) الأغاني، مكتبة الحياة، بيروت، 17/ 28.

(2) الشعر والشعراء، د. مصطفى الشكعة، ص174.

7. الفتن والثورات والحروب الداخلية

لم تظهر الفتن والثورات في الدولة العباسية، بل إنّ هذه الفتن والثورات كانت منتشرة في أرجاء الدولة الأموية، فما إن تهدأ ثورة أو فتنة في مكان حتى تزهر فتنة أو ثورة في مكان آخر. سواء من العباسيين أو الخوارج أو غيرهم. وخير دليل على هذه الثورات هو قيام العباسيين بعدة ثورات للقضاء على الأمويين، ولكن الأمويين كانوا يقضون على كل هذه الثورات في مهدها فلم يكتب لها النجاح، إلى أن جاءت ثورة بني العباس بقيادة أبي مسلم الخراساني التي نجحت واستطاع العباسيون فيها القضاء على الأمويين وكان ذلك في معركة الزاب الكبير سنة 132هـ، وبذلك قُضِيَ على الدولة الاموية قضاء تاما، وظهر إلى الوجود ولأول مرة الدولة العباسية. ولم تكن الدولة العباسية هادئة، فقد كثرت الفتن الداخلية وخاصة في الحجاز وجنوب العراق، وخراسان، وفي كل أنحاء الدولة العباسية، أما أهم هذه الفتن فهي الصراع بين الأمين والمأمون وخراب بغداد، وثورة الزنج التي أخربت بسببها البصرة وغير ذلك.

ومن أوائل الفتن في نهاية عصر الدولة الأموية وبداية عصر الدولة العباسية ما كان من خروج أبي حمزة الخارجي على مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، وكان خروجه وقت الحج، وكان عبد الواحد بن سليمان واليا للأمويين على مكة والمدينة، فهرب عبد الواحد من مكة فهجاه بعض الشعراء بقولهم[1]:

زار الحجيجَ عصابةٌ قَدْ خَالفَوا ... دِينَ الإلِه فَفرَّ عبدُ الواحِدِ

تَرَكَ الحلائِلَ والإمارَةَ هَارِبًا ... ومضى يُخَبِّط كالبَعِيرِ الشَّارِدِ

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص376، سنة 129هـ.

وفي ذكر وقعة أبي حمزة الخارجي بقديد، أنشد أبو ضمرة أبياتا يذكر فيها الذين أصيبوا من قومه، رثاهم بعض أصحابهم فقال[1]:

يـا لَهْـفَ نَفْسِـي ولَهْفِـي غَيْـرَ كاذِبَـةٍ ... علـى فـوارِسَ بالبَطْحـاءِ أنْجَـادِ
عَمْـروٌ وعَمْـروٌ وَعَبْـدُ اللهِ بَيْنَهُمَـا ... وابناهُما خامِسٌ والحارثُ السَّادِي

وعندما هاجت العصبية بالشام بين النزارية واليمانية، كان عامل السلطان عليها موسى بن عيسى، فقُتل بين النزارية واليمانية على العصبية من بعضهم لبعض بشر كثير، فولى الرَّشيد موسى بن يحيى بن خالد الشام، وضم إليه من القواد والأجناد ومشايخ الكتاب جماعة. فلما ورد الشام أحِلّتْ لدخوله إلى صالح بن عليّ الهاشميّ، فأقام موسى بها حتى أصلح بين أهلها، وسكنت الفتنة، واستقام أمرها، فانتهى الخبر إلى مدينة الرشيد بمدينة السلام، وردّ الرّشيدُ الحكم فيهم إلى يحيى، فعفا عنهم، وعما كان بينهم، وأقدمهم بغداد، وفي ذلك يقول إسحاق ابن حسان الخُريميّ[2]:

مـن مُبْلِـغٍ يَحْيـىَ ودُونَ لِقَائِـه ... زاراتُ كَـلِّ خُنـابِسٍ هَمْهَـامِ
يـاراعيَ الإسْـلاَمِ غيـرَ مُفَـرَّطٍ ... في لِـيْنِ مُغْتَـبطٍ وَطِيْـبِ مَشَـامِ

وقال في موسى غير أبي يعقوب[3]:

قَـدْ هَاجَـت الشـامُ هَيْجـًا ... يُشـيب راسَ وَليـدْهْ
فَصُـبَّ موسـى عليهـا ... بِخَيْلِـهِ وجُنُـودِهْ
فَـدانَتِ الشـأمُ لمّـا ... أتـى نَسـيجَ وَحِيـدِهْ
هـو الجَـوَادُ الّـذي بُـذّ ... كُـلُّ جُـوْدٍ بِجُـودِهْ

(1) المصدر نفسه، ج7، ص394، سنة 130هـ. وانظر ج7، ص397، سنة 130هـ.
(2) تاريخ الطبري، ج8، ص251، سنة 176هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص252، سنة 176هـ.

وفي سنة ثمانين ومائة هاجت العصبية بالشام بين أهلها وتفاقم أمرها، فاغتمّ بذلك من أمرهم الرَّشيد، فعقد لجعفر بن يحيى على الشام فشخص في جلّة من القواد والسلاح، فأتاهم فأصلح بينهم، وقتل زواقيلهم ولصوصهم، ولم يدع رمحًا ولا فرسًا، فعادوا إلى الأمن والطمأنينة، وأطفأ تلك الثائرة، فقال منصور النّمري لما شخص جعفر[1]:

لقد أُوقِدَتْ بالشامِ نِيرَانُ فِتْنَةٍ ... فهَذا أَوانُ الشامِ تُخْمَدُ نَارْهَا

إذا جاشَ موجُ البَحرِ مِنْ آل بَرْمَكٍ ... عليها: خَبَتْ شُهْبَانُها وشَرَارُها

رَماها أَميرُ المؤمنينَ بجَعْفَرٍ ... وفيه تَلاَقَى صَدْعُها وانْجِبَارُها

رَماها بميمونِ النَّقيْبَةِ مَاجِدٍ ... تَراضَى بِهِ قَحْطَانُها وَنِزَارُها

ومن أهم الفتن في العصر العباسي ما كان من أمر البرامكة حين نكبهم الرشيد، فقد كان يحيى بن خالد البرمكي يدخل على الرشيد دون إذن، فدخل يوما كعادته، فأنكر الرشيد دخوله، فعرف يحيى أنّ الرشيد قد تغير بمعاملته له. وتعذر الرشيد بقول الناس: كيف يدخل يحيى على الخليفة دون استئذان، ولكن يحيى حاول إصلاح الموقف إلا أنه كان في نفس الرشيد شيء. ثم أمر الرشيد الغِلمَانَ بعدم القِيام إذا ما دخل يحيى على الرشيد.

وقيل: إنّ نكبة البرامكة أنّ يحيى بن عبد الله بن حسن كان مسجونا بأمر الرشيد، وقد أشرف على سجنه جعفر بن يحيى البرمكي، فقام جعفر بن يحيى البرمكي باخراج يحيى بن عبدالله بن حسن من السجن وبعث معه رجالا حتى أمّنه، فعلم الرشيد عن طريق الفضل بن الربيع، فسأل الرشيد جعفر بن يحيى البرمكي واستحلفه فأجابه بأن أطلق يحيى بن عبدالله لأنه لا حياة به ولا مكروه عنده، فقال له الرشيد: نعمَ ما فعلتَ، ما عدوتَ ما كان في نفسي. فلما خرج اتبعه الرشيد بصره حتى كاد أن يتوارى عن وجهه، ثم قال: قتلني الله بسيفِ الهُدى على الضلالة إن لم أقتلك!

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص262–263، سنة 180هـ. وشعر منصور النّمري، ص92 وما بعدها.

وعندما حج الرشيد سنة ست وثمانين ومائة، وعاد إلى الأنبار سنة سبع وثمانين ومائة، أرسل مسرورا الخادم ومعه حمَّاد بن سالم أبو عصمة في جماعة من الجند، فأطافوا بجعفر ليلا، ودخل عليه مسرور الخادم وعنده ابن بختيشوع المتطبب وَزَكَّار الأعمى الكوذانِيّ، وهو في لهوه فأخرجه اخراجا عنيفا يقوده، حتى أتى به المنزل الذي به الرشيد، فحبسه وقيده بقيد حمار، وأخبر الرشيد بأخذه إياه ومجيئه به، فأمر بضرب عنقه، ففعل ذلك.

وأمر الرشيد في تلك الليلة بتوجيه من أحاط بيحيى بن خالد وجميع ولده ومواليده، ومن كان منهم بسبيل، فلم يفلت منهم أحد كان حاضرا، وحول الفضل بن يحيى ليلا فحبس في ناحية من منازل الرشيد، وحبس يحيى بن خالد في منزله، وأخذ ما وجد لهم من مال وضياع ومتاع وغير ذلك، ومنع أهل العسكر من أن يخرج منهم خارج إلى مدينة السلام أو إلى غيرها، ووجه في ليلته رجاء الخادم إلى الرّقة في فيض أموالهم وما كان لهم، وأخذ كل ما كان من رقيقهم ومواليهم وحشمهم، وولاة أمورهم وفرق الكتب من ليلته إلى جميع العمال في نواحي البلدان الأعمال بفيض أموالهم وأخذ وكلائهم.

وقتل جعفر بن يحيى في لسلة السبت أول ليلة من صفر سنة سبع وثمانين ومائة وهو ابن سبع وثلاثين سنة، وكانت الوزارة إليهم سبع عشرة سنة وفي ذلك يقول الرُّقاشي[1]:

أَيَا سَبْتُ يا شرّ السُّبوتِ صَبيحةً ... ويا صَفُر المشؤوم ما جِئتَ أَشْأَما

أَتَى السَّبْتُ بالأمْرِ الَّذي هَدَّ رُكْنَنَا ... وفي صَفْرٍ جاءَ البلاءُ مُصَمّما

وفيهم يقول الرُّقاشي أيضا[2]:

أَلآنَ اسْتَرْحنَا واسْتَرَاحَتْ رِكابُنَا ... وأمسَكَ مَنْ يُجْدِي ومَنْ كانَ يَجْتَدِي

فَقُلْ لِلمَطَايا قَدْ أَمِنْتِ مِنَ السُّرَى ... وطَيّ الفَيافي فدفداً بعدَ فَدْفَدِ

وَقُلْ للمَنايا: قَدْ ظَفِرتِ بِجَعْفَرٍ ... ولن تَظْفَرَي مِنْ بَعْدِه بمُسَوَّدِ

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص300، سنة 187هـ.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص300، سنة 187هـ، وانظر، ج8، ص301، سنة187هـ أيضا.

وَقُـلْ للعطايـا بَعْـدَ فَضْـلٍ تعَطَّلِـي وَقُـلْ للرّزَايـا كُـلَّ يـوم تَجَـدَّدِي
ودُوْنَـكِ سَـيْفًا برمكـيًّا مُهَنَّـداً أصِـيبَ بِسَـيْفٍ هَاشـميٍّ مُهَنَّـدِ

فالبرامكة أهل جود وكرم، فإنْ ذهبوا ذهب الجود والكرم بذهابهم وتوقفت المطايا عن الرحيل، كما توقفت العطايا، وكثرت الرزايا.

ورثا البرامكة عدد كبير من الشعراء غير الرّقاشي، فمن ذلك قول سيف بن إبراهيم[1]:

هَـوَتْ أنجُـمَ الجَدوَى وشُلَّت يدُ النَّدىَ وغاضَـت بُحـورُ الجُـودِ بعَـد البَرامِـكِ
هَـوَتْ أنجـمٌ كانـت لأبنـاءِ برمـكٍ بهـا يعـرِفُ الحـادي طريـقَ المَسـالكِ

كما رثاهم ابن أبي كريمة، والعطوي أبو عبد الرحمن، وأبو العتاهية فقد قال ابن أبي كريمة[2]:

كـل مُعيـرٍ أُعِيَـر مرتـبةً بَعْـدَ فَتَـى بَرمـكٍ عَلَـى غَـرَرِ
صَـالَتْ عَلَيْـهِ مِـنَ الزَمَـانِ يـدٌ كَـانَ بِهَـا صَـائِلاً عَلَـى البَشَـرِ

وقال العطوي أبو عبد الرحمن[3]:

أَمَـا واللهِ لَـوْلاَ قَـوْلُ واشٍ وعَـيْنٌ للخلـيفةِ لا تَنَـامُ
لَطُفْنَـا حَـوْلَ جِـذعكَ واسَـتَلمْنَا كَمـا لِلنَّـاس بـالحَجرِ اسْـتِلاَمُ

فحب الناس لجعفر بن يحيى البرمكي وصل إلى حد التقديس.

وفي قتل جعفر بن يحيى قال أبو العتاهية[4]:

قُـولاَ لِمَـنْ يرتجـي الحيـاةَ أَمَـا فِي جَعْفَـرٍ عِبْـرَةٌ ويَحْـيَاهُ!
كانـا وَزيـرَيْ خليفـةَ اللـهِ هـا رونَ هُمَـا مَاهُمَـا خلـيلاَهُ
فـذاكمُ جعفـرٌ بِرُمَّتِـهِ فِي حـالقٍ رَأْسُـهُ ونِصْفَـاهُ

(1) الأغاني، ج8، ص301، سنة 187هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص301، سنة 187هـ.
(3) تاريخ الطبري، ج8، ص301، سنة 187هـ.
(4) المصدر نفسه، ج8، ص301، سنة 187هـ، والديوان، ص667.

والشيخُ يحيى الوزيرُ أصبحَ قد نَحَّاهُ عن نَفْسِه وَأَقْصَاهُ
شُتِّتَ بَعْدَ التّجميعِ شَمْلُهُم فَأَصْبَحُوا في البِلاَدِ قَدْ تَاهُوا

ومن أبرز الفتن التي حدثت في الدولة العباسية الفتنة بين الأمين والمأمون، لقد اختار الرشيد ابنه الأمين ليكون خليفة له من بعده، كعادة الخلفاء العباسيين الذين جعلوا الحكم وراثيا -كالأمويين- وكان الأمين أصغر سنا من المأمون، وكان المأمون أكبر سنا وأنضج عقلا في حين كان الأمين أقل خبرة ودراية بشؤون الحكم، وزاد الرشيد الطين بلة- كما يقولون- عندما أشرك في الحكم ولده الثالث المؤتمن فقد جعل له العهد بعد الأمين والمأمون وولاه الجزيرة والثغور والعواصم، فهيأ بذلك عوامل المنافسة والحقد بين الإخوة وألقى بذور الفتنة في الأمة كلها.

فالفرس يرون أَنّهم أحقُّ بالحكومة، على أَسنّةِ رماحهم قامت دولة بني العباس فهم يرون تقديم المأمون على الأمين، فأُمُه فارسية وهو أكبر سنّا وأنضج عقلا، والعرب يرون تقديم الأمين لعروبته الخالصة والعرب أولى بالحكم.

ومن جرّاء هذه الفتنة أصيبت بغداد بمحنة كبيرة، فقد حاصرت جيوش المأمون بغداد، ورُمِيَتْ بالمجانيق والعَرّادات، وعندما تضايق محمد الامين من الحصار امر ببيع كل مافي الخزائن من الأمتعة، وأمر آنية برمي الحربيّة بالنفط والنيران والمجانيق والعرّادات، يقتل بها المقبل والمدبر، ففي ذلك يقول عمرو بن عبد الملك العتري الوراق[1]:

يارمـــاةَ المنجنـــيق كُلُّكُـــمْ غـــيرُ شَفَـــيقِ
مـــا تُبالـــونَ صَدِيقَـــاً كـــانَ أو غيـــرَ صَـــدِيقِ
ويلكـــم تَـــدرُونَ مـــا تَـــرْ مـــونَ مُـــرَّارَ الطَّـــرِيقِ
رُبَّ خَـــــــوْدٍ ذَاتِ دَلٍّ وَهْـــيَ كالغصـــنِ الوريـــقِ
أُخرجَـــتْ مـــنْ جَـــوْف دُنْيَـــا هَـــا ومِـــنْ عَـــيْشٍ أنِـــيقِ

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص446، سنة 197هـ.

لـــم تَجِـــدْ مِـــنْ ذاك بُـــدّاً أَبْـــرِزَتْ يَـــوْمَ الحَـــرِيقِ

هكذا كانت بغداد تضرب من جانب الطرفين، ولم يكن للضرب والتحريف هدف محدد، فاصطلى الأهالي هذه النيران وخرجوا من بيوتهم مشتتين بعد تهدمها، وكثر الخراب والهدم حتى درست معالم بغداد ومحاسنها ففي ذلك يقول العتري[1]:

مَـنْ ذا اصـابّكِ يـا بغـدادُ بـالعَيْنِ أَلـمْ تَكـونِي زَمَانـاً قُـرَّةَ العَـيْنِ
أَلـمْ يَكُـنْ فِيـك قـومٌ كـانَ مَسْكَنُهُم وكـان قـربهُمُ زَيْنَـا مِـنَ الـزَّيْنِ
صـاحَ الغُـرابُ بِهِـم بـالبَيْنِ فـافترَقُوا مَـاذا لقيـتُ بِهِـم مِـنْ لَوْعَـهِ البَـيْنِ
أسـتودعُ الله قَوْمَـا مَـا ذكـرتهُمُ إلا تحـدَّرَ مـاءُ العَـيْنِ مِـنْ عَيْنِـى
كـانُوا ففـرَّقَهُمْ دَهْـرٌ وصـدَّعَهُمْ والـدَّهْرُ يَصْـدَعُ مـابَيْنَ الفَـرِيقَيْنِ

وهناك شاعر آخر من فتيان بغداد، يصف حاضرة الخلافة، وقد ساءَت حالها وخرج منها مَنْ لم يستطع البقاء، وفرّ منها كُلّ مَنْ يستطيع الفِرار فَبَدَتْ حزينة، قال[2]:

بَكَيْـتُ دَمَـا علـى بغـدادَ لَمّـا فَقَـدْتُ غضـارَةَ العَـيْشِ الأَنِيْـقِ
تَبَـدَّلنا همومـاً مِـنْ سُـرورٍ وَمِـنْ سَـعةٍ تَبَـدَّلْنَا بِضْـيقِ
أَصـابَتْها مِـنَ الحُسَّـادِ عَـيْنٌ فأَفْنَـتْ اَهْلَهـا بِـالمَنْجَنِيْقِ
فقـوم أُحْرقـوا بالنّـار قَـسْرا ونائحـة تنَـوْحُ عَلـى غَرِيْـقِ

وربما كانت قصيدة الشاعر أبيي يعقوب إسحاق الخريميّ في رثاء بغداد أطول وأهم رقصيدة رثى بها الشاعر عربي مدينة من المدن، فقد أورد الطبري منها مائة وخمسة وثلاثين بيتا، فهو يستهلها بقوله[3]:

قـالوا: ولَـمْ يلعـبِ الزَّمَـانُ ببغـ ـدادَ وتعثُـرْ بهـا عوائِرُهـا

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص447، سنة 197هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص457، سنة 197هـ، وهي قصيدة طويلة بلغت خمسة عشر بيتا.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص448-454، سنة 197هـ.

إذ هـــي مثـــلُ العـــروسِ باطِنُهـــا ... مشـــوّقٌ لِلفَتـــى وظَاهِرُهـــا
جنّـــةُ خُلْـــدٍ ودارُ مَغْبَطَـــةٍ ... قَـــلَّ مِـــنَ النّائِبَـــاتِ وَاتِرُهـــا
درَّتْ خُلـــوفُ الـــدُّنيا لِسَـــاكِنِها ... وقَـــلَّ مَعســـوُرها وعاسِرُهـــا
و انفَرَجَـــتْ بـــالنَّعيمِ وانتَجَعَـــتْ ... فيهـــا بلَـــدَّاتِها حَواضـــرُها
فـــالقومُ منهـــا فى رَوْضَـــةٍ أُنُـــفٍ ... أَشْـــرَقَ غِـــبَّ القِطَـــارِ زَاهِرُهـــا

ولكن هذه المدينة تعرضت للدمار بسبب سوء التصرف، فقد نقض الأمين البيعة لأخيه المأمون بإيعاز وتحريض من الفضل بن الربيع، وهذا ما انتهى بالناس إلى التفرق شيعا، يسفك بعضهم دماء بعض، وإذا بغداد التي جمعت كل أسباب الحياة الناعمة تصبح مدينة مستباحة.

ويستمر الخريمي في أثناء قصيدته وبأسلوب الموازنة، بالتقاط الصور المتتالية لبغداد المشرقة قبل نكبتها، ثم ينظر إلى ما آل إليه أمر هذه الصورة بعد النكبة. يقول[1]:

يَاهَـــلْ رأيـــتَ الجِنَـــانَ زَاهِـــرةً ... يـرُوقُ عـينَ البَصـيرِ زَاهِـرُهـــا؟
وهـــل رأيـــتَ القُصَـــورَ شَـــارِعَةً ... تُكِـنُّ مثـــلَ الدُّمـــى مقَاصِـرُها؟
وهـل رأيت القُرى التي غَرسَ الـ ... أمـلاكُ، مخضَّـــرةً دَسـاكِـرُهـــا؟
محفوفـة بـالكرومِ والنخـل والرَّيـ ... ـــحانِ مـــا يســـتقلُّ طَائرُهـــا
فإنّهـــا أَصْـــبَحتَ خلايـــا مـــن الـــ ... إنســـان، قـــد أُدْمِيَـــتْ محَاجِرُهـــا
قَفْـــراً خَـلاءً تَعْـوِي الكـلابُ بِهـا ... يُنكِـــرُ منهـــا الرســـومَ زَائرِهُـــا
وأصـــبحَ البُـــؤْسُ مـــا يُفَارِقُهـــا ... إلفـــاً لهـــا والسُّـــرُور هَاجِرُهـــا

ثم يمضي الشاعر فيذكر أحياء المدينة المنكوبة، وينتقل إلى موازنة جديدة، ثم يمضي برسم صور مشرقة لكي ينهيها بصورة الخراب، ثم يتمثل تلك النكبة حلّت ببغداد بوصفها عقابا لها أو لأهلها، على بطلانها وانحرافها وتفريطها قال[1]:

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص449، سنة 197هـ.

يَـــا بُـــؤْسَ بَغْـــدادَ دَار مَمَلكَـــةٍ ... دارتْ علـــى أهِـــلها دَوائرُهـــا
أَمهلـــــها الله ثـــــم عَاقَبَـــــها ... لمّـا أَحاطـت بهـا كبـائرُهـــا
بالخسوفِ والقَـذفِ والحـريقِ وَبالـ ... ـحـربِ التـي أصـبحت تسـاورُها
كـم قـد رأَينـا مِـنَ المعاصـي ببغـدا ... د فهـــل ذو الجـــلال غَافِرُهـــا
حلَّـــت ببغَـــدادَ وهـــيَ اَمنـــةٌ ... داهـــيةٌ لـــم تكـــن تحـاذِرُهـــا
طالَعهَـــا الســـوءُ مـــن مَطالَعِـــهِ ... واَدركـــت أَهلَـــها جرائرُهـــا
رَقَّ بهـا الـدينُ واسْـتُخفَّ بـذي الـ ... ـــفضل وَعَـــزَّ النُّسَّـــاكَ فَاجِرُهـــا

وقد اجتمع الفريقان المتحاربان على تدمير المدينة وحرقها وهدمها، يقول [2]:

يُحْرِقُهـــا ذا، وذاكَ يهدمـــــها ... ويَشْـــتِفي بالنهـــابِ شَاطِـــرُها

وبعد أن أنهى الشاعر مقارناته بين المدينة في حال عزّها وبينها في حال بؤسها، يرسم صورة حية للمدينة التي صارت مستباحة للنهب والسلب، وللهلع والفزع الذي أصاب الناس جميعا[3].

ياهَـــلْ رأيـــتَ الســـيوفَ مُصْـــلَتَةً ... أَشْـــهَرهَا في الأســـواقِ شَـــاهِرُها
والخيـــلَ تســـتَنُّ في أَزِقَّتِهـــا ... بـــالتُّركِ، مســـنونةً خَنَاجِرُهـــا
والـــنّفطَ والنَّـــارَ في طَرَائِقِهـــا ... وهابِيـــاً للـــدخَانِ عَامِرُهـــا
والنَّهـــبُ تَعْـــدُو بـــهِ الرَّجـــالُ وقَـــدْ ... أَبْـــدَتْ خلاخيلهـــا حَرائِرُهُـــا

وقد انتهى هذا الصراع لصالح جيوش المأمون، فاستسلم الأمين ثم قتل، وأمسك طاهر بن الحسين قائد جيوش المأمون بأزمة الأمور.

وذُكِرَ أنّ طاهرا قال حين قتله [4]:

---

(1) المصدر نفسه، ج8، ص450، سنة 197هـ.
(2) تاريخ الطبري، ج8، ص451، سنة 197هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص452، سنة 197هـ.
(4) المصدر نفسه، ج8، ص499، سنة 198هـ.

قَتَلْـــــتُ الخَليفَـــــة في دَارِهِ وأَنْهَبْـــتُ بالسَّـــيفِ أَموَالَـــهُ

وقال أيضا:

مَلَكْـتُ النّـاسَ قَسْـراً واقْتِـدَارا وقَتَّلْـــتُ الجَبَـــابِرَةَ الكِبَـــارَا

وَوَجّهــتُ الخِلاّفَــة نَحْــوَ مَــرْوٍ إلـــى المَـــأْمونِ تبتـــدرُ ابتِـــدَارَا

فأهم ما نشتمه من هذه الأبيات الشعوبية التي كان يشعر به طاهر بن الحسين.

وفي سنة تسع عشرة ومائتين عاث الزُّطُّ في طريق البصرة، فقطعوا فيه الطريق واحتملوا الغلات من البيادر، وأخافوا السبيل، فبعث المعتصم عجيف بن عنسة، فقهرهم حتى طلبوا الأمان فأمنهم، وأحصاهم عجيف سبعة وعشرين ألف إنسان، وحملهم بالسفن حتى دخل بهم بغداد، فلم يفلت إلى الثّغر إلى عين زِرْبَة، فأغارت عليهم الروم، فاجتاحوهم فلم يفلت منهم أحدٌ فقال شاعرهم[1]:

يـا أهـلَ بغـدادَ موتـوا دامَ غَـيظكُم شـوقًا إلـى تمـرِ بَرْبِـيٍّ وشُـهْرِيز

نحــن الــذيَن ضــربناكُمْ مُجَــاهَرَةً قَسـراً وسُـقْنَاكُمُ سَـوْقَ المَعَـاجِيْزِ

وفي سنة احدى ومائتين ظهر بابك في مدينة البَذّ، وهزم من جيوش السلطان، وقتل من قواده جماعة، وعندما تولّى المعتصم الخلافة وجه إليه الجيوش، واستطاع القائد البطل الإفشين الظفر ببابك، واقتاده إلى المعتصم، وأراد المعتصم أنْ يشهرّه ويريه للناس، فقال على أي شيء يحمل هذا؟ وكيف يُشهر! فقال أحدهم يا أمير المؤمنين، لا شيء أشهرُ من الفيل، فقال: صدقت، فأمر بتهيئة الفيل، وأمر به فجعل في قباء ديباج وقلنسوة سمور مدّورة، وهو وحده، فقال محمد بن عبد الملك الزيّات في ذلك[2]:

قَـــدْ خُضِـــبَ الفيـــلُ كَعَادَتـــهِ يَحْمِـــلُ شَـــيْطَانَ خُرَاسَـــانِ

(1) تاريخ الطبري، ج9، ص10، سنة 219هـ.

(2) المصدر نفسه، ج9، ص53، سنة 223هـ.

والفيـــلُ لا تُخْضَـــبُ أَعْضَـــاؤُهُ إلّا لِـــذي شـــأْنٍ مِـــنَ الشَّـــانِ

وقد توج المعتصم الإفشين وألبسه وشاحين بالجوهر، ووصله بعشرين ألف ألف درهم، وعقد له على السَّند وأدخل عليه الشعراء يمدحونه، وأمر للشعراء بصلات، وكان مما قيل فيه قول أبي تمام الطائي[1]:

بَـذَّ الجِـلادُ البـذَّ فهـو دفـينُ مـا إنْ بـهِ إلّا الوحـوشَ قَطِـيْنُ
لَـمْ يُقْـرَ هـذا السيفُ هـذا الصّبر في هَيْجَـاءَ إلاّ عَـزَّ هـذا الـدّينُ
قـد كـان عُـذْرَةَ سُـوَدٍ فافْتَضَّـها بالسَّـيفِ فَحْـلُ المَشْـرِقِ الإفْشِـينُ
فأَعادهـا تَعْـوِي الثعالـبُ وَسْطَهـا ولقـد تُـرىَ بـالأَمْسِ وهـي عَـرِينُ
هَطَلَـتْ عليهـا مِـنْ جَمَـاجِمِ أَهلِهـا دِيَـمٌ أمارَتُهَـا طُلًـى وشُـؤونُ
كانـت مـن المُهجَـاتِ قبـلُ مفـازةً عِسـراً، فأضـحت وهْـيَ منـه مِعَـينُ

وفي ذكر الفتنة التي هاجت بسبب قتل باغر التركي الذي كان أحد قتلة المتوكل، قال بعض الشعراء وذُكِرَ أنّه أحمد بن الحارث اليمامي[2]:

لعمـــري لـــئن قَتَلـــوا بـــاغراً لقـد هـاج بـاغِرُ حَرْبـًا طَحُونَـا
وفـــرَّ الخليفـــةُ والقائِـــدا نِ باللّيـــلِ يَلْتَمِسَـــانِ السَّـــفِيْنَا

ولما قتل المستعينُ باغراً، هرب ومعه بغا ووصيف إلى بغداد فلما انتشر الخبر بخروج المستعين نهب الترك دار ابن يعقوب ودور أهل بيته وجيرانه.

وفي سنة إحدى وخمسين ومائتين هاجت الفتنة ووقعت الحرب بين أهل بغداد وجند السلطان الذين كانوا بسامراء، فبايع كل من كان بسامراء منهم المعتز، وأقام ببغداد منهم

(1) تاريخ الطبري، ج9، ص55، سنة 223هـ الديوان 3: 6/ 3.
(2) المصدر نفسه، ج9، ص281، سنة 251هـ.

على الوفاء ببيعته المستعين، وذكر أنّ المعتز كتب لأخيه أبي احمد بن المتوكل يلومه للتقصير في قتال أهل بغداد، فكتب إليه يصف القتال بقوله[1]:

لأَمْـــرِ المَنايـــا علينـــا طريـــقُ ... وللـــدّهرِ فيـــه اتّســـاعٌ وَضِـــيقُ
فأيامنـــــا عِبـــــرٌ للأَنـــــامِ ... فمنهـــا البُكـــوُر ومنهـــا الطُّـــروقُ
ومنهـــا هَنَـــاتٌ تُشـــيبُ الوليـــدَ ... ويَخْـــذُلُ فيهـــا الصَّـــدِيقَ الصّـــديقُ
وسُـــورٌ عَـــريضٌ لـــه ذِرْوَةٌ ... تَفُـــوُت العيـــونَ وَبَحْـــرٌ عَميـــقُ
قِتَـــالُ مِبيـــدٌ وسَـــيْفٌ عَتِيـــدٌ ... وَخَـــوْفٌ شَـــدِيدٌ وحِصْـــن وثيـــقُ

ويستمر الشاعر في وصفه ما حلّ بالناس بسبب هذه الحرب الطاحنة، فمن إنسان يصيح مستغيثا، إلى قتيل وإلى جريح، وفي جهة أخرى نجد الحرائق، ونجد الناس الغرقى، وفي مكان ثالث نجد الاغتصاب والانتهاب والدمار.

فأجابه محمد بن عبدالله أو قيل على لسانه[2]:

أَلاَ كـــلّ مـــن زاعَ عـــن أمـــره ... وجـــارَ بـــهِ عـــن هُـــدَاهُ الطريـــقُ
مـــلاقٍ مِـــنَ الأَمـــرِ مـــا قَـــدْ وَصَـــفْتَ ... وهـــذا بأَمْثـــالِ هـــذا خَليـــقُ
ولا ســـيّما نَاكِثـــاً بَيْعَـــةً ... وتَوْكِيـــدُها فِيـــهِ عَهْـــدٌ وَثِيْـــقُ
يُسَـــدُّ عَلَيْـــهِ طَرِيْـــقُ الهُـــدَى ... ويَلْقَـــى مِـــنَ الأَمْـــرِ مَـــا لاَ يُطِيـــقُ

وقد كانت المدينة العباسية الثانية التي حَلَّت بها وبأهلها نكبة فادحة، هي مدينة البصرة، وذلك في عهد الخليفة المعتمد (256هـ- 279هـ). وكانت نكبتها على أيدي ثوار الزنج بزعامة على بن محمد، الذي ادّعَى النسب إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. ففي شوال سنة 258هـ أوقع بأهل البصرة وقعة هائلة، قتل فيها من أهل البصرة عدد عظيم، وخربت أكثر مبانيها، وكما أثارت نكبة بغداد شعراء مثل الخريميّ وعمرو الوراق

(1) تاريخ الطبري، ج9، ص316، سنة 251هـ.
(2) المصدر نفسه، ج9، ص316-317، سنة 251هـ، وأنظر ج9، ص350-353، سنة 252هـ.

وغيرهما، كذلك أثارت نكبة البصرة هذه ابن الرّومي الشاعر، فراح يرثي المدينة بقصيدة مطلعها[1]:

شُـغلها عنـهُ بالـدموعِ السـجامِ ذادَ عـن مُقْلِتـي لذيـذَ المنـامِ
أيُّ نـومٍ مـن بعـد مـا انتهـك الـزَّنْـ ـجُ جهـارا محَـارِمَ الإسـلامِ
أقـدم الخـائنُ اللعـينُ عليهـا وعلـى الله أيَّمـا إقْـدَامِ

فقد نهج ابن الرومي في تصويره المأساوي للمدينة نهج الخريميّ عندما وصف بغداد، فهو هنا يصف حال المدينة قبل تخريبها، وكيف أنّها كانت منارا للعلم والعلماء، ثم ينتقل إلى تصوير ما حلّ بها على أيدي الزَّنج من مشاهد متلاحقة، بمشاعر الأسى والحزن، قال:

كَـمْ أغصُّـوا مـن شـاربٍ بشـرابٍ كـم أغصُّـوا مـن طـاعمٍ بطعـامِ
كَـمْ ضـنينٍ بنفسـهِ رامَ مَنْجًـىً فتلقّـوا جبينـه بالحسـامِ
كَـمْ أخٍ قـد رأى أخـاهُ صـريعًا تِـربَ الخَـدِّ بـينَ صَـرْعى كـرامِ
كَـمْ أبٍ قـد رأى عزيـزَ بنيـه وهْـوَ يُعلَـى بصـارمٍ صمصـامِ
كَـمْ مُفـدًّى في أهلـهِ أسْـلمُوه حـين لـم يحْمِـه هنالـك حـامِي
كَـمْ رضـيع هنـاكَ قـد فطمـوه بشـبا السـيف قبـل حـينِ الفطـامِ
كَـمْ فتـاة بخـاتم الله بكـر فضـحوها جهـراً بِغَيْـرِ اكْتِتَـامِ
كَـمْ فتـاة مَصُـوْنةٍ قَـدْ سَـبَوْهَا بَـارَزاً وَجْهُهَـا بِغَيْـرِ لِثَـامِ
مـن رآهُـنَّ في المسـاقِ سـبايا دامياتِ الوجـوهِ للأقـدامِ
مـن رآهـنَّ في المقاسـم وسْـطَ الـزْ ـنـج يُقَسَّـمْنَ بيـنهمُ بالسِّـهامِ
مـن رآهُـنَّ يُتخـذن إمـاءً بعـد ملْـكِ الإمـاء والخُـدَّامِ

(1) ديوان ابن الرّومي، تحقيق د. حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1981م، ص2377- 2377، وهي قصيدة طويلة بلغت ستا وثمانين بيتا.

لقد أقدم الزَّنج على أهل المدينة وهم في دعة من أمرهم فأصابوهم بالذعر، حتى الشارب والطاعم غص شرابه وطعامه، ومن أراد القرار تلقوه بسيوفهم فأجهزوا عليه، وقد فقد الناس كل حيلة أمام هذه الغزو المدمر، حتى الأطفال لم يسلموا من هؤلاء الهمج، ولم تسلم الفتيات منهم، بل هتكوا أعراضهنّ جهرة وبلا خوف أو حياء، وأخذوهن سبايا كاشفات الوجه، وكن من قبل كريمات مصونات في خدورهن، وإنهن ليُسقنَ مصبَّغَات بالدّم من الرأس إلى القدم، ثم يقسمونهن كما تقسم الغنائم، شأنهن شأن العبيد.

هكذا ذاقت المدينة المهانة والذلّة، بعد أن أوسع الزَّنج أهلها قتلا وسبيا، وبعد أن هدموا دورها العامرة وقصورها الشامخة.

وبعد فإنّني أستغرب من مؤرخ عظيم كبير وهو الطبري مِنْ أنّه لم يورد هذه القصيدة التي تُصوّر ما حل بالبصرة من خراب ودمار على أيدى الزَّنج، بل إنّه أورد مجموعة من القصائد تدور في مجملها حول مدح الموفق ولي عهد المسلمين والمعتمد الخليفة، ولم يأتي فيها بأيّ وصف للحرب الطاحنة التي دارت بين الزِّنج وجيوش المسلمين التي دامت من سنة 256-279هـ. ولم يأتِ أيضاً بأيّ وصف للدمار الذي حل بالبصرة كما أسلفت. وقد أثبتُ القصيدة من الديوان لتوضيح صورة الخراب والدمار الذي حل بهذه المدينة، ولم تكن هذه القصيدة الوحيدة المهمة التي لم يذكرها الطبري في تاريخه تدليلاً على الحوادث الجسام، بل هناك قصائد كثيرة ومن أهمها قصيدة فتح عمورية لأبي تمام.

8. السياسة

لقد عرف الشعراء سياسة الخلفاء، وسار معظمهم على نهجها، عرفوا ما يحب الخليفة وما يوافق هواه فذكروا ذلك في شعرهم، ورددوه بين الحين والحين، وعرفوا ما يكره الخليفة وأظهروا كرههم له، ودافعوا عن مواقفهم واتجاهاتهم بالحجج والبراهين.

روى صاحب الأغاني أن منصوراً النمري عرف مذهب الرشيد في الشعر، وإرادته أن يصل مدحه إياه بنفي الإمامة عن ولد علي بن أبي طالب، والطعن عليهم، علم مغزاه في ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروان بن أبي حفصة وتفضيله إياه على الشعراء في الجوائز، فسلك مذهب مروان في ذلك ونحا نحوه ولم يصرح بالهجاء والسب كما كان يفعل، ولكنه حام ولم يقع وأومأ ولم يحقق لأنه كان يتشيع، وكان مروان شديد العداوة لآل أبي طالب، وكان ينطق عن نية قوية يقصد بها طلب الدنيا فلا يبقي ولا يذر[1].

لقد استقطب الحزب العباسي عددا كبيرا من الشعراء، مدحوهم ودعوا الناس إلى بيعتهم لأنهم أحق الناس جميعاً -وخاصة من العلويين- بالخلافة، وهذا لا يعني أنّ جميع الشعراء ذهبوا هذا المذهب، فهناك عدد كبير منهم من أنصار العلويين والموالي الفرس والروم والخوارج وغير ذلك.

إلاّ أنَّ الذي يهمنا الآن هو موقف شعراء الحزب العباسي الذي أورد لهم الطبري شعرا كثيرا يتدخلون فيه بسياسة الدولة، أمّا موقف شعراء الحزب العباسي وخصومهم فقد مَرَّ بنا في بداية هذا الفصل.

بالإضافة إلى إثبات حق العباسيين في الحكم عن طريق الحجج والبراهين، من مثل أن الخليفة خليفة الله في أرضه وسلطانه، وأنّ خلافته من الله وليست من الناس وهو أمين الله في خلقه، وهو الذي ورث النبيّ محمدا ﷺ، إلى غير ذلك من الألفاظ والتراكيب التي تدور في مجملها حول هدف واحد وهو اثبات حق العباسيين في الحكم دون غيرهم.

(1) الأغاني 13/ 143 وما بعدها.

وكما أسهم شعراء الحزب العباسي في اثبات حق الخلفاء العباسيين في الحكم، أسهموا في عمليات ولاية العهد، عقد البيعة لنائب الخليفة على نحو ما نرى في قول أبي نخيلة في مدح المنصور حيث يغريه بخلع عيسى بن موسى ولَيَّ عهده، وعقد البيعة بولاية العهد لابنه المهدي[1].

أَمْسَى وَلِيُّ عهدِها بالأَسْعَد ... عيسى فَزَحْلَفَهَا إلى محمدِ
مِنْ قَبْلِ عيسى مَعْهَداً عَنْ مَعْهدِ ... حتى تُؤَدَّى من يدٍ إلى يَدِ
فِيْكُمْ وَتَغْنَى وهي في تَزَيّدِ ... فَقَدْ رَضِيْنَا بالغُلامِ الأمْرَدِ

وعلى نحو ما نرى في قول العماني في المهدي[2]:

الحَمْدُ للهِ الذي بِحَمْدِهِ ... مَنَّ على عِبَادِهِ بِعَبْدِهِ
مَهْدِيُّنا الهادِي الذي بِرُشْدِهِ ... أصْبَحَ بين غَوْرِهِ ونَجْدِهِ
يا ابنَ الذي كانَ نَسيجَ وَحْدِه ... أَثبتَّ لهارونَ مكانَ وِرْدِهِ
بِمَشْرَعِ يشفي الصَّدى بِبُرْدِهِ ... وأشْفَعْ لنا موسى بِهِ مِنْ بَعْدِه
يا ابنَ أبيه وشَبيه جَدَّه ... يُعْرفُ منه جَدُّهُ بِجدَّهِ
قل للإمام ووليَّ عَهْدِه ... رُدّيْتَ مُوْسَى بُرْدَها فَرَدِّهِ
خليفة الله -بمثل بُرْدِه ... وألْحِم الأمرَ لَهُ وسَدِّهِ

ففي القصيدة دعوة صريحة إلى الخلفية المهدي بأن يولّي عهده لابنيه الرشيد فالهادي.

ومنه أيضا قول أبي الغول الطّهوي في حثّ الخليفة العباسي الرَّشيد على عقد البيعة بولاية العهد لولديه الأمين فالمأمون[3]:

بَنَيْتَ بِعَبْدِ الله بَعْدَ مُحَمّدِ ... ذُرَى قُبّةِ الإسلامِ فاخضرَّ عُودُها
هما طُنُبَاها بارَكَ الله فِيهِما ... وأَنْتَ أميرَ المؤمنينَ عَمودُها

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص22، سنة 147هـ.
(2) طبقات الشعراء لابن المعتز، ص111.
(3) تاريخ الطبري، ج8، ص363، سنة 193هـ، وانظر، ص362. وطبقات الشعراء لابن المعتز، ص149.

وعندما عقد الرشيد البيعة لابنه محمد بمدينة السلام من بعده لولاية عهد المسلمين، وأخذ البيعة له من القواد والجند، وتسميته إيّاه بالأمين، وله يؤمئذ خمس سنين، قال سلم الخاسر[1]:

قَــدْ وفَّــقَ الله الخليفــة إذ بَنَــى ... بَيْــتَ الخليفِــة لِلهجَــانِ الأَزْهَــرِ
فَهْــوَ الخليفــةُ عــن أَبيــه وجــدْهِ ... شَــهداً عليــه بِمَنْظَــرٍ وَبِمَخْبَــرِ
قَــدْ بــايَعَ الــثقلان في مَهْــدِ الهُــدى ... لمحمَّــدِ بــن زُبَيْــدَةَ ابنَــةِ جَعْفَــرِ

وكان الفضل لَمّا تولّى خراسان، أظهر البيعة لمحمد بن الرشيد، فبايع الناس له فقال في ذلك النَّمري[2]:

أَمْسَتْ بمروٍ على التوفيقِ قَدْ صَفَقَتْ ... على يدِ الفَضْلِ أيدي العُجْمِ والعَرَبِ
ببيعَــةٍ لِــوَلِّي العَهْــدِ أَحْكَمَهَــا ... بالنُّصــحِ مِنْــهُ وبالإشــفَاقِ والحــدَبِ
قَــدْ وَكَّــدَ الفضــلُ عقــداً لا انتِقــاض لــه ... لمصــطفىً مــن بنــي العبــاسِ مُنْتَخَــبِ

ولما بايع الناس لمحمد الأمين في جميع الأمصار قال أبّان اللاحقي[3]:

عَزَمْــتَ أَميــر المــؤمنين علــى الرُّشْــدِ ... بِرَأيِ هُــدًى، فالحمــدُ للهِ ذِي الحَمْــدِ

وكان الرشيد عقد لابنه محمد ولاية العهد سنة ثلاث وسبعين ومائة، وسمّاه الأمين، وضم إليه الشام والعراق في سنة خمس وسبعين ومائة، ثم بايع لعبد الله المأمون بالرّقة في سنة ثلاث وثمانين ومائة، وولاه من حدِّ همذان إلى آخر المشرق، فقال في ذلك سالم بن عمرو الخاسر[4]:

بــــايَعَ هــــارونُ إِمــــامُ الهُــــدَى ... لِــذِي الحِجَــى والخُلُــقِ الفَاضِــلِ
المخِلــــفُ المُتْلِــــفُ أَمْوَالَــــهُ ... والضــــامِنِ الأثقــــالَ لِلْحَامِــــلِ

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص240، سنة 175هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص240، سنة 145هـ، وشعر منصور النمري، ص71.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص240- 241، سنة 145هـ.
(4) المصدر نفسه، ج8، ص276، سنة 186هـ.

إلى أنْ يقول:

فـــتمَّ بالمَـــأْمونِ نـــورُ الهـــدى وانْكَشَـفَ الجَهْـلُ عَـن الجَاهِـلِ

ولما بايع الرشيد لمحمد والمأمون، قال عبد الملك بن صالح[1]:

يـــا أيهـــا المَلِـــكُ الَّـــذِي لـــو كـــان نجمـــاً كـــان سَـــعْدا
اعْقِـــــدْ لقاسِـــــمَ بَيْعَـــــة واقْـــدَحْ لَـــهُ في المُلْـــكِ زَنْـــدا
اللهُ فَـــــــرْدٌ واحـــــــدٌ فاجعـــــل ولاةَ العَهْـــدِ فَـــرْدا

فكان ذلك أول ما حض الرشيد على البيعة للقاسم. ثم بايع للقاسم، ثم بايع للقاسم ابنه، وسماه المؤتمن، وولاه الجزيرة والثغور والعواصم، فقال في ذلك[2]:

حُـبّ الخَلِيفَـةِ حُـبٌّ لا يَـدينُ بِـهِ مَـنْ كَـانَ لله عـاصٍ يَعْمَـلُ الفِتَنَـا
اللهُ قَلَّـــدَ هارونـــاً سياسَـــتَنا لَمَّـا اصـطفاهُ فأَحْيَـا الـدِّيَن والسـنَنَا
وَقَلَّـــدَ الأرضَ هـــارونٌ لِرَأْفَتِـــهِ بِنَـــا أَمينـــاً ومأْمُونـــاً وَمُؤْتَمَنَـــا

ولما قَسَم هارون الرّشيد الأَرضَ بين أولاده، قال بعض العامة: قد أحكَمَ أَمر المَلِك، وقال بعضهم: بل ألقى بأسَهُم بينهم، وعاقبةُ ما صنع في ذلك مخوفة على الرَّعية، وقالت الشعراء في ذلك، فقال بعضهم[3].

أَقـــولُ لِغَمَّـــةٍ في الـــنَّفْسِ مِنّـــي وَدَمْـــعُ العَـــيْنِ يَطَّـــرِدُ اطِّـــرَادا
خُـــذِي لِلْهَـــوْلِ عُدّتَـــهُ بحـــزْمٍ سَـــنْلقَى مـــا سَـــيَمْنَعُكِ الرُّقَـــادا
فإنَّـــكِ إنْ بَقيـــتِ رأيـــتِ أَمْـــرَاً يُطِيْـــلُ لَـــكِ الكآبـــة والســـهادا
رَأَى المَلِـــكُ المُهَـــذّبُ شَـــرَّ رَأْيٍ بِقِسْـــمَتِهِ الخِلافَـــةَ والـــبِلادا
رَأَى مـــا لَـــوْ تَعَقَّبَـــهُ بعِلـــمٍ لبَـــيَّضَ مِـــنْ مَفَارِقِـــه السَّـــوادا

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص276، سنة 186هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص276، سنة 186هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص276، سنة 186هـ.

أَرَادَ بِـــه لِيَقْطَـــعَ عـــن بَنِيْـــهِ خلافَهُـــمُ ويَبتـــذِلوا الـــوِدّادا
فقـــد غَـــرَسَ العَـــدَاوةَ غيـــرَ آلٍ وأورثَ شَـــمْلَ أُلفَـــتِهِم بَـــدادا
وَأَلقَـــحَ بَيْـــنَهُمْ حَرْبـــًا عَوانـــًا وسَـــلَّس لاجتنـــابِهِمُ القيـــادا
فَويـــلٌ لِلرّعيّـــةِ عَـــنْ قليـــلٍ لقـــد أَهَـــدى لَهَـــا الكُـــرَبَ الشَّـــدادا

وقد صدقت نبوءَة الشاعر بأن قامت الحرب الضارية بين الأمين والمأمون بعد وفاة الرّشيد.

وقد جدّد هارون الرشيد البيعه لبنيه الثلاثة في الكعبة، فأعاد أخذ البيعة على محمد بن هارون وعلى من كان بحضرته لعبد الله والقاسم، وجعل أمر القاسم في خلعه وإقراره إلى عبدالله إذا أفضت إليه الخلافة، فقال إبراهيم الموصلي في بيعة هارون لابنيه في الكعبة[1].

خَيْـــرُ الأُمـــورِ مَغَبـــةً وأُحَـــقُّ أمـــرٍ بالتَّمـــامِ
أَمـــرٌ قضـــى إحكامـــه الـــرَّ حمـــانُ في البيـــت الحـــرامِ

ولما عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة، قال أبو الغصن الأعرابي[2]:

إنّ وُلاةَ المســـلمينَ الجِلَّـــهْ محمـــدٌ ثـــم أَبـــو عَبْـــدِ اللهْ
ثمَّـــتَ إبـــراهيمُ آبـــي الذَّلـــهْ بُـــورِكَ في بَنِـــي خليفـــةِ اللهْ

وقال إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول يمدح بني المتوكل الثلاثة المنتصر، والمعتز، والمؤيد[3]:

أَضْحَتْ عُرَى الإسلام وَهْي مَنُوطَةٌ بالنَّصْـــرِ والإعـــزاز والتأْييـــدِ
بخليفـــة مـــن هاشـــمٍ وثلاثـــةٍ كَنفَـــوا الخلافـــةَ مـــن وُلاةِ عُهـــودِ
قمـــرٌ تَوالـــتْ حولـــهُ أقمـــارُهُ يكـــنفْنَ مطلَـــعَ ســـعدِهِ بســـعودِ

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص286، سنة186هـ.
(2) المصدر نفسه، ج9، ص176، سنة 235هـ.
(3) المصدر نفسه، ج9، ص181، سنة 235هـ، والديوان ضمن مجموعة الطوائف الأدبية لليمنى لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص131.

كَنَفَتْهُم الآباءُ واكْتَنَفَتْ بِهِمْ فَسعوْا بأَكرمِ أَنفسٍ وجُدُودِ

وعندما خُلع عيسى بن موسى وتمّت البيعة لموسى الهادي، قال بعض الشعراء[1]:

كَرِهَ الموتَ أَبو مُوْسَى وَقَدْ كَانَ في المَوْتِ نجاءٌ وكَرَمْ
خَلَعَ المُلْكَ وأَضْحَى مُلْبَسًا ثوبَ لومٍ مَا تُرى مِنْهُ القَدَمْ

وعندما ارتفعت مكانة يعقوب بن داؤد عند المهدي، قال بشار بن برد[2]:

بَنِي أميّةَ هبّوا طالَ نَومكُمُ إنَّ الخَليفَةَ يعقوبُ بن داودِ
ضاعَتْ خلافَتُكمْ يا قَوْمِ فاطَّلِبوا خَلِيفَةَ الله بَيْنَ الدُّفِ والعود

فالشاعر يخبرنا بسوء إدارة الدولة من الخليفة، لذا صاح ببني أُمَيّة لعلم يرجعون ويقومون بتصحيح مسار الدولة.

وعندما سيطر الترك على أداة الحكم بعد مقتل المتوكل، وكانوا هم الحكام الحقيقيين للدولة، يعزلون الخلفاء ويسفكون دمهم صور ذلك بعض الشعراء لعهد الخليفة المستعين (248-252هـ) فقال[3]:

خَلِيفَةٌ في قَفَصٍ بَيْنَ وَصِيفٍ وَبغَا
يَقولُ مَا قَالا لَهُ كمَا تَقُولُ البَبَّغَا

فالخليفة حينئذ أشبه ما يكون ببغاء في قفص يردد ما يقوله مخاطبه ولا أمر يملكه، فالأمر كله لحاجبيه: وصيف وبغا.

وقال بعض الشعراء في خلع المستعين[4]:

خُلِعَ الخليفةُ أَحمدُ بنُ محمدٍ وسيُقْتَلُ التّالي له أَو يُخْلَعُ

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص128، سنة 162هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص156، سنة 166هـ، والديوان، ج2، ص91 وج4، ص45.
(3) مروج الذهب 4/ 147.
(4) تاريخ الطبري، ج9، ص350، سنة 252هـ.

ويـزولُ مُلْـكُ بنـي أبيـه ولا يُـرى أَحـــدٌ تَمّلـــكَ مـــنهمُ يَســـتَمْتِعُ
إِيهـــًا بنـــي العبـــاس إِنَّ ســـبيلَكُمْ فِي قتـــلِ أعبْـــدِكُمْ طريـــقٌ مَهْيَـــعُ
رَقَّعْـــتُم دُنيـــاكمُ فتمزَّقَـــتْ بِكُـــمُ الحَيَـــاةُ تَمَزُّقـــًا لاَ يُرقَـــعُ

فهذا وصف لما كانت عليه حالة الخلافة في عصر المستعين.

وإضافة لما سبق – نجد شعرا كثيرا متفرقا في كتب الأدب والمجموعات الشعرية يختص بالسياسة، وقد شارك الشعراء في أمور الدولة السياسية، سياسة لها أثرها، فتخبرنا مصادر الأدب والتاريخ أَنّ بعض الشعراء كانوا يرافقون الجيوش الغازية، ولم يكتف الشعراء بالثناء على الخلفاء، بل إنّهم يمدحون من يتصل بهم كالأمراء والولاة والقادة.

وفي مدح الشعراء للخلفاء لم يكن المدح رياءً ولا نفاقا –معظم الأحيان– ولا لغوا من اللغو، بل كان تجسيما لأداة الحكم الصالح، وما ينبغي أن يُنحّى عنه من صور الفساد، كما كانت تجسيما للفضائل التي يريدها الشعب في حكامه وقادته... فقد كانوا يرسمون في مدائحهم مثالية الحاكم كما يريدها الشعب. ويصور الشاعر المثل العليا للشعب وما ينبغي أن يسوده من العدل الذي يصلح حياة الناس.

وكان الشعراء هم الذين يصورون للناس سياسة الدولة، والدولة تستغلهم للدعوة السياسية لها، وكذلك الأحزاب الأخرى مثل العلويين والموالي والخوارج وغيرهم.

9. الصراع بين العباسيين والروم (الحروب الخارجية)

لقد كان الصراع الحقيقي بين العرب والروم أثناء الحكم العباسي. وترجع بداية ظهور الصراع إلى بداية ظهور الإسلام. ذلك أن الإسلام جاء معه بميدأ الجهاد في سبيل الله لنشر الدين الجديد. فخرج المسلمون من شبه جزيرتهم ينشرون هذا الدين في الشعوب المجاورة، فكانت الفتوح وكانت الغزوات، وخلال فترة قصيرة بسط المسلمون نفوذهم في العراق وفارس والشام ومصر. ولاتساع الدولة الإسلامية انتقل مركز الخلافة من الحجاز إلى الشام زمن معاوية بن أبي سفيان وذلك لتوسطها، وبُعد الحجاز عن حدود الدولة الإسلامية مترامية الأطراف، ولقربها من حدود الدولة التي تهدد أمن الدولة الإسلامية وهي دولة الروم.

ومنذ ذلك الوقت كانت الصراع بين العرب والروم؛ العرب يرون أنّهم مطالبون بالجهاد لنشر الدين ويرون أنّ قلعة الكفر الحصينة هي القسطنطينية عاصمة بلاد الروم، فلا بد من غزوها وعرض الإسلام على أهلها، والروم يستشعرون الخطر على كيانهم ودولتهم وعلى دينهم، فهبوا لحشد قواتهم للدفاع عن حدودهم ودينهم ودولتهم وللمحافظة، على ما بقي منها لأنَّ المسلمين سلخوا منها الأراضي السورية.

ولما كانت بلاد الروم كثيرة الجبال وعرة المسالك شديدة البرودة شتاء، كان أنسب وقت يقوم فيه العرب المسلمون بغزواتهم لهذه البلاد هو فصل الصيف. ومن ثم أطلق على هذه الغزوات أو على المحاربين المشتركين فيها -منذ زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه- اسم «الصائفة»، أو «الصوائف».

وقد بدأت الصوائف منذ زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. واستمرت في العهد الأموي، فكانت المنطقة بين القسطنطينية وأنطاكيا مسرحا لحروبهم مع الروم، وقد وصل العرب المسلمون في العصر الأموي إلى القسطنطينية وضربوا الحصار عليها في ثلاث من

هذه الغزوات، ولكنهم لم يتمكنوا من اقتحامها والإيقاع بأهلها، وظلّت القسطنطينية مصدرا للقلاقل زمن العباسيين[1].

وعندما وجه المنصور المهدي إلى الرّي- وذلك قبل بناء بغداد وكان توجيهه إياه لقتال عبد الجبار بن عبدالرحمن، فكفى المهدي أمر عبدالجبار بمن حاربه وظفر به -كره أبو جعفر أن تبطل تلك النفقات التي أنفقت على المهدي، فكتب إليه أن يغزو طبرستان، وينزل الرّي، ويوجه أبا الخصيب وخازم بن خزيمة والجنود إلى الأصبهيذ، وكان الأصبهيذ محاربا للمصمغان ملك دبناوند معسكرا بازائه، فبلغه أنّ الجنود دخلت بلاده، وأن أبا الخصيب دخل سارية، فساء المصمغان ذلك، وقال له: متى صاروا إليك صاروا إليّ، فاجتمعا على محاربة المسلمين، فانصرف الإصبهيذ إلى بلاده، فحارب المسلمين، وطالت تلك الحروب، فوجه أبو جعفر عمر بن العلاء الذي يقول فيه بشار بن برد[2]:

فقُـــل للخليفـــة إنْ جِئتَـــه ... نَصـــيحا ولا خَيْـــرَ في المُـــتَّهمْ

إذا أَيقظتـــك حُـــروبُ العِـــدا ... فَنَبَّـــه لهـــا عمـــراً ثـــمّ نَـــمْ

فتـــى لا ينـــامُ علـــى دِمْنَـــةٍ ... ولا يشـــربُ المـــاء إلاّ بـــدمْ

وكان توجيهه إيّاه بمشورة أبرويز أخي المصمغان، فإنّه قال له: يا أمير المؤمنين، إن عمر أعلم الناس ببلاد طبرستان، فوجّهه، وكان أبرويز قد عرف عمر أيام سنباذ وأيام الرّاوندية، فَضَّم إليه أبو جعفر خازم بن خزيمة فدخل الرُّويان ففتحها، وأخذ قلعة الطّاف وما فيها، وطالت الحرب، فألّح خازم على القتال، ففتح طبرستان، وقتل منهم فأكثر، وصار الأصبهيذ إلى قلعته، وطلب الأمان على أن يسلّم القلعة بما فيها من ذخائر. وكان هذا فتح طبرستان الأوّل.

(1) شعر الصراع مع الروم، د. نصرت عبدالرحمن، ص14، وما بعدها، وص108 ومابعدها.

(2) تاريخ الطبري، ج7، ص510، سنة141هـ، والديوان، ج4، ص160-161.

وظلت الغزوات بين العباسيين والروم سجالا زمن المنصور والمهدي، ففي سنة ثلاث وستين ومائة فتح الرشيد زمن المهدي حصن سمالا واستخدم في ضربه المنجنيق، وقد تم الفتح على أساس ألا يقتل هارون الرشيد أحداً من الأهالي، وألاّ يُرَحَّلوا، وألا يفرق بينهم.

وفي سنة خمس وستين ومائة غزا هارون الرشيد الصائفة مرّة أخرى بجيش قارب مائة ألف رجل وتوغّل في بلاد الروم حتى بلغ القسطنطينية. وهناك جرت بينه وبين إيريني أم ملك الروم مكاتبات الصلح والموادعة وإعطاء الفدية، فقبل منها هارون ذلك، وكان الصلح على أن تدفع إيريني للمسلمين جزية قدرها تسعمائة ألف دينار مرتين كل عام. وقد ذكر مروان بن أبي حفصة هذه الواقعة في قوله لهارون الرشيد، وكان ذلك في عهد ابيه المهدي[1].

أَطَفْتَ بقسطنطينية الرُّوم مُسْنِداً ... إليها القَنَا حتى اكتسىَ الذَّلَّ سوُرها
وما رمتها حتى أَتَتْكَ مُلوُكُها ... بِجِزْيَتِها، والحَرْبُ تَغْلِي قدورُها

ولكن قبل أن تنتهي مدة الصلح نقض الروم الهدنة وغدروا فردَّهم والي الجزيرة وقنسرين من قبل المهدي من حيث أتوا، وظفروا منهم.

وفي سنة سبعين ومائة حج بالناس هارون الرشيد من مدينة السلام: فأعطى أهل الحرمين عطاءً كثيراً، وقَسّم فيهم مالاً جليلاً. وقد قيل: إنّه حَجَّ في هذه السنة وغزا فيها، وفي ذلك يقول داؤد بن رزين[2]:

بِهارونَ لاحَ النُّورُ في كُلَّ بَلْدَةٍ ... وقَامَ بهِ في عَدْلِ سيرَتهِ النَّهْجُ
إمامٌ بِذاتِ اللهِ أَصْبَحَ شُغْلُهُ ... وَأَكْثَرُ ما يُعْنَى بِهِ الغَزْوُ والحَجُّ

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص152، سنة 165هـ. وانظر شعر مروان بن أبي حفصة، ص39.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص234، سنة170هـ.

تَضِيقُ عُيونُ النَّاسِ عن نُورِ وَجْهِهِ إذا مَا بَدا للنَّاسِ مَنْظَرُهُ البَلْجُ
وَإنّ أَمينَ اللهِ هَارونَ ذَا النَّدى يُنيلُ الذي يَرْجوهُ أضعافَ ما يرَجُو

وغزا الصائفة في هذه السنة سليمان بن عبدالله البَكائيّ.

فعلى الرّغم من ارتباط هذه القصيدة بحدثين تاريخيين هما الغزو والحجّ إلا أنّه يعرض كعادة غيره من الشعراء يطلب النوال من الخليفة وجاء الحدث في القصيدة عارضا.

وفي سنة إحدى وثمانين ومائة غزا الرشيد أرض الروم، فافتتح بها عنوة حصن الصفصاف، فقال مروان بن أبي حفصة مصورا هزيمة الروم[1].

وَسُدَّت بِهارونَ الثُغورُ فَأَحكِمَت بِهِ مِن أُمورِ المُسلِمينَ المَرائِرُ
وَما اِنفَكَّ مَعقوداً بِنَصرٍ لِواؤُهُ لَهُ عَسكَرٌ عَنهُ تشَظّى العَساكِرُ
وَكُلُّ مُلوكِ الرومِ أَعطاهُ جِزيَةً عَلى الرَغمِ قَسراً عَن يَدٍ وَهوَ صاغِرُ
لقَد تَرَكَ الصَفصافَ هارونَ صَفصَفاً كَأَنْ لَم يُدَمِّنهُ مِنَ الناسِ حاضِرُ
أَناخَ عَلى الصَفصاف حَتّى اِستَباحَهُ فَكابَرَهُ فيها أَلَجُّ مُكابِرُ

إلى أنْ يقول:

أَبوكَ وَلِيُّ المُصطَفى دونَ هاشِمٍ وَإِن رَغِمَت مِن حاسِديكَ المَناخِرُ

وأكثر ما يلاحظ على هذا الشعر أن الشعراء في تصويرهم لهزائم الروم يعرضون لدفع الجزية، وقلّما يأتي ذكر هزيمتهم دون ذكر دفعهم لها[2].

ونقض الروم الهدنة التي عقدها هارون الرشيد عندما كان وَلِيّاً للعهد مع أم ملك الروم إيريني سنة 165هـ. ففي سنة سبع وثمانين ومائة قامت عصابة من الروم بخلع إيريني من الملك وجعلوا نقفور خليفة لهم.

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص268، سنة181هـ، وج8، ص347-349، سنة193هـ. وشعر مروان، ص53 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص308-309، سنة 187هـ، وج8، ص152، سنة 165هـ.

كتب نقفور إلى الرشيد يقول: «من نقفور ملك الروم، إلى هارون ملك العرب، أَمّا بعد، فإنّ الملكة التي كانت قبلي، أقامتك مقام الرَّخ وأقامت نفسها مقام البَيْدَقْ، فحملت من أموالها ما كانت حقيقا بحمل أمثالها إليها، لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من أموالها، وافتد نفسك بما يقع به المصادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينك»[1].

فلما قرأ الرشيد الكتاب، استفزه الغضب حتى لم يُمَكن أَحداً أن ينظر إليه دون أن يخاطبه، وتفرق جلساؤه خوفا من زيادة قول أو فعل يكون منهم، واستعجم الرأي على الوزير من أن يشير عليه أو يتركه يستبد برأيه دونه، فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم. من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه والسلام[2].

ثم شخص من يومه، وسار حتى أناخ بباب هرقلة، ففتح وغنم، واصطفى وأفاد، وخرّب وحرّق، واصطلم. فطلب نقفور الموادعة على خراج يؤديه في كل سنة، فأجابه إلى ذلك، فلما رجع من غزوته، وصار بالرّقة نقص نقفور العهد، وخان الميثاق. وكان البرد شديدا، فيئس نقفور من رجعته إليه، وجاء الخبر بارتداده عما أخذ عليه، فما تهيأ لأحد إخباره بذلك إشفاقا عليه وعلى أنفسهم من الكرّة في مثل تلك الأيام، فاحتيل له بشاعر من أهل خُرّة يكنى أبا محمد عبدالله بن يوسف ويقال: هو الحجاج بن يوسف التَّيميّ، فقال[3]:

نَقَضَ الذِي أَعْطَيْتَهُ نِقْفُورُ ... وعَلَيْهِ دائرةُ الْبَوارِ تَدورُ

أَبْشِرْ أميرَ المؤمنينَ فإنّهُ ... غُنْمٌ أَتاكَ بِهِ الإلهُ كبيرُ

فلَقَدْ تَبَاشَرتِ الرَّعيّةُ إنْ أَتى ... بالنَّقْضِ عَنْهُ وافِدٌ وبَشيرُ

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص307-308، سنة 187هـ.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص307-308، سنة 187هـ.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص307-308، سنة 187هـ.

وَرَجَـتْ يمينَـكَ أَنْ تعجّـلَ غَـزْوَةً ... تشـفي النفـوسَ مكانُهـا مَـذْكورُ
أعْطَـاكَ جِزْيَتَـهُ وَطَأْطَـأ خَـدَّهُ ... حَـذَرَ الصَّـوارِمِ والـرَّدَى مَحْـذورُ
فأَجرْتَـه مِـنْ وَقْعِهـا وكأَنَّهـا ... بأَكفِّنـا شُـعَلُ الضِّـرَامِ تَطيِـرُ
وَصَـرفْتَ بـالطُّولِ العساكِرِ قـافِلا ... عنْـهُ وجَـارُك آمِـنٌ مَسْـرورُ

إلى أن يقول:

نِقفـور إنَّـك حـينَ تَغْـدِرُ إن نَـأَى ... عَنْـكَ الإمـامُ لجَاهِـل مَغْـرُورُ
أَظَنَنْـتَ حـين غَـدَرْتَ أَنَّـكَ مُفْلِـتٌ ... هبلَتْـكَ أُمـكَ مـا ظَنَنْـتَ غُـرُورُ!
أَلقـاكَ حَيْنُـكَ في زَوَاجِـرِ بَحْـرِهِ ... فَطَمَـتْ عليـكَ مِـنَ الإمـامِ بُحـورُ
إنَّ الإمـامَ عَلَـى اقْتِسـاركَ قَـادِرٌ ... قَرُبَـتْ دِيَـارُكَ أَمْ نَـأَتْ بِـكَ دُورُ
لَـيْسَ الإمـامُ وإنْ غَفَلْنَـا غـافِلا ... عمّـا يَسـوس بِحَزْمِـهِ ويَـدِيرُ
مَلِـكٌ تَجـرَّد للجِهَـادِ بنَفْسِـهِ ... فَعَـدُوُّهُ أَبَـداً بِـهِ مَقْهُـورُ

ويختم التيميُّ قصيدته بذكر نصح الإمام من وجهة نظر الإسلام، فهو فريضة على الرّعيّة:

لاَ نُصْـحَ يَنْفَـعُ مَـنْ يَغُـشُّ إمامَـهُ ... والنّصْـحُ مِـنْ نصَـحائِهِ مشـكُورُ
نُصْـحُ الامـامِ عَلَـى الأَنَـامِ فَرِيضَـةٌ ... ولأَهْلِهَـا كفَّـارَةٌ وَطَهُـورُ

وفي ذلك يقول اسماعيل بن القاسم أبو العتاهية[1]:

قَضَـى الله أن يَصْـفُو لهـارونَ مُلكُـهُ ... وكَـانَ قَضـاءُ اللهِ في الخَلْـق مَقْضِـيّا
تحَلَّبَـتِ الـدنيا لهـارونَ بالرضـا ... فأَصْـبَحَ نِقْفُـوُر لهـارونَ ذِميَّـا

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص309، سنة 187هـ، والديوان مط جامعة دمشق، ص674-675.

وقال التّيميُّ في ذلك أيضا[1]:

لَجَّـتْ بنِقْفـورَ أَسـبابُ الـرَّدى عَبَثـا ... لمَّـا رَأَتْـهُ بِغيـلِ اللّيْـثِ قَـدْ عَبثـا
ومَـنْ يَـزُرْ غِيلَـهُ لا يَخْـلُ مِـنْ فَـزَعٍ ... إنْ فَـاتَ أَنيابَـهُ والمِخْلَـبَ الشَّـبِثا
خانَ العُهود وَمَنْ يَنكُثْ بِها فعَلَى ... حَوبْائِـه، لا علـى أَعدائِـهِ نَكثَـا
كـانَ الإمـامُ الـذِي تُرْجَـى فواضِـلهُ ... أَذَاقَـهُ ثمـرَ الحِلْـمِ الـذِي وَرِثـا
فـرَدّ أُلفَتـهُ مِـنْ بَعـدِ أنْ عَطَفَـتْ ... أَزواجُـهُ أمرهـا يَبْكينَـهُ شـعِثَا

فلمذا فرغ من إنشاده، قال: أَوَقَدْ فعل نقفور ذلك! وعلم أنّ الوزراء قد احتالوا له في ذلك، فكرَّ راجعا في أشدّ وأَغلظ كلفة، حتى أناخ بفنائه، فلم يبرح حتى رضي وبلغ ما أراد، فقال أبو العتاهية[2]:

أَلاَ نَـادتْ هِرَقْلَـةُ بـالخَرابِ ... مِـنَ المَلِـكِ المُوَفَّـقِ بِالصَـوابِ
غَـدَا هـارونُ يَرْعُـدُ بالمنايـا ... ويَبْـرُقُ بالمُـذَكَّرَةِ القِضَـابِ
ورَايـاتٍ يَحِـلّ النَّصْـرُ فِيْهَـا ... تَمُـرّ كأَنَّهـا قِطَـعُ السَّـحَابِ
أَميـرَ المـؤمنينَ ظَفِـرتَ فَاسْـلَمْ ... وأبشِـرْ بالغَنِيْمَـةِ وَالإيَـابِ

ولا شك أنّ أجود الصور التي رسمت للأبطال في القرن الثاني هي بطولة الرّشيد، فقد صوره مروان بن أبي حفصة غداة وصلت جحافله إلى خليج البوسفور، ولم يرتد حتى أذلَّ القسطنطينية وتطامن له ملوكها فدفعوا الجزية له، وأطلقوا سراح جميع الأسرى المسلمين[3].

أَطَفْـتَ بقُسْـطَنْطينيةِ الـرُّومَ مُسْـنِداً ... إليها القَنَا حتى اكتَسى الـذَّلَّ سورُها
ومـا رُمْتَهـا حتـى أَتَتْـكَ مُلوكُهَـا ... بِجزْيتهـا،والحربُ تغلـى قُـدورُها

(1)المصدر نفسه، ج8، ص310، سنة 187هـ. ولم أجد هذه القصيدة في الديوان.
(2) تاريخ الطبري، ج8، ص310، سنة 187هـ. ولم أجد هذه القصيدة في الديوان.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص152، سنة 165هـ، وج8، ص318، سنة189هـ. وانظر شعر مروان أبي حفصة، ص39-40.

وفُكَّتْ بِكَ الأَسرىَ التّي شُيّدَتْ لها محـابِسُ مـا فيهـا حَمـيمٌ يَزورُهـا
على حِين أعيَا المسلمينَ فِكاكُها وقالوا: سُجُونُ المشرِكينَ قُبورُها

وفي سنة تسعين ومائة فتح الرشيد هرقلة، وبثّ الجيوش والسرايا بأرض الروم، وكان دَخَلَها -فيما قيل- في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألف وخمسة وثلاثين ألف مرتزق، سوى الأتباع والمطوّعة ومن لا ديوان له، وكان فتح الرّشيد هرقلة في شوّال، وأخربها وسبى أهلها بعد مقام ثلاثين يوما عليها وكان شخوص الرّشيد إلى بلاد الروم لعشر بقين من رجب، واتخذ قلنسوة مكتوبا عليها «غازٍ حاجٌّ» فكان يلبسها، فقال أبو المعالي لي الكلابّي[1]:

فَمَـنْ يَطلُـبْ لقِـاءَكَ أَوْ يُـرِدْهُ فَبِـالحَرَميْنِ أَو أقصـى الثُّغـورِ
فَفِـي أَرْضِ العَـدُوَّ علـى طِمِـرٍّ وفي أَرْضِ التَّرَّفـهِ فَـوْقَ كُـورِ
وَمَـا حـازَ الثُّغـورَ سِـواكَ خَلْـقٌ مِـنَ المُتخلِّفـينَ عَلَـى الأُمـورِ

وبعد ذلك بعث نِقفور إلى الرّشيد بالخراج والجزية، عن رأسه وولّي عهده وبطارقته وسائر أهل بلده خمسين ألف دينار، وكتب نقفور مع بطريقين من عظماء بطارقته في جارية من سبي هرقلة كان نقفور قد خطبها لابنه، فردّها الرّشيد إليه مزينة وبعث إليه معها بما سأل من العطر والتمور والأخبصة والزبيب والترياق والمتاع، فردّ نقفور هديّة الرّشيد بأن بعث خمسين ألف دينار ومائة ثوب ديباج ومائتي ثوب بزيون[2] واثني عشر بازيّا، وأربعة أكلب من كلاب الصيد، وثلاثة براذين.

وفي سنة إحدى ومائتين افتتح عبدالله بن خرداذبه وهو والي طبرستان اللارز والشيرز، من بلاد الديلم، وزادهما في بلاد الإسلام، وافتتح جبال طبرستان، وأنزل شهريار بن شروين عنها: فقال سلَّام الخاسر[3] يريد سلما بن عمرو الخاسر:

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص320- 321، سنة190هـ.
(2) البزيون ضرب من نسيج البز أو من رقيق الديباج، مركب من «بز» ومن «يون» أي يشبه البز. وانظر الألفاظ الفارسية لأدي شير، ص22.
(3) تاريخ الطبري، ج8، ص556، سنة 201هـ.

إنّـا لنَأمُـلُ فـتحَ الـرُّومِ والصَّـينِ بمـن أَدَال لنـا مِـنْ مُلْـكِ شَـرْوِينِ
فاشْـدُدْ يـديك بِعَبْـدِ الله إِنَّ لَـهُ مـع الأمانَـةِ رَأْيٌ غيُـر مَوْهُـونِ

وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين أوقع توفيل بن ميخائيل صاحب الروم بأَهل زِبَطرة، فأسرهم وخرَّب بلدهم، ومضى من فورهِ إلى ملطية فأغار على أهلها وعلى أهل حصون من حصون المسلمين إلى غير ذلك، وسبا من المسلمات أكثر من ألف امرأة، ومثل بمن صار في يديه من المسلمين وسمل أعينهم، وقطع آدانهم وآنافهم. وحين بلغت الأخبار الخليفة المعتصم غضب غضبا شديدا، وفكر في الخروج إلى بلاد الروم، ولكنه أدرك أنّه لا ينبغي له أن يحارب على جبهتين قويتين في وقت واحد، فأرجأ أمر الروم إلى حين يفرغ من أمر بابك، واكتفى بأن أرسل مددا إلى أهل زِبطرة.

كانت ثورة بابك الخُرّميّ ما تزال مقلقة للخلافة العباسية، وهي الفتنة التي بدأت في سنة 202هـ حين رفع بابك راية العصيان على الخلافة العباسية في منطقة البَذّ. وقد ادّعى بابك الألوهية، وأحلَّ لمن استهواهم النهب والاغتصاب والقتل والتمثيل بالغير[1]. وقد أتعب أمره المأمون إذ لم تستطع جيوشه القضاء على بابك وثورته، لكثرة من كانوا معه، ولتحصنه في الجبال الوعرة، بل إنّه أَسر من قواده الإسكافي وقتل الطُوسي.

ومات المأمون دون أن تنتهي هذه الثورة، لكنه أوصى أخاه المعتصم أن يولي هذه الفتنة جُلَّ اهتمامه، وأن يخرج بنفسه لإخمادها.

وأدرم المعتصم حجم الفتنة فألقى بثقله الحربي نحو المشرق ليقضى على بابك وأتباعه، فكتب بابك رسالة إلى تيوفيل بن ميخائيل ملك الروم بخبره بأن الفرصة صارت مواتية ليهاجم أرض المسلمين، لكي يخفف عن نفسه العبء حين يبدأ تيوفيل هجومه فيضطر جزء كبير من جيش المسلمين إلى التوجه غربا لحرب تيوفيل.

(1) تاريخ الطبري، ج9، ص11 وما بعدها.

وطالت الحرب بين الإفشين -قائد جيوش المعتصم- وبين بابك لوعورة المنطقة، ولتوقفهم عن الحرب شتاء، حيث كانت القلوج تغطى الجبال، إلى أن وقع بابك في يَدي الإفشين، فجاء به إلى سامرّاء، حيث أمر المعتصم بقتله وصلبه.

وبعد أن فرغ المعتصم من الجبهة الشرقية بقتل بابك الخُرَّميّ، سأل عن أمنع حصون الروم- ليثأر لزبطرة مسقط رأسه- فقيل له عمورية. وتصادف أن كانت عمورية مسقط رأس تيوفيل، عند ذاك قرر المعتصم التوجّه إلى عمورية.

وقد جهز المعتصم جيشا ضخما فيه كبار قواده، فاجتاز الثغور حتى بلغ أنقرة، فاستسلمت دون عناء، ووصل إلى عمورية فهاجمها وأخذ يضرب سورها وأبراجها بالمنجنيق حتى تهدَّم جزء من السور، ورفض المعتصم الهدنة، وفتح المدينة وأشعل النار فيها فأحرقها.

وقال الحسين بن الضحاك يمدح الأفشين- وهو أحد قادة المعتصم الذين هاجموا عمورية- ويذكر وقعته التي كانت بينه وبين ملك الروم[1] قبل الوصول إلى عمورية:

أَثْبَتَ المعصومُ عزّاً لأبي ... حَسَنٍ أثبَتَ مِنْ رُكنِ إضمْ
كُلُّ مجْدٍ دُونَ ما أَثلَهُ ... لِبَني كاوُسَ أملاكِ العجمْ
إِنَّما الأفشينُ سيْفٌ سلَّهُ ... قَدَرُ اللهِ بكفّ المْعتصمْ
لَمْ يَدَعْ بالبَذَّ مِنْ ساكِنَة ... غير أَمثال كأمثالٍ إرَمْ
ثمّ أَهْدَى سَلَماً بَابِكَهُ ... رهَنْ حجليْنِ نجيّاً الندمْ
وقَرَا تَوْفيلَ طَعناً صادقاً ... فضَّ جمْيَعْهِ جميعاً وهزمْ
قُتِلَ الأكثرُ مِنْهُمْ وَنَجَا ... مَنْ نَجَا لَحْماً على ظَهَر وضمْ

ومنذ عصر المهدي بدأ القتال مع الروم يشغل بال الخليفة فيسير الصوائف إلى بلاد الروم، ويرسل ولده الرّشيد فينجح في غاراته حتى بلغ البوسفور.

(1) تاريخ الطبري، ج9، ص70-71، سنة 223هـ.

وجاء الرشيد ففتح صفحة جديدة، فقد باشر هذه الحرب بنفسه، وأخذ الشعراء يضمنون شعرهم بوصف المعارك ومدح الأبطال وتصويب جرائم الروم، ومن هؤلاء الشعراء مروان بن أبي حفصة، وأبو نواس، والمنصور النَّمري، والتيميُّ، وأشجع السُّلمي وأبو العتاهية[1].

وفي عهد المأمون خلت السنوات الأولى من خلافته من الحرب مع الروم، لكنه خرج بنفسه غازيا بلاد الروم في شهر المحرم من سنة خمس عشرة ومائتين، وأوغل في بلاد الروم وفتح حصن قُرَّة، وحاصر حصن مرَّة وفتح أخوه إسحاق عددا من القلاع والحصن.

وحين جاء المعتصم إلى الخلافة كانت فتنة بابك الخُرَّمي، فلما انتهى منه تفرغ لغزو الروم، وهنا تطل علينا معركة عمورية، وتطل معها مجموعة من القصائد لأبي تمام والحسين بن الضّحاك ولعلي الجهم وللزيات ولإبراهيم بن المهدي.

كما نجد قصائد أخرى في القادة أمثال قصائد الحسين بن الضحاك في الإفشين ولأبي تمام في خالد بن يزيد الشيباني، وعدة قصائد لأبي تمام أيضا في بطولة أبي سعيد الثَّغري، وست قصائد للبحتري في أبي سعيد الثَّغري وثلاثا في ولده يوسف[2].

وقد يكون هناك قصائد أكثر مما سبق أن ذكرت، لكن الأحداث الداخلية قد شغلت الشعراء أكثر مما شغلتهم الحرب مع الروم، والخلاف الذي استحكم بين الأمين والمأمون أدّى إلى معارك بين المعارضين لحكم المأمون والمؤيدين له. ولكن هل واكب الشعر في تاريخ الطبري الحروب الخارجية؟

لقد حاولت في هذا الجزء من الفصل حصر جميع القصائد التي قيلت في الحروب الخارجية من تاريخ الطبري والدواوين والمجموعات الشعرية، لكن الطبري لم يضمن تاريخه إلاّ جزءاً يسيرا من هذه القصائد. وإنني أعجب غاية العجب كيف أن الطبري لم

(1) شعر الصراع مع الروم، د. نصرت عبدالرحمن، ص63.
(2) المرجع نفسه، ص96.

يورد قصيدة فتح عمورية لأبي تمام ومدحه المعتصم! في حين أنّه ذكر قصائد في مناسبات أقل من هذه المناسبة، وذكر قصائد أيضا لشعراء أقل مرتبة من أبي تمام، وذكر قصائد أقل منها قيمة فنية.

لقد قلت في فصل الأغراض الشعرية، إنّ الطبري لم يورد شعرا في مدح المعتصم في حين أنّه أورد شعرا في رثائه، أكان الطبري غير راض عن الخليفة المعتصم؟ أم أنّه غاضب على الشاعر، ولكنه أورد شعرا له.

وبعد فإنّ أهم الملاحظات على الشعر العباسي في تاريخ الطبري أن بعض الشعراء اشتغلوا بهمومهم التكسبية، ولم يلتفتوا إلى ماقد يصيب الفرد أو الجماعة من هموم ومآس نتيجة الثورات والفتن التي قد يكون دافعها عصبية أو عقيدة أو مذهبا أو طموحا.

ولعل أوّل حدث يصيب الحاضرة العباسية حدث الفتنة بين الأمين والمأمون والحرب الأهلية التي شَلَّت جوانب الحياة الحضرية وأوشكت أن تودي بها. لقد استمرت هذه الأحداث فترة طويلة من الزمن اضطربت خلالها حياة الناس ومكاسبهم وعلاقاتهم. إنّ هذه المآسي التي لقيها كل فرد في بغداد وما يجاورها لا تكاد تجد لها صدى في نفوس كبار الشعراء الذين عاصروا هذه الأحداث. ولقد عاصرها جملة منهم يُعَدّون من أبرز شعراء العصر؛ فمسلم بن الوليد اشتهر بمدح كبار الشخصيات، لكننا لانجد ذكرا لهذه الأحداث البارزة في التاريخ في شعره أو شعر أبي تمام. وسبب ذلك أنهّما تركا عاصمة الخلافة في وقت مبكر واشتغلا بالبريد. وكان أشجع السُلمي من شعراء المديح، وذكر نكبة البرامكة في شعره، لكنه آثر عدم ذكر أحداث هذه الفتنة. ولعل سبب ذلك راجع إلى انعدام الصلة بينه وبين الحاضرة العباسية إلا بقدر اتصاله بالخليفة، فهو يفد إلى بغداد للتكسب والنزول عند أصحابه، أو أن الشعر المختص بهذه الأحداث لم يصل إلينا.

ولقد أوشك شعراء -لايعدون عند مؤرخي الأدب في عداد الشعراء- أن يختصوا بهذه الأحداث، ولا نجد لهم شعرا في غير أحداث الفتنة التي عاشوها وأوشكو أن يقصروا

شعرهم على أحداثها وهذا الشعر لاتورده كتب الأدب أو النقد، وإنّما عنيت به كتب التاريخ العام، ويتسم بعفوية وواقعية تامة[1].

وأهم هؤلاء الشعراء شاعران روى لهما الطبري مجموعة من الأشعار في هذه الأحداث وحدها، هما عمرو بن عبد الملك الوراق والخُريميّ، ويمتاز شعرهما بصدق النبرة والتفجع الذي يصور تفاصيل الحدث تصويرا صادرا عن معاينة، لذلك فهي تصلح لأن يستشهد بها المؤرخ، فهي نقل أمين للواقع الذي عاناه الناس وشهده الشاعر.

وقد قمت بإحصاء الشعر الذي قاله كل من عمرو الوراق العتري والخُزَيميّ ومسلم بن الوليد في تاريخ الطبري، فوجدت أن الوراق قد قال مئة وسبعة وستين بيتا، والخُزَيميّ قال مئة وأربعين بيتا، أما مسلم بن الوليد فلم يورد له الطبري إلا بيتين فقط، وهذا يبرهن على أن شعر العتري والخريميّ قريب من الحياة في العصر العباسي، وهذا يؤكد قرب هذا الشعر من الشعبية ولغة الحياة اليومية، أمّا شعر مسلم بن الوليد فربما أنه انقطع من الشعب واتجه للحكام، لأنّ مسلما خرج في وقت مبكر من عاصمة الخلافة -كما أسلفت- لاشتغاله بالبريد.

لقد كان الشعر مواكبا للأحداث السياسية في تاريخ الطبري في القرنين الثاني والثالث الهجرين، فقد كان الطبري يستشهد بشعر على معظم الحوادث التي ذكرها في تاريخه، ولكنه قد يسرد مجموعة من الحوادث لا يستشهد فيها بشعر، وربما عاد هذا إلى عدة أسباب منها:

1. عدم استساغته لإيراد هذا الشعر، فقد يكون رخيصا أو متنافيا مع أخلاق الطبري وورعه، رغم أنّه أورد شعرا من هذا القبيل في عدة مواضع في تاريخه.

(1) الشعر في الحاضرة العباسية، د. وديعة نجم، ص81.

2. وجود شعر لشعراء لا يريد الطبري أن يستشهد بهم، ولو كان الشعر لشاعر آخر لاستشهد به، أو أنّه اكتفى بهذه الأشعار فهو لا يريد المزيد منها في تاريخه، ولأنّ الكتاب كتاب تاريخ وليس كتاب أدب أو شعر.
3. عدم وجود شعر في الأصل لهذه الحادثة أو تلك.

وقد كان الطبري يكتب في تاريخه مجموعة من الحوادث دون الاستشهاد بالشعر، فمثلا كان يكتب أكثر من مئة صفحة دون أن يورد بيتا واحدا من الشعر[1]. وقد يكتب الشعر في كل صفحة أحيانا، وقد يورد عدة صفحات من الشعر في حادثة واحدة.

ولكن هل كانت الحوادث التي لا يؤيدها الطبري بالشعر لَمْ يقل فيها الشعراء شعرا، فمثلا يروي أبو الفرج الأَصفهاني عن أشجع السُّلمي خبرا فيقول[2]: «شخصت من البصرة إلى الرَّقَّة، فوجدت الرشيد غازيا، ونالتني منه خلّة، فخرجت حتى لقيته منصرفا من الغزو، وكنت قد اتّصلت ببعض أهل داره، فصاح صائح بابه: من كان ههنا من الشعراء فليحضر يوم الخميس فحضرنا سبعة وأنا ثامنهم، فبكرنا وأدخلنا، وقدم واحد واحد منا ينشد على الأسنان، وكنت أحدثهم سنا، وارثَّهم حالا، فما بلغ إليّ حتى كادت الصلاة أن تجب، فقدمت والرشيد على كرسي وأصحاب الأعمدة بين يديه كما كان، فقال لي: أنشدني، فخفت أن ابتدئ من أول قصيدتي بالتشبيب فتجب الصلاة، ويفوتني ما أردت، فتركت التشبيب وأنشدته في موضع المديح في قصيدتي التي أولها:

تذكّر عهد البيضِ وهو لَها تِرْبُ ... وأَيام تصبى الفانياتِ ولايصبُو

فابتدأت قولي في المديح:

إلى مَلِك يستغرق المالَ جُودُه ... مكارمُه نثرٌ، ومعروفه سكبُ
ومَا زَال هارونُ الرضا ابن محمّدٍ ... له من مياه النَّصر مقربُهُ العذبُ

(1) تاريخ الطبري، ج9، ص366، ج9، ص454، ج9، ص420-662 وغيرذلك.
(2) الأغاني، ط. بولاق، 17: 31.

فضحك الرشيد، وقال لي: خِفت أن يفوت وقت الصلاة فيقطع المديح عليك، فبدأت بهِ، وتركت التشبيب، وأمرني بأن أنشده إياه، فأمر لكل واحد من الشعراء بعشرة آلاف درهم، وأمر لي بضعفها.

تدل مثل هذه الإشارة على أن ثمانية شعراء قد قالوا ثماني قصائد في عودة الرّشيد من الغزو، ولا بد أن يكون هؤلاء الشعراء قد عرضوا للغزوة، فالمناسبة تفرض ذلك والأبيات التي رواها الأصفهاني لأشجع تدلُّ على أنّ الشاعر قد عرض للحرب مع الروم. ولكن ما قاله الشعراء السبعة غير معروف.

ونجد خبرا آخر في الأغاني ومجالس ثعلب، يذكر أن نفرا من الشعراء قد قدموا إلى الرشيد في الرّقّة وكان قد ضرب أعناق قوم في تلك الساعة، فجعلوا يتخللوا يتخللون الدماء[1]. وهي صورة مفزعة، وعندما نقرأ ماروي في تلك المناسبة نجد اهتمام الرواة قد انصرف إلى ما قاله الشعراء في وصف القصر.

وكذلك فإنّنا إذا طالعنا الشعر الموجود في دواوين الشعراء نجد أنّه واكب مجموعة كبيرة من الأحداث السياسية التي رواها الطبري دون إيراد شواهد شعرية، فالمطلوب من المؤرخ ليس رصد الشعر وإنّما التمثيل بالشعر على بعض الحوادث التي يراها هو أنّها مهمة.

والطبري مثل أكثر المؤرخين الذين كتبوا في التاريخ العام، قصر اهتمامه على التأريخ السياسي متأثرا بروحية العصر الذي عاش فيه، وبالنظرية التي كان يدين لها جمهرة المؤرخين، ليس في العالم العربي فحسب بل في العالم الخارجي كذلك[2].

ولما كان الخلفاء والملوك والسلاطين هم الذين كانوا يسيطرون على الشعب، ويسيرون أمور الحروب، لم نطمع من الطبري في أنْ يذهب في تفسير التأريخ على طريقة

(1) الأغاني ط بولاق، 17: 31، ومجالس ثعلب، ط دار المعارف، 2: 447.

(2) موارد تاريخ الطبري، د. جواد علي، ط1، ص175- 176.

أخرى، كذلك لم يؤمل أن يرى مثل هذا التفسير يصدر من شخص آخر غير الطبري، فلم يكن للشعوب، ولا للرأي العام قوة في العالم إلى القرن الثامن عشر، حتى يفطن المؤرخون إليها، ولهذا انصرفت عنايتهم إلى الشؤون السياسية والعسكرية في التاريخ.

وصفوة القول: إنّ الشعر في تاريخ الطبري كان مواكبا للأحداث السياسية، لأنَّ تاريخ الطبري يركّز أكثر ما يركّز على هذه الأحداث.

وإذا كان قد بدا للدارس أنّ الشعر قصَّر في تغطية بعض الأحداث فربما أن تكون تلك الأحداث لم تُثِر اهتمام المؤرخ للاستدلال عليها بالشعر، أو ربّما أنّ هذه الأحداث واضحة لا يلزمها الشعر لتأكيد صحتها، أو للأسباب التي أوردتها آنفا بالنسبة لعدم الاستشهاد بالشعر.

ولقد فات الطبري أن يستشهد ببعض الأشعار على بعض الأحداث المهمة كفتح عمورية في عهد المعتصم وما قيل فيها من شعر، وكالحرب التي دارت بين المنصور ومحمد النّفس الزكّية وأخيه إبراهيم، وهذه أحداث جسام في مسيرة الدولة العباسية وانعطافات بارزة لم يكن أمام المؤرخ بد من أن يستشهد فيها بشعر، كما فاته أيضا الاستشهاد بشعر كثير على مختلف المجالات في هذا الفصل، وقد أوردت جزءا من هذا الشعر لتوضيح صورة الصراع بين العباسيين وخصومهم، وتوضيح صورة الزندقة أيضا.

الفصل الثاني

مصادر الشعر العباسي
في تاريخ الطبري

1. الرواية والرواة

دعا النظام القبلي الذي كان أساس النظام الاجتماعي والسياسي في شبه جزيرة العرب إلى العناية برواية تاريخ القبيلة وتاريخ القبائل التي ترتبط معها بحلف أو نسب، والعناية بصورة خاصة بحوادث «الأيام» وهي حوادث اجتماعية، وما ورد فيها من مفاخرة ومدائح ومثالب في الخصم، وقد كان الشعر هو المادة الأساسية في رواية الأيام، تتخلل كل رواية أبيات أو قصائد قد يكون لها مناسبة مع الحادث وربما لا يكون لها مناسبة، وقد يكون دخوله لأسباب ثانوية كأن يكون شرحا أو تقريرا لفرع من فروع الأصل. وأيّا كان الأمر فقد كان الشعر هو الأساس في عرف رواة الأيام، وقد يكون وجوده هو السبب في بقاء الرواية برمّتها، حتى إنّه إذا نُسيت الأشعار اندثرت الروايات القديمة باندثارها[1].

وكان للرواة القدماء ولع خاص بتضمين رواياتهم مادة شعرية يمكن إدراك سعتها من إلقاء نظرة خاطفة على أحد الكتب القديمة التي أُلفت في هذا التأريخ، مثل كتاب «التيجان في ملوك حمير» رواية أبي محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المتوفى سنة 213 أو 218هـ. أو كتاب «أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها»، أو كتاب «نهاية الأرب في اخبار الفرس والعرب» لعبد الملك ابن قريب الأصمعي، وهو رجل مقتصد بعض الاقتصاد في استعمال الشعر في الرواية بالنسبة لمن تقدمه من الأخباريين والأدباء. أو كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام الذي خلّف شعرا كثيرا من السير النبوية لابن إسحاق، حتى بقي خمس هذا الكتاب شعرا.

وبالنظر إلى تجدد ظهور العصبيات في العصر الأموي، لقي علم الأنساب عناية خاصة أدّى إلى ازدهارها في القرن الثاني على الأخص، فقد تمكن المتخصصون فيه من تدوين محصوله في كتب ومن تنسيق علمهم وتبويبه في فصول وأبواب تحمل طابع العلم، وعلى رأس هؤلاء النسَّابة الكوفي محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة 146هـ[2]، الذي اعتمد

(1) دائرة المعارف الإسلامية، ص484.

(2) الفهرست، ص95، ابن خلكان 2/ 195.

عليه أكثر من جاء بعده من علماء الأنساب بالرواية والنقل من كتبه، وله أربعة كتب مشهورة في أولها كتاب الجمهرة، في معرفة الأنساب، وله في النسب كتاب «المنزل» وهو أكبر من الجمهرة، وكتاب «الفريد» صنعه للمأمون في الأنساب، وكتاب «الملوكي» صنعُه لجعفر البرمكي في الموضوع نفسه.

ومنهم ولده هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة 204هـ الذي عني عناية خاصة بتنظيم بحوث والده وتنسيقها وتوسيع نطاقها وإخراجها للناس[1]. كما عُني بتنظيم روايات من تقدمه ومن عاصره من العلماء مثل أبي مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الذي تخصص بالأنساب وبالأحداث، ولاسيما أحداث العراق والفتوح[2]. ومنهم عوانة بن الحكم الكلبي المتوفى سنة 147هـ، وهو من علماء الكوفة المبرزين[3].

وساهم رواة الشعر وعلماء اللغة مساهمة فعلية في تدوين التاريخ، ولما كان الشعر ديوان العرب، فقد صاحب دراسة الشعر دراسة المناسبات التي قيل من أَجلها، وإيضاح غوامضه والتعرض للأيام والرّجال وما يستلزم ذلك. كما صاحب الدراسة اللغوية والبحوث عن الكلمات الغريبة أو الأمثال أو اللهجات دراسة الأمكنة والقبائل والأيام والرجال وغير ذلك، وقد تكونت من هذه الدراسات ثروة تاريخية عظيمة أفادت المؤرخين فائدة كبيرة، حتى كاد يكون من الصعب فصل التاريخ عن الأدب أو التمييز بين رواة التاريخ، ومن هؤلاء المؤرخين أبو عبيدة المتوفى سنة 240هـ، وابن النديم يعدد له مائة كتاب وثلاثة كتب، وهي متعددة الموضوعات متشعبة الجوانب، وعناوين كتبه تدل على أَنّه ألّف في الأدب من شعر وشعراء، وفي اللغة والنحو، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث،

(1) الفهرست، ص93.

(2) المصدر نفسه، ص134.

(3) المصدر نفسه، ص85-86.

والأنساب، والقبائل، وأيام العرب ومآثرهم ومساوئهم، كما ألّف في التاريخ في العصرين الجاهلي والإسلامي، والفتوحات[1].

ومنهم الهيثم بن عدي المتوفى سنة 209هـ، ومؤلفاتهم تتسم بالكثرة، فله كتب في التاريخ مثل كتاب المعمرين، وكتاب نزول العرب بخراسان، كتاب التاريخ على السنين، وله كتب في الأنساب مثل: بيوتات العرب، نسب طيء، وفي الطبقات مثل: طبقات الفقهاء والمحدثين، طبقات من روى عن النبي ﷺ من الصحابة، كتاب تسمية الفقهاء، والمحدثين وغير ذلك[2].

ومنهم محمد حبيب المتوفى سنة 240هـ، والأصمعي عبدالملك بن قريب المتوفى سنة 216هـ، وله مجموعة كبيرة من الكتب في مختلف الموضوعات، ومنهم السّكري ابن سعيد المتوفى سنة 275هـ، وغيرهم، وكانوا يعدون حلقة اتصال بين الأدب والتاريخ، ولم تفصم عرى هذه الحلقة التي تكونت بين الأدب والتاريخ حتى اليوم، فما زال أكثر رجال الأدب يكتبون التاريخ.

والظاهرة البارزة التي نراها عند المؤرخين القدماء هي أَنّ أَغلبهم كانوا من أَصحاب الحديث، فكانوا يتبعون في تدوينهم وفي معالجتهم للتاريخ أسلوب المحدثين، فظلت طريقة «الإسناد» مرعية رعاية تامة إلى نهاية القرن الثالث الهجري. وقد جرّح جماعة من المحدثين قسما من أصحاب التواريخ مثل ابن اسحاق لأَنّه تساهل في الأسانيد.

وقد اعتمد الطبري في كل فصل من فصول كتابه على مصادر كثيرة، منها شفهية أخذها سماعا من مشايخه، ومنها مؤلفات أجيز بروايتها فأَخذ منها، وقد جمع كتابه من مصادر كثيرة، فأظهر مقدرة فائقة في الجمع بين المصادر والاطلاع على كتبٍ أُلّفت قبله.

(1) مناهج التأليف عند العلماء العرب، د. مصطفى الشكعة، ص128.

(2) المرجع نفسه، ص149.

ولقد تساهل الطبري بالأسانيد في كتابه اختلاف الفقهاء، أَمّا في كتاب تاريخ الرسل والملوك فتشدد في الإسناد، وحافظ عليه، وكانت الرواية على نضج تام على طريقة أهل الحديث، فتبدأ الحوادث عنده بذكر السّند أولاً كأن يقول: «حدثني ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال: حدثني محمد بن اسحاق عن نافع بن عمر قال: ... أو حدثنا محمد بن عبدالله بن عبدالحكم قال: حدثنا أيوب بن سويد عن الأوزاعي قال: حدثنا إسماعيل بن عبدالله قال قدم أنس بن مالك على.... فقال له.... ، وهي صيغ مقبولة عند المحدثين، متصلة السّند ليس بينها فاصل ولا قطع. وسار على ذلك جملة في الكتاب إلا في مواضع يظهر أَنّه لم يأخذها على طريقة الرواية، وإِنّما أخذها من الكتب او عن طريق الإجازة بالرواية من الكتب، فذكر عبارات لا تستحب عند المحدثين أهمل فيها اسم المحدث مثل قوله: حدثت عن فلان... أَنّه قال: حدثني... أَو ذكر عن فلان أَنّه قال.

واستخدم في الأجزاء الأخيرة من كتابه مثل هذه الصيغ: ذكر لي بعض أصحابي... ، أو ذكر لي جماعة من أَصحابنا... أَو ذكر من رآه وشاهده... ، أَو حدثني جماعة من أهل العلم... أو أخبرني جماعة من أهل الخبرة... أو ذكر هذه القصة بعض أصحابنا عمن حدثه أَنّه حضر، وهي صيغ ولا شك تدل على التساهل في السند، ولعله فعل ذلك إِرضاءً لمحدثيه الأَحياء، وخوفا من غضب من يشملهم الحديث، لما لهذه الأحاديث من علاقة بالسياسة العامة.

واستعمل أحيانا صيغا تدل على أنّه نقل من المؤلفات بلا واسطة مثل قوله: قال ابن الكلبي... أو قال: محمد بن اسحاق... أو قال الواقدي... ، أو ذكر ابن الكلبي. وقلما كان يذكر اسم الكتاب، وإذا سمع من انسان مشافهة قال: حدثني فلان، فإذا اشترك معه في السماع آخرون قال: حدثنا فلان وسلسل السنّد إلى مصدره الأوّل، وكان يعتمد أحيانا على المراسلة فيقول مثلا: كتب إِليّ السَّدّي عن فلان.... إلخ.

وأمثال ذلك كثير، وهي صيغ ترد عند مؤلفين آخرين ممن لم يتقيدوا بالسَّند، أو لم يكن من عادتهم التمسك بالسنّد تمسكًا تامًا، مثل البلاذري في أنساب الأشراف.

ولما كانت الرواية هي الطريقة المحببة إلى نفس الطبري في تأريخه والرواية لا تستلزم ذكر أَسماء الكتب، إِنَّما يقوم اسم الراوي مقام كتابه، مع ما في هذه الطريقة من أخطاء وجدنا الطبري يعرض عن ذكر المراجع الكتابية التي اعتمد عليها، ولم يشذ عن هذه القاعدة إِلا في مواضع معدودة، كالذي قاله مرّة حكاية عن عمر بن شيبة البصري الأخباري المتوفى سنة 262هـ[1]، وهو صاحب مؤلفات كثيرة من الأخبار، منها كتاب الكوفة، وكتاب مكة، واعتمد الطبري على كتبه فاقتبس منها في كتابه، قال: وحدثني عمر مرة أخرى في كتابه الذي سمّاه «كتاب أهل البصرة فقال: ... [2]، غير أن هذه المواضع تعد بالنسبة للنسق الذي سار عليه الطبري في كتابه «تاريخ الرّسل والملوك» من قبيل الشواذ.

وكان الطبري متيّما بالروايات، يذكرها على علاتها، وللقارئ أَن يستخرج منها ما يشاء، وأن يعتقد فيها ما يشاء، لا يهمه ذلك بقدر ما تهمه الناحية التعليمية من التاريخ.

وكان المؤرخون المسلمون يعتمدون على الروايات الشفوية، فكان كل جيل منهم يستمد أخباره من الجيل السابق، وكان الخبر التاريخي يستمد من السماع عن الحُفّاظ الموثوق بهم وهو ما يعرف بالأسانيد.

ولقد اعتمد المؤرخ المسلم بعد انتشار التدوين في القرن الثاني للهجرة إلى جانب الذاكرة والحفظ على الكتب التاريخية التي سبقته، ولم يلبث المؤرخ المسلم أن تحرر تدريجيا من طريقة الإسناد التي كان يلتزم المؤرخ المسلم بأَن يكون مجرد إِخباري.

وقد ظل العلماء يهتمون بالأنساب والمجموعات الشعرية، فلقد أَلّف بعض العلماء في الشعراء، فأَلّف ابن سلام الجمحي طبقات الشعراء وأَلّف ابن قتيبة كتابه «الشعر والشعراء»، وأَلّف ابن المعتز طبقات الشعراء المحدثين، وأَلّف الجهشياري كتاب الوزراء والكتاب، وأَلّف الصولي كتاب الأوراق.

(1) الفهرست، 163.

(2) المرجع نفسه، ص163.

وكان المؤرخون المسلمون يحلون تواريخهم بكثير من القصائد الشعرية، فيبينون المناسبات التي قيلت فيها، أو الأَحداث المذكورة بها، والأَشخاص المتصلين بها.

ولقد كان الطبري شاعرا بارعا، ففي مصر لقيه أَبو الحسن علي ابن سراج المصري، فوجده فاضلا في كل ما يذاكره به من العلم، ويجيب في كل ما يسأله عنه حتى سأله عن الشعر، فرآه فاضلا بارعا فيه، فسأله عن شعر الطرّماح، وكان من يقوم به مفقودا في البلد فإِذا هو يحفظه، فسأل أَنْ يمليه فأملاه عند بيت المال في الجامع[1].

وقال أَبو محمد عبد العزيز بن محمد الطبري: «وكان يحفظ من الشعر للجاهلية والإِسلام، مالا يجهله إِلا جاهل به»[2]. أما أَبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد فقال: سمعت ثعلبا يقول: «قرأ علَيَّ أَبو جعفر الطبري شعر الشعراء قبل أن يكثر الناس عندي بمدة طويلة»[3]. وقد اختار الطبري في تاريخه من عيون الشعر، مما يشير إلى طول باعه في هذا الشأن.

وقد مكنته سعة إطلاعه على الأدب وأشعار العرب في أن يرصِّعَ كتابه بمجموعة من القصائد البديعية أو المقطوعات البارعة، وهو لا يعرضها في إِطناب وإِسراف، وإِنّما يذكرها في مناسباتها، وينزلها منزلها اللائق بها، فيضيء بها جوانب التاريخ، ويجلو غوامض الحوادث.

ومن هنا امتزج الأدب بالتاريخ، وصار من المألوف أن يكون راوية الأدب مؤرخا، وأن يكون المؤرخ راوية للأدب.

والتاريخ لا يمكن أن يكتب بعيدا عن الأدب، والشعر مهم للتاريخ باعتباره صورة من صور الحياة ومترجما لأحداثها.

---

(1) معجم الأدباء، 18/ 53.

(2) المرجع نفسه، 18/ 60

(3) المرجع نفسه، 18/ 53.

وقد دلّت الأحداث على أن الشعر كان وثيقة من الوثائق المعتمدة في التدليل على سلامة الأحداث، ولم تكن عادة الاستشهاد به حالة طارئة انفردت بها كتب معينة، أو عرف بها مؤلف معين أو اقتصرت على فن أدبي وحده، وإِنّما كانت الكتب على اختلاف موضوعاتها وفنونها تضم شعرا كثيرا.

وسبب الاستشهاد بالشعر أن الشعر ضرورة لازمة، فالشعر دليل على صدق ما يروى من أَخبار، وأَنّ إِيراده لا يعني اعتباره غاية يقصد لذاتها، وإِنّما يذكر ليكون مثلا أو شاهدا لتوضيح ما يراد توضيحه، أَو تفسير ما يورد، أَو دليلا يدعم ما يذهب إليه من آراء وهي شواهد تدل على صدق الرواية وثباتها، ولأَنّ الشعر ظل جزءا متمما ودليلا محكما من أدلة تقوية الأخبار[1].

وتعددت روافد علوم الطبري. ومصادره في تاريخه هي كل ما سبقه من المواد التي عرفها العرب قبله أو في عصره، ولشغف الطبري بالعلم وحبه له، لم يكن يقتنع بثقافة موطنه، بل شدّ الرّحال إلى الرَّي وبغداد والبصرة والكوفة وواسط والشام ومصر، ثم إنَّ انصرافه إلى التفسير، وكتابة التاريخ، كان يلزمه الإكثار من الشيوخ، والسّماع، والرَّحلة للحصول على الإجازات، والإسناد، فتنقل بين هذه المدن ليسمع من شيوخها.

(1) الشعر في الحاضرة العباسية، د. وديعة نجم، ص79.

2. مصادر الشعر

وقد انقسمت مصادر الشعر في تاريخ الطبري إلى قسمين:

(أ) المصادر الشفوية: وقد صرح بأسماء بعضهم، ولم يصرح بأسماء بعضهم الآخر، وقد تحدثنا عن طريقته بالنقل عن هذه المصادر في الصفحات السابقة.

(ب) المصادر المكتوبة:

- كتب السير والمغازي والتاريخ

فقد أخذ الطبري علم السير والمغازي والتاريخ عن موسى بن عقبة الذي اشتهر بهذه العلوم، وله كتاب مختصر في السيرة[1].

وأخذ عن محمد بن اسحق، الذي تنسب إليه أقدم كتب السيرة التي وصلت إلينا، وكتابه المغازي وصل إلينا مختصرا في سيرة ابن هشام[2]، وتقسم سيرة ابن اسحق إلى ثلاثة أقسام:

1. المبتدأ، ويبحث في هذا القسم في تاريخ الجاهلية مبتدئا به منذ الخليقة.
2. المبعث، وأفرده لتاريخ حياة النبي ﷺ حتى السنة الأولى للهجرة.
3. المغازي، وتناول في هذا القسم حياة الرسول في المدينة وغزواته حتى وفاته ﷺ[3].

وقد أَلّف محمد بن اسحق للمنصور كتابا في التاريخ منذ خلق الله آدم إلى يومه، واختصره في كتابه المغازي[4].

وأخذ عن محمد بن عمر بن واقد الواقدي، وكان الواقدي معاصرا لابن اسحق، ويعتبر الواقدي الثاني بعد ابن اسحق في اتساع علمه بالمغازي والسير والتاريخ، بل بزّ ابن اسحق

(1) ضحى الإسلام، 2/ 327. بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، د. عبدالعزيز الدوري، ص22.

(2) السَّخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ لأبي الخير شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السَّخاوي، ونشر ضمن كتاب: «علم التاريخ عند المسلمين» لروزنثال تعريف أ. د. صالح أحمد العلي مراجعة أ. محمد توفيق حسين. مط المثنى - بغداد، 1383هـ، 1963م، ص526.

(3) ضحى الإسلام، 2/ 330.

(4) تاريخ بغداد، 1/ 521.

في دقّته في المادة وفي الأسلوب مع زيادة في العناية بالتاريخ، وفي تحقيق تواريخ الأحداث وتوضيح الإطار الجغرافي المتصل بالواقع[1].

وقد ألف الواقدي عددا كبيرا من الكتب في المغازي والتاريخ، وأعظم ما كتبه الواقدي كتابه المعروف بكتاب «التاريخ الكبير» لم يقتصر فيه على غزوات الرسول، بل أرخ لكثير من أحداث الإسلام في العهود التالية حتى عهد هارون الرشيد، اقتبس منه الطبري في كتابه «تاريخ الرُّسل والملوك» حتى سنة 179هـ[2].

وأخذ عن معمر بن راشد البصري أحد تلامذة الزهري، وكان عالما بالحديث والسير، وقد صنف كتابا في المغازي، وتقول الدكتورة سيّدة كاشف إنّه مايزال محفوظا كمخطوط في إستنبول[3].

وأخذ عن محمد بن سعد تلميذ الواقدي وكاتبه، وسيرة ابن سعد في الطبقات أوفى بكثير مما تقدَّم من كتب السيرة[4].

وأخذ التاريخ عن أبي مختف لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي (ت 157هـ) الذي كان إخباريا من أهل الكوفة، وعني بكتابة التاريخ، واهتم بالأنساب ولم يبق من كتبه الصحيحة إلا ما نقله الطبري منه[5].

وأخذ عن سيف بن عمر الكوفي الأسدي التميمي (ت 180هـ)، ولسيف بن عمر عدة كتب منها كتاب الفتوح الكبير والرّدة[6].

(1) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، د. عبدالعزيز الدوري، ص30-31.
(2) التاريخ والمؤرخون العرب، د. السيّد عبدالعزيز سالم، ص65.
(3) مصادر التاريخ الإسلامي، ص29.
(4) المرجع نفسه، ص32.
(5) ضحى الإسلام، 2/ 342.
(6) ضحى الإسلام، 2/ 343، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، د. عبدالعزيز الدوري، ص37.

وأخذ عن عوانة بن الحكم (ت 147هـ) الذي كان على دراية كبيرة بالأخبار والفتوح مع علم بالشعر والأنساب[1].

وأخذ من نصر بن مزاحم (ت 212هـ) وكان إخباريا من أهل الكوفة، شيعيا، وله عدة كتب مثل: الجمل وصفين، ومقتل الحسين، ومقتل حجر بن عدي، وأخبار المختار[2].

وأخذ عن علي بن محمد المدائني (ت 225هـ)، وكان إخباريا من البصرة ثم استوطن المدائن فنسب إليها، وكان من تلاميذ عوانة بن الحكم، وله عدد كبير جدا من الكتب من أَهمها كتابه في المغازي[3]. وقد أخذ الطبري علوم السير والمغازي والتاريخ عن عدد من شيوخه منهم أَحمد بن حماد الدولابي، فقد درس عليه كتاب المبتدأ[4]. وأخذ علم الحديث والسير والمغازي عن محمد بن حميد الرَّازي[5]، وأخذ علم السيرة أَيضا عن أبي سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبّان بن العاص الأموي الكوفي صاحب كتاب المغازي[6]. وأخذ الطبري الحديث والأَخبار عن أبي كريب محمد بن العلاء الهمذاني الكوفي الحافظ[7] وغيرهم.

- **كتب التفسير**

وقد جاءت كتب التفسير بالمرتبة الثانية بعد كتب السير والتاريخ والمغازي التي أخذ منها الطبري مادته في التاريخ، وقد اهتم بكتب التفسير، لا سيما تفاسير تلامذة ابن عباس

(1) معجم الأدباء، 6/ 94.
(2) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، د. عبدالعزيز الدوري، ص38.
(3) تاريخ بغداد، 12/ 55.
(4) معجم الأدباء، 18/ 50.
(5) المصدر نفسه، 18/ 49- 50.
(6) تاريخ بغداد، 14/ 132.
(7) تذكرة الحفاظ، 2/ 497.

والمدارس التي تأثرت برأيه في التفسير، وإنْ سأل سائل ما علاقة كتب التفسير بالشعر فنقول: لقد كان العلماء المفسرون يوردون كثيرا من الأشعار في تفاسيرهم.

فقد كان ابن عباس يستعين على التفسير بالشعر، إذ كان يسأل عن الشيء من القرآن فيقول فيه كذا، أما سمعتم الشاعر يقول كذا، وكان يقول إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه في الشعر، فإنّه ديوان العرب، وذكر سعيد بن جبير أَنّه ماسمع ابن عباس فسَّر آية من كتاب الله إلا استشهد ببيت من الشعر[1]. والأمثلة على استدلال الطبري بالشعر كثيرة، فقد اعتمد الطبري على الشعر العربي في تفسيره في بيان المعنى المراد من الكلمة، فتارة يذكر اسم الشاعر، وتارة يذكر النّص الشعري مجردا من الاسم، وبناء على هذا الأساس فإنّ كتب التفسير كانت تحوى كمية كبيرة من الشعر العربي القديم. وقد اطّلع الطبري على تفاسير ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد بن جبير، وقتادة بن دعامة، والحسن البصري، وعكرمة، والضّحاك بن مزاحم، وعبيد الله بن سعيد، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وابن جريج ومقاتل بن حيان.

وقد أخذ الطبري التفسير عن عدد كبير من شيوخه منهم: محمد بن حميد الرَّازي المتوفى سنة 348هـ[2]، والمثنى بن إبراهيم الآملي[3]، وغيرهما.

ونحن لا نستطيع أن نجزم بأَنّ الطبري أخذ السير أو المغازي أو التاريخ أو التفسير عن عالم من العلماء الذين ذكرناهم، أو عن شيخ من شيوخه، وسبب ذلك أن كل واحد من هؤلاء له عدة كتب في مختلف العلوم، فلا نستطيع أن نعرف من أيّ منها أخذ الطبري مادته، لأَنّ الطبري كان لا يذكر أَسماء الكتب، بل يذكر أَصحابها فقط، كما أَنّ هؤلاء العلماء والشيوخ كانوا يعتنون بكل هذه العلوم من سير ومغازٍ وتاريخ وتفسير، فربما أَنّ الطبري

(1) الطبري، للحوفي، ص137.

(2) معجم الأدباء، 18/ 50.

(3) المصدر نفسه، 18/ 49.

أخذ عن معظم هؤلاء جميع العلوم باستثناء عدد قليل منهم ممن تخصص وبرع بعلم دون غيره. وكذلك، فقد اعتنى عدد كبير من العلماء إضافة لما سبق بعلم الأَنساب وهو المصدر الثالث من مصادر الشعر في تاريخ الطبري، فنقول إِنَّ الطبري أخذ عن جميع هؤلاء علم السير والمغازي والتاريخ والأَنساب، لأَنّ هذه العلوم متصلة متشابكة مع بعضها بعضا، فمن يهتم بأحدها فإِنّه يهتم بالعلوم الأُخرى.

- **كتب الأنساب**

وقد أخذ الطبري كثيرا من مادته في التاريخ عن علماء الأَنساب، ومن أشهرهم محمد بن السائب الكلبي (ت 146هـ) -وقد ذكرنا أَنّ الطبري أخذ عنه السير والمغازي والتاريخ- وكان من علماءالكوفة، واعتنى كثيرا بالأَنساب، وورث ابنه هشام (ت 204هـ) منه هذا العلم كما سبق وأَنْ أَشرنا، وظهر أيضا في كتاب الأنساب الزبير بن بكّار أحد تلاميذ المدائني، وكان ابن بكّار مدني النشأة لكنه عاش في العراق فترة طويلة حتى اعتبر من أهله[1]، ومنهم أبو اليقظان النسَّابة (ت 190هـ) الذي صنف كتبا كثيرة في الأَنساب، وينسب إلى البلاذري كتاب «أنساب الأشراف» وهو كتاب بحث فيه تاريخ أشراف العرب في الجاهلية والإسلام حتى عصره، وآخر ما تحدث به عن أبي العباس السفّاح وابي جعفر المنصور والخلفاء من بني العباس حتى هارون الرشيد.

- **دواوين الشعراء المفردة**

ومن مصادر الشعر في تاريخ الطبري دواوين الشعراء المفردة، تلك الدواوين التي دونها العلماء والرواة وتلاميذ الشعراء.

لقد حرص الرواة على رواية الشعر، وربما حل أحدهم على غيره من العلماء ليسمع منه شعراء لم يصله، ثم يأتي دور هؤلاء العلماء، في قراءة هذه الدواوين على تلاميذهم وتناول

(1) ضحى الإسلام، 2/ 345.

هذا الشعر بالشرح والتعقيب والنقد والتمحيص، فأصبح للديوان الواحد أكثر من رواية. ومن هنا جاء سبب الاختلاف بالشعر، وذلك لتعدد روايات الديوان.

والشعر الذي ضَّمنه الطبري لتاريخه من شعر أصحاب الدواوين جاء قليلا، لأَنَّ الطبري لم يهتم كثيرا في تاريخه بالشعراء المشهورين بل إِنَّه اهتم بالشعراء المغمورين، ممن ليسوا بِأصحاب دواوين، أوأن دواوينهم لم تصل إلينا، ومن الشعراء الذين لهم دواوين وذكرهم الطبري في شعره: البحتري، وأبو تمام، والحسين بن الضحاك، ودعبل الخزاعي، وعلي بن الجهم، ومسلم بن الوليد، وأبو نواس وبشار بن برد، وإبراهيم بن العباس الصولي، وأبو العتاهية.

- دواوين حماسية

ومن دواوين الحماسة التي استعان بها الطبري في جمع مادته الشعرية، حماسة أبي تمام (ت 231هـ)، وليست هذه الحماسة رواية انتقلت بها إلى أبي تمام ولا رواية أخذت بها عن أبي تمام وإِنّما مرد ذلك إلى المصادفة المحضة، ذلك أَنّ أَبا تمام كان قد توجّه إلى خراسان ليمدح عبدالله بن طاهر بن الحسين، ولما كان في طريق عودته ماراً بهمذان استضافه أبو الوفاء بن سلمة أحد فضلاء المدينة وأكرم وفادته، وكان الفصل شتاء، وأصبح أبو تمام ذات يوم ليجد الثلوج قد تراكمت وسدّت المنافذ والدروب، فأصاب الحزب صدر أبي تمام وسأل مضيفه عن المدة التي يذوب فيها الثلج وتمهد المسالك والدروب، فقال له المضيف: وطّن نفسك على هذا المقام فإِنّ هذا الثلج لا ينحسر إلّا بعد زمان غير قصير، وهنا لم يجد أبو تمام بدا من أن يتوفر على القراءة في مكتبة مضيفه، فجمع خلال تلك المدة فصولا من الشعر ضمّت منه فنونا وفصولا فأطلق عليها اسم «الحماسة»، على اعتبار أَنّ أَوّل أبواب المجموعة كان في هذا الضرب من قول الشعر بحسب ما مر بنا قبل قليل، وليس

هناك ثمة شك في أَنّ عنوان الحماسة هو من اختيار أبي تمام نفسه وليس من ابتكار الدارسين المتأخرين»[1].

وهذه الحماسة تضم ثمانمائة وإِحدى وثمانين قصيدة أو مقطوعة، أو حماسة، وتسمى بالحماسة الكبرى، وتمييزا لها عن حماسة أخرى للشاعر أصغر حجما وأقلّ من حيث عدد القصائد والمقطوعات تعرف حينا بالحماسة الصغرى، وحينا آخر بالوحشيات، وإِنْ لم يكن بينهما كبير فرق في الأبواب والموضوعات[2].

وتشمل أبواب حماسة أَبي تمام موضوعات الحماسة، والمراثي والأدب -بمعنى السلوك والتربية- والنسيب، والهجاء، والأضياف، والمديح، والسير والنعاس، والصفات، والمُلَح، ودم النساء، غير أن باب الحماسة وما قيل فيه من شعر يفوز بنصيب الأسد من حيث عدد القصائد والمقطوعات التي قيلت فيه. فأطلق اسم الجزء على الكل، وأصبحت هذه المختارات تسمى ديوان الحماسة[3].

ولعل أهم ميزة له أَنّه أورد نصوصا لشعراء مغمورين لم يُعرَفوا إلا بالاسم، وربما اختُلف في الاسم. وقد شرحها المرزوقي (ت 421هـ)، ثم شرحها بعد ذلك التبريزي (ت 502هـ)، والحماسة بشرحيها مطبوعة، حققها بشرح المرزوقي عبد السلام محمد هارون 1951م، وبشرح التبريزي حققها الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي.

- كتب النحو، وكتب اللغة، وكتب الأدب، وكتب التراجم والطبقات

ورُبما ضمّن الطبري تاريخه شعرا عباسيا من كتب النحو، وكتب اللغة، وكتب الأدب، وكتب التراجم والطبقات.

(1) مناهج التأليف عند العلماء العرب - قسم الأدب، د. مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1974.

(2) المرجع نفسه، ص490.

(3) المرجع نفسه، ص490.

فقد كان النحويون واللغويون يلحّون على الشواهد الشعرية، يفسرون بها الغريب، أَو يوضحون الشاذ، أو يدلّلون على ظاهرة لغوية معينة، أو يستشهدون بها في قواعد النحو، ولذلك نجد أبياتا شوارد كثيرة في كتب النحو واللغة، وفي تراجم النحويين، واللغويين، ولدينا إشارات من أقدم كتاب في الشواهد أَلّفه الخليل بن أحمد، المتوفى (سنة 160هـ، غير أَنّ الكتاب نفسه ضاع ولم يصل إلينا، ونلتقي في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة بأكثر من أَلف بيت شعر من الشواهد، وواضح أَنّه اعتمد في حالات غير قليلة على مؤلفين آخرين سبقوه»[1].

ومن أهم كتب الأدب في هذه الفترة «البيان والتبيين» الذي أَلّفه الجاحظ المتوفي سنة (255هـ) حين علت به السن وقعد به المرض، وأهداه إلى القاضي أحمد بن أبي داؤد. وتحدث الجاحظ فيه تحت عناوين ثلاثة هي: البيان والبلاغة والخطابة، وقد ضمّن الجاحظ كتابه عددا كبيرا من غرر الشعر، كما ضمّن الجاحظ كتبه الأخرى كالحيوان مثلا عددا كبيرا من الأشعار.

ومن مصادر الشعر العباسي التي اعتمد عليها الطبري، طبقات فحول الشعراء لابن سلاّم الجمحي المتوفى سنة (232هـ)، وأَما الكتاب من حيث تقسيمه فهو قسمان: قسم جاهلي وقسم إسلامي. فقد قسم الشعراء جميعا من جاهليين وإسلاميين إلى طبقات متتابعة، كل بحسب قيمتها الفنية من وجهة نظره وتبعا لمعاييره الخاصة، ولابن سلام الجمحي عددا كبيرا من الكتب منها: طبقات الشعراء الإسلاميين، كتاب الحلاب وأجر الخيل، طبقات الشعر، غريب القرآن، طبقات العلماء، فرسان الشعراء[2].

ومن مصادر الشعر أيضا كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة المتوفى سنة (276هـ)، الذي اهتم بالشعراء المشهورين الذين يعرفهم جلّ أهل الأدب، والذين يصح الاحتجاج

(1) مصادر الأدب، د. الطاهر أَحمد مكي، دار المعارف، ط6، ص140.

(2) مناهج التأليف عند العلماء العرب، د. مصطفى الشكعة، ص409.

بأشعارهم في الغريب، وفي النحو، وفي كتاب الله عز وجل، وحديث رسول الله ﷺ، وابن قتيبة يقدم في كتابه الشعر والشعراء، مائتين واثنين من الشعراء متربتين ترتيبا زمنيا، فهو يبدأ بامرئ القيس وينتهى بعلي بن جبلة المعروف بالعكوك المتوفى سنة (213هـ).

من كتب ابن قتيبة في الشعر كتاب «عيون الشعر» وقد قسمّه إلى أقسام هي كتاب المراثي، كتاب القلائد، كتاب المحاسن، كتاب المشاهد، كتاب الشواهد، كتاب الجواهر، كتاب المراكب[1].

ولابن قتيبة عدد كبير من الكتب ربما استفاد منها الطبري في جمع مادة كتابه التاريخ. ومن أهم كتبه عيون الأخبار، وأدب الكاتب، والمعارف والمعاني، وتأويل مختلف الحديث، والإمامة والسياسة، والأشربة، والردّ على الشعوبية، ومشكل القرآن، والميسر والقداح، والمسائل والأجوبة (في الحديث)، والاختلاط في اللفظ، والردّ على الجهمية، وتفسير سورة النور[2].

هذه أهم مصادر الشعر العباسي في تاريخ الطبري، ولا تكاد تختلف هذه المصادر عن مصادر التاريخ، فكتب السير والمغازي والتاريخ التي اعتمد عليها الطبري في نقل الأخبار، كان ينقل منها أيضا الأشعار، وإذا نقل بعض الأخبار مشافهة فإنّه نقل بعض الأشعار مشافهة أيضا، بل إِنَّ الأخبار نفسها تحتوي على الشعر، ولأَنّ الطبري كان لا يورد أسماء الكتب التي ينقل منها، بل يورد أسماء أصحابها، فإن لكل واحد من هؤلاء عدة كتب، فلا ندري من أيها نقل، وأحيانا فإِنّه كان يذكر عبارات مثل: «وذكر لنا» وغير ذلك، فإنّه لم يورد اسم الراوي أيضًا، ومن الصعوبة بمكان أن نحدد تحديدا دقيقا المصادر التي اعتمد عليها الطبري في نقل الشعر العباسي ووضعه في تاريخه للأسباب السالفة، ولأَنَّ بعض الكتب التي نقل عنها الطبري وغير الطبري ضاعت -مع الأسف- ولم تصل إلينا.. وأهم المصادر

(1) المرجع نفسه، 187- 188.

(2) المرجع نفسه، ص418.

التي اعتمد عليها الطبري في كتابه سواء في نقل الاخبار أو الأشعار كما يقول الدكتور جواد علي[1] هي كتب السير والمغازي والتاريخ، وكتب التفسير.

وصفوة القول فإنّ الطبري أخذ مادة كتابه ومنها الشعر العباسي من جميع كتب العلماء الذين توفوا بعد سنة 132هـ وحتى سنة 302هـ وعن شيوخه وأصحابه وتلاميذه.

وبعد، فإنّ تاريخ الطبري «مجموعة مصادر تاريخية قيمة، ونتف من كتب قديمة، ذهب الدّهر بأكثر أُصولها، نُقلت على ما كُتبت، ووُضعت في المحلات المناسبة، ولذلك أصبح خزانة روايات ونصوص، جمعها المؤلف بعناية وتدقيق، متوخيا في ذلك الحياد التام، والأمانة في النقل والإحاطة بالشيء، على قدر الإمكان، ومن هنا اكتسب تلك الشهرة الفائقة بين كتب التاريخ»[2].

(1) موارد تاريخ الطبري، ص181.

(2) المصدر نفسه، ص179.

الفصل الثالث

دراسة مقارنة في منهج الاستشهاد بالشعر عند الطبري والمسعودي والكندي

لقد اعتاد المؤرخون العرب القدامى أن يضمنوا تواريخهم نصوصا شعرية، لأنّ الشعر يمثل وثيقة من الوثائق المعتمدة في التدليل على سلامة الأحداث، ولم يقتصر الاستشهاد بالشعر على مؤرخين بذواتهم دون غيرهم، وإنّما كانت كتبهم على اختلاف موضوعاتها تضمّ شعرا كثيرا، وتستشهد به على أحداث بعينها في عصور بعينها.

وقد حفلت كتب التاريخ بالأشعار، لأنّ الشعر ضرورة لازمة، فالشعر دليل على صدق ما يروى من أخبار، وإيراده يكون لتوضيح الحدث أو تفسيره.

المنهج

- **مواطن الاتفاق**

لقد اتفق المؤرخون الثلاثة في بعض النواحي المنهجية، فقد كانوا يستشهدون على الحادثة ببيت من الشعر أو بيتين أو ثلاثة أو أربعة أو بقصيدة أو بعدة قصائد. فعندما قتل أبو سلمة –حفص بن سليمان– استشهد الطبري ببيت واحد لسليمان بن المهاجر البجلي وهو[1]:

إنّ الـــوزيرَ وزيـــرَ آلِ محمّـــدٍ أودى فمـــنْ يشـــناك كـــانَ وزيـــرا

وكذلك فإنّ المسعودي كان كثيرا ما يستشهد على الحوادث التاريخية التي ذكرها ببيت شعري واحد. فهذا أبو العباس السفاح عندما اشتدّت عليه الفتوق يتمثل بقول الأعشى[2]:

فمـــا ميتـــةٌ إنْ متُّهـــا غيـــر عـــاجزٍ بعـارٍ، إذا مـا غالـتْ الـنّفسَ غُولهـا

وتمثل بقول الكميث بن زيد[3]:

أيـــا موقـــداً نـــاراً لغيـــرك ضـــوؤها ويـا حاطبـًا في غير حبلك تحطـب

واستشهد الكندي على كثير من الحوادث ببيت شعري واحد، فعندما توفي عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بمصر وأبو بكر بن عبد العزيز بن مروان بسكر من الشرقية، قال كثير[4]:

أصـــبتُ يـــومَ الصّـــعيدِ مـــنْ ســـكرٍ مصـــيبةً لـــيس لـــي بهـــا قِبَـــلُ

وفي ولاية بشر بن صفوان مصر، نزلت الروم تنيس، فقتل مزاحم بن مسلمة المرادي وله يقول الشاعر[5]:

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص450، سنة 132هـ، وغير ذلك كثير.
(2) مروج الذهب للمسعودي، ج3، ص268.
(3) المصدر نفسه، ج3، ص369، وغير ذلك.
(4) ولاة مصر للكندي، ص87.
(5) المصدر نفسه، ص91، وغير ذلك.

ألـــمْ ترْبَـــعْ فتخبـــركَ الرّجـــالُ بمـــا لاقـــى بتنـــيس المـــوالي

وقد استشهد الطبري على بعض الأحداث التاريخية ببيتين من الشعر أو بثلاثة، أو بأربعة[1]، أو بقصيدة كاملة[2]، أو بعدة قصائد[3].

فعندما قتل أبو جعفر المنصور أبا مسلم الخراساني تمثل ببيتين من الشعر هما[4]:

زعمـــتَ أنّ الـــدَّين لا يُقتَضـــى فاسْـــتوفِ بالكيـــلِ أبـــا مُجْـــرِمِ

سُـقيتَ كأسـًا كنـتَ تسـقي بهـا أمـــرَّ في الحلـــقِ مـــنَ العلقـــمِ

وعندما وجه أبو جعفر المنصور عمرو بن العلاء لحرب الإصبهند، استشهد الطبري على هذه الحادثة بثلاثة أبيات من الشعر من شعر بشار بن برد[5]:

فقُـــلْ للخليفـــة إنْ جئتـــهُ نصـــيحًا ولا خيـــرَ في المـــتّهمْ

إذا أيقظتـــكَ حـــروبُ العـــدا فنبـــه لهـــا عُمْـــراً ثـــمّ نـــمْ

فتـــىً لا ينـــامُ علـــى دِمْنـــةٍ ولا يشـــربُ المـــاءَ إلا بـــدمْ

وكذلك فإنّ المسعودي استشهد على بعض الأحداث ببيتين من الشعر أو بثلاثة أو بأربعة[6] أو بقصيدة كاملة[7] أو بعدة قصائد[8].

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص437، سنة 132هـ، وص456، ص642، وغير ذلك كثير.

(2) المصدر نفسه، ج7، ص457، سنة 132هـ، وص454، 562، 601-602، وج8، ص74، 95، 101، وغير ذلك كثير.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص300-302، سنة 187هـ، وغير ذلك كثير.

(4) المصدر نفسه، ج7، ص491، سنة137هـ، و491، 523، 543، 544، وص621-622، وج 8، ص43، 46، 77، 83، 85، وغير ذلك كثير.

(5) المصدر نفسه، ج7، ص510 سنة 141هـ، وص535، 559، ج8، ص66، ص70، وغير ذلك كثير.

(6) مروج الذهب، ج3، ص74، وانظر ص76، 116، 127، من الجزء نفسه، وغير ذلك كثير.

(7) المصدر نفسه، ج3، ص96، وانظر ص101، 103، 137، 141، من الجزء نفسه، وغير ذلك كثير.

(8) المصدر نفسه، ج3، ص142-145، وانظر ص161 وما بعدها، ص286 وما بعدها، وص326 وما بعدها، وص391 وما بعدها من الجزء نفسه، وغير ذلك.

فقد أورد المسعودي شعرا في وصف الخمر، وهذا الشعر مكون من بيتين هما[1]:

بـــينَ أقـــداحهم حـــديث قصـــيرٌ هـــو ســـحرٌ، ومـــا عـــداهُ كـــلامُ

وكـــانَّ السّـــقاةَ بـــينَ النـــدامى ألفـــاتٌ بـــينَ الســـطورِ قيـــامُ

وعندما قتل أبو جعفر المنصور أبا مسلمة –حفص بن سليمان– استشهد ببيتين لأحد الشعراء وهما قوله[2]:

إنّ المســـاءة قـــد تســـرُّ، وربمـــا كـــان الســـرورُ بمـــا كرِهْـــت جـــديرا

إنّ الـــوزيرَ وزيـــرَ آلِ محمـــدٍ أودى، فمـــنْ يشـــناكَ كـــانَ وزيـــرا

وقد يستشهد المسعودي بثلاثة أبيات على الحادثة، ففي أثناء حديثه عن هجاء قبيلة باهلة، استشهد بقول الشاعر[3]:

إذا ازدحـــم الكـــرام علـــى المعـــالي تنحّـــى البـــاهليُّ عـــن الزّحـــامِ

فلـــوْ كـــان الخليفـــةُ باهليّـــًا لقصّـــر عـــنْ منـــاوأةِ الكِـــرامِ

وعِـــرْضُ البـــاهلي وإنْ تـــوقّى عليـــه مثـــل منـــديل الطعـــامِ

وقد سار الكندي أيضا على منهج الطبري وتلميذه المسعودي، فقد كان يستشهد على الحادثة ببيتين من الشعر أو بثلاثة أو بأربعة [4] أو بقصيدة كاملة[5] أو بعدة قصائد[6].

ففي القتال الذي دار بين والي المأمون على مصر خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني وعبيد

(1) مروج الذهب، ج3، ص284، وانظر ص68، 70، 77، 78، 79 من الجزء نفسه، وغير ذلك.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص285.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص286، وانظر ص80، 84، 103، 107، 118، 122 من الجزء نفسه، وغير ذلك.

(4) ولاة مصر، ص41، وانظر ص18 وص150 وغير ذلك.

(5) المصدر نفسه، ص49، وانظر ص169 و185 و189 وغير ذلك.

(6) المصدر نفسه، ص3 وما بعدها، وانظر ص77 وما بعدها، ص113 وما بعدها، ص181 وما بعدها، وغير ذلك كثير.

الله بن السّري، قال معلى الطائي[1]:

فيا منْ رأى جيشاً ملا الأرضَ فيضُهُ أطلّ عليهمْ بالهزيمةِ واحدُ
تبوّا دمنهُوراً فدمّرَ جيشهُ وعرّد جيشُ اللّيلِ واللّيلُ راكِدُ

ونزل خالد بدمنهور، ووافقه عبيد بها، فقال سعيد بن عفير[2]:

يا أيها المتحاربانِ وإنّما دعواهُما المأمون في الصّدقاتِ
هلْ ترجعانِ إلى التقيّةِ والتّقى وتتارِكانِ تفاوُرَ الغاراتِ
حتى يجيء منَ الخليفةِ أمْرُهُ فيميزَ بين الحقِّ والشّبهاتِ

واستشهد المؤرخون الثلاثة بالقصيد أكثر من الرجز، وهذا أمر مردّه إلى أنّ الشعراء أكثر عددا من الرّجاز، وما قالوه من الشعر أكثر في مجموعه أيضا من الرجز، وتوجد معظم الأشعار التي ضمنها المؤرخون الثلاثة في تواريخهم في المصادر المختلفة، وخاصة كتب الأدب من مجموعات شعرية ودواوين.

والشعراء الذين ذكرهم المؤرخون الثلاثة متنوعون، فمنهم شعراء مشهورون وصلت إلينا دواوينهم، ومنهم شعراء مشهورون لم تصل إلينا دواوينهم، ومنهم شعراء مقلون وصلت إلينا دواوينهم، ومنهم شعراء مقلون مغمورون ليس لهم دواوين في ما نعلم وإنّما لهم نتف من الشعر في بعض كتب الأدب.

والرواية عند المؤرخين الثلاثة أنواع، فإمّا أن تكون موافقة لرواية الدواوين أو المصادر، وإمّا أن تختلف معها.

أما بالنسبة لذكر أسماء الشعراء عند المؤرخين الثلاثة، فقد كان الطبري يذكر أسماء الشعراء الذي قالوا الشعر في معظم المواطن، ولكنه أحيانا لا يذكر أسماء الشعراء[3]، وذكر

(1) ولاة مصر، ص199، وانظر ص73، 80، 83، 84، 93، 109، وغير ذلك كثير.
(2) المصدر نفسه، ص199. وانظر ص65، 66، 70، وغير ذلك كثير.
(3) تاريخ الطبري، ج8، ص300، سنة 187 هـ، وغير ذلك.

عبارات منها: وقال بعضهم أو أحدهم أو شاعرهم. وقد يذكر شاعرين للشعر نفسه دون ترجيح، فلما خرج ببني حسن، قال إبراهيم بن عبد الله بن حسن، وقيل: إنّ هذا الشعر لغالب الهمذاني وهو[1]:

ما ذكرك الدّمنة القفارَ وأهلَ الدارِ إمّا نأوكَ أو قربوا

وكذلك فإنّ المسعودي كان يذكر أسماء الشعراء الذين قالوا الشعر في معظم المواطن، ولكنه أحيانا لا يذكر أسماء الشعراء، ويذكر عبارات منه: وقال شاعرهم أو قال آخر[2]. وقد يذكر اسم شاعرين للشعر نفسه كما فعل الطبري[3]. وربما عاد هذا إلى عدم معرفة المؤرخ لقائل الشعر بشكل قاطع، أو خوفا عليه من الخصوم في حالة عدم ذكر اسمه.

وسار الكندي على نهج الطبري والمسعودي، فكان يذكر أسماء الشعراء في معظم المواطن، ولكنه أحيانا لا يذكر أسماء الشعراء.

وقد كان المؤرخون الثلاثة يستشهدون على بعض الأحداث بعدة قصائد، فأثناء حديث الطبري عن نكبة البرامكة[4]، استشهد بسبعة قصائد. وقد تمر عشرات الصفحات يذكر فيها مجموعة من الحوادث دون الاستشهاد عليها بشعر[5]. وربما عاد هذا إلى كون هذه الأحداث غير مهمة للاستدلال عليها بالشعر، أو أن هذه الأحداث لم يُقَل فيها شعر. أو أنّ المؤرخ لا يريد الاستشهاد عليها بالشعر. وقد استشهد المسعودي على مقتل يحيى بن عبد الله بن حسن بعدة قصائد[6]. وقد تمر بعض الأحداث دون أن يستشهد المسعودي عليها بشعر -كالطبري- كوقعهة عمورية بشكل خاص والحروب الخارجية بشكل عام،

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص545، سنة 144هـ. وغير ذلك.
(2) مروج الذهب، ج4، ص178-179.
(3) المصدر نفسه، ج4، ص169.
(4) تاريخ الطبري، ج8، ص300، وما بعدها، سنة 187هـ، وغير ذلك.
(5) المصدر نفسه، ج9، ص23-25 سنة 221هـ.
(6) مروج الذهب، ج4، ص149 وغير ذلك.

وقد بحثت عن سبب لعدم استشهاد الطبري والمسعودي بشعر على فتح عمورية فلم أجد سوى أن المسعودي لم يجد الطبري قد استشهد عليها بشعر فسار على نهجه ولم يستشهد عليها بشعر كأستاذه. أو أنّ المسعودي استشهد عليها بشعر في كتبه الأخرى التي أشار إليها في كتابه مروج الذهب ككتابه الأوسط، وكتابه أخبار الناس.

وكذلك فإنّ الكندي كان يستشهد على الحادثة الواحدة، بعدة قصائد[1]، وقد تمر عدة صفحات يذكر فيها الكندي عددا كبيرا من الأحداث دون أن يستشهد عليه بشعر[2].

- **مواطن الاختلاف**

ومن مواطن الاختلاف أن بعض المؤرخين كانوا يكررون الاستشهاد بالشعر في الصفحة نفسها أو في الصفحات اللاحقة لها. فقد كرر الطبري الاستشهاد بالبيت الواحد في الصفحة نفسها لأنّ الرواية تحتاج إلى ذلك. فلما تمثل عبد الله بن حسن لأبي العباس[3]:

ألَمْ ترَ حوشبًا أمسى يُبَنِّي بيوتًا نفعها لبني بُقَيْلهْ

فلما أمر أبو جعفر بحبسه، قال: ألست القائل لأبي العباس:

ألَمْ ترَ حوشبًا أمسى يُبَنِّي بيوتًا نفعها لبني بُقَيْلهْ

وقد سار على نهج الطبري، المسعودي في إعادة الاستشهاد بالشعر. فعندما نادم يحيى بن أكثم قاضي البصرة المأمون، سأله المأمون يوما من الذي يقول[4]:

قاض يرى الحدّ في الزناء، ولا يرى على من يلوط من باسِ

قال ذلك ابن أبي نعيم يا أمير المؤمنين، وهو القائل[5]:

(1) ولاة مصر، ص3، 77، 133، 181، وغير ذلك كثير.
(2) المصدر نفسه، من، ص119-148 وغير ذلك كثير.
(3) تاريخ الطبري، ج7، ص252، سنة 144هـ، وانظر مروج الذهب، ج4، ص441.
(4) مروج الذهب، ج4، ص22.
(5) المصدر نفسه، ج4، ص22.

أميرنـــا يرتشـــي، وحاكمنـــا يلـــوط، والـــرأس مـــا راسِ
قـاض يـرى الحـدّ في الزنـاء، ولا يـرى علـى مـن يلـوط مـن بـاسِ
ما أحسب الجور ينقضي وعلى الـ أمـــة والٍ مـــن آل عبـــاسِ

فقد كرر المسعودي البيت وأورد معه بيتين آخرين، لأنّ الرواية تحتاج إلى ذلك.

أما الكندي، فلم أجد أنّه أعاد الاستشهاد بالشعر نفسه على أكثر من حادثة.

وقد يذكر الطبري صدر البيت مرة واحدة، ولا يعيد ذكره، فعندما أمرَ بقتل الحصين بن وعلة الدوسي قال: أُقتل من بين الأسراء قيل له نعم أنت مشرك، أنت الذي تقول:

«**ولو آمرْ الشّمسَ لم تشرقِ**»[1]

وقد يكرر الطبري البيت ويأتي -أحيانا- بزيادة بيت أو بيتين عليه، فلما سقط ابن محمد بن عبد الله بن حسن الملقب (النفس الزّكيّة)، ولقي محمد ما لقي، قال[2]:

منخـرق السّـربال يشـكو الـوجى تنكبُـهُ أطـرافُ مـروٍ حـدادْ
شـرّده الخـوفُ فـأزرى بـه كـذاك مـنْ يكـرهُ حـرَّ الجـلادْ
قـد كـان في المـوت لـه راحـةٌ والمـوتُ حـتمٌ في رقـاب العبـادْ

فعاد الطبري وذكر البيت الثاني مرّة، وذكر صدر البيت الأول مرّة أخرى[3].

وقد يذكر الطبري ثلاثة أبيات، ثم يعود ويذكر بيتين منها، هما الأول والثاني، ثم يأتي ببيت ثالث جديد. فقد ذكر الطبري أن المنصور سمع شعرا لطريف بن تميم العنبري، وهو قوله[4]:

إنّ قنـاتي لنبـعٌ لا يؤيسـها غمـزُ الثّقـاف ولا دُهـنٌ ولا نـارُ
متـى أُجـر خائفـًا تـأمن مسـارحُهُ وإنْ أُخـف آمنـًا تقلـق بـه الـدارُ

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص373، سنة 129هـ.
(2) المصدر نفسه، ج7، ص535، سنة 144هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص69-70، سنة 158هـ.
(4) المصدر نفسه، ج8، ص69-70، سنة 158هـ.

إنّ الأمــورَ إذا أوردتهــا صــدرت إنّ الامــورَ لهــا وِردٌ وإصــدارُ

فعاد الطبري وذكر البيتين الأول والثاني وجاء بثالث جديد، فلمّا بلغ المنصور تفرّق ولد عبد الله بن حسن في البلاد هربا من عقابه، تمثل[1]:

إنّ قنــاتي لنبــعٌ لا يؤيســها غمــزُ الثّقــاف ولا دُهــنٌ ولا نــارُ
متــى أجــر خائفــًا تــأمن مســارحُهُ وإنْ اخــف آمنــًا تقلــق بــه الــدارُ
سيروا إليّ وغضوا بعض أعينكم إنّــي لكــل امــرئ مــن جــاره جــارُ

إلاّ أنّ المسعودي والكندي لم يسلكا هذا المنهج الذي نهجه الطبري.

فقد يذكر المسعودي صدر البيت الشعري مرة واحدة، ولا يعيد ذكره، فأثناء حديثه عن معاوية وابن شجرة الزهاوي تمثل بقول الشاعر: «من ينك العير ينك نياكا»[2]. وقد يستشهد الطبري بالبيت أو البيتين أو القصيدة مرة واحدة ولا يعيد ذكر الشعر مرة أخرى، أمّا الكندي فلم يكرر الاستشهاد بالشعر في تاريخه، فقد كان يذكر الشعر مرة واحدة، وقد ضمّن الطبري في تاريخه تاريخ الرسل والملوك، والمسعودي في تاريخه مروج الذهب: أثناء الاستشهاد بالشعر على عصر العباسي، ضمّنا تواريخهما بشعر من العصرين الجاهلي والإسلامي، في حين أن الكندي استشهد بشعر كل عصر على عمره، ولم يستشهد على الفترة العباسية بشعر من العصرين الجاهلي والإسلامي.

وقد يذكر الطبري بيتين من الشعر في مكان يستشهد بهما على حادثة معينة، ثم يذكر البيتين نفسيهما ضمن قصيدة طويلة، فعندما خبر سليمان بن عبد الله أبا جعفر المنصور بشعر أبي نخيلة، الذي يقول فيه[3]:

عيســى فزحلفهــا إلــى محمــدِ حتــى تــؤدّى مــن يــد إلــى يــدِ

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص98، سنة 158هـ.
(2) مروج الذهب، ج3، ص283.
(3) تاريخ الطبري، ج8، ص21، سنة 147هـ.

فـــيكم وتغنـــى وهـــي في تزيُّـــدِ فقـــد رضـــينا بـــالغلامِ الأمـــردِ

فعاد الطبري وذكر هذين البيتين ضمن قصيدة طويلة بلغت ثمانية عشر بيتا ومطلعها[1]:

إلـــى أميـــر المـــؤمنينَ فاعمـــدي سـيري إلـى بحـرِ البُحـورِ المُزبـدِ

وعندما نهى الأمين عن الدعاء للمأمون في عمله كله للمأمون والقاسم. وأمر بالدعاء له عليه ثم من بعده لابنه موسى، قال بعض الشعراء[2]:

أضـــاعَ الخلافـــة غـــشُّ الـــوزيرِ وفســـقُ الأميـــرِ، وجهـــلُ المشـــيرْ

ففضـــلٌ وزيـــرٌ، وبكـــر مشـــيرٌ يريـــدانِ مـــا فيـــه حتـــفُ الأميـــرْ

فعاد الطبري وذكر البيتين ضمن القصيدة طويلة بعد سبع صفحات.

وقد يكرر الطبري الأبيات دون زيادة.

أما بالنسبة لأكثر الشعراء الذين اهتم بهم المؤرخون الثلاثة وأقلهم في ذلك، فقد اهتم الطبري ببعض الشعراء دون غيرهم، فكان مروان بن أبي حفصة والخرميُّ أكثر الشعراء حظوة عنده في الاستشهاد بشعرهما في التاريخ. كما استشهد بشعر كثير لشعراء مقلين، واستشهد بأبيات قليلة في مواطن محدودة لعدد من شعراء الطبقة الأولى مثل: أبي تمام، مسلم بن الوليد، البحتري، ابن الرومي، وغيرهم.

وقد اهتم المسعودي بعدد كبير من الشعراء، إلا أنني لم ألاحظ أنّه اهتم بعدد من الشعراء دون غيرهم، إلا أنّه تميز عن الطبري بأنّه أورد شعرا كثيرا لشعراء مشهورين من مثل: أبي تمام والبحتري وابن الرومي، وبشار بن برد، وأبي نواس، وأبي العتاهية، وهذا لا يعني أنّه لم يستشهد بشعر غيرهم، فقد استشهد بشعر كثير لشعراء مغمورين.

وفي تاريخ الكندي جاء حجم الشعر صغيرا، وجاء عدد الشعراء قليلا فلم يظهر أنّه اهتم بشعر الشعراء المشهورين إلا ما كان من استشهاده بشعر حبيب بن أوس الطائي. وذلك

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص22، سنة 147هـ.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص389، سنة 195هـ.

لبعد مصر عن مركز الخلافة العباسية بغداد التي استقطبت فحول الشعر العربي القديم في ذلك العصر.

ويعود سبب استشهاد الكندي بشعر أبي تمام الطائي، أن أبا تمام كان في زيارة إلى مصر في الفترة الواقعة بين (210 – 214هـ) وعاصر الأحداث التي جرت في مصر في تلك الفترة، فقال فيها شعرا، فجاء الكندي واستشهد بشعر أبي تمام على هذه الأحداث لتوثيقها وللتدليل على صحتها. كما اهتم الكندي بشعر عدد من الشعراء ومن أكثر الشعراء الذين استشهد بهم الكندي في تاريخه شعر الشاعر سعيد بن عفير، لأنّه كان معاصرا للأحداث والفتن التي كانت تحدث للوالي، وخاصة فتن أهل الحوف.

أما بالنسبة لاستشهاد المؤرخين الثلاثة بالشعر غير الورع، فقد استشهد الطبري والمسعودي بشعر غير ورع، أما الكندي فلم يستشهد بشعر غير ورع.

فقد استشهد الطبري في تاريخه بشعر غير ورع، ومن أمثلة ذلك قول والية بن الحباب[1]:

قلتُ لساقينا على خلوةٍ أدنِ كذا رأسكَ من راسي
ونم على وجهك لي ساعةً إنّي امرؤٌ أنكحُ جلّاسي

واستشهد الطبري بشعر علي بن الجهم في هجاء نجاح بن سلمة وهو قوله[2]:

الرُّخجيون لا يوفون ما وعدوا والرُّخجياتُ لا يخلفن ميعادا

واستشهد الطبري أيضا بقول علي بن محمد بن منصور بن نصر بن بسام في هجاء الطائي[3]:

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص182، سنة 169هـ.

(2) المصدر نفسه، ج9، ص161، سنة 233هـ.

(3) المصدر نفسه، ج10، ص14، سنة 275هـ، وانظر ج8، ص197 سنة 169هـ.

قـــد أقبـــل الطـــائي، لا اقـــبْلا قـــبّحَ في الأفعـــال مـــا أجمـــلا
كأنّـــــه مـــــن لـــــينِ ألفاظـــــهِ صـــــبية تمضـــــغُ جهـــــدَ الـــــبلا

وقد استشهد المسعودي في تاريخه مروج الذهب بشعر غير ورع، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر «من ينك العير ينك نياكا [1] واستشهد بقول ابن أبي نعيم [2]:

أميرنـــــا يرتشـــــي، وحاكمنـــــا يلـــوط، والـــرأس شـــر مـــا راس
قـــاضٍ يـــرى الحـــد في الزنـــاء، ولا يـــرى علـــى مـــن يلـــوط مـــن بـــاس

وفي هجاء يحيى بن أكثم قاضي البصرة، قال ابن ابي نعيم أيضا [3]:

يـــا ليـــت يحيـــى لـــم يلـــده أكثمـــه ولـــم تطـــأ أرض العـــراقِ قدمُـــهْ
ألـــوطُ قـــاصٍ في العـــراق نعلمـــه أي دواةٍ لـــــم يلفهـــــا قلمـــــه
وأي شِعـــــبٍ لـــــمْ يلجـــــهُ أرقـــمـــهْ

أما حجم الشعر في التواريخ الثلاثة فجاء متفاوتا، فتاريخ الطبري حوى شعراً كثيراً، وتاريخ المسعودي حوى شعراً كثيراً لكنه أقلّ مما حوى تاريخ الطبري، أمّا تاريخ الكندي فكان فيه الشعر قليلا. وربما تناسب هذا الشعر مع حجم كتب التاريخ الثلاث. فتاريخ الطبري تاريخ ضخم جاء في أحد عشر مجلدا، ضمّنه الطبري شعرا كثيرا، وتاريخ المسعودي جاء بأربعة مجلدات، أما تاريخ الكندي فجاء بمجلد واحد، فهل نطلب شعرا من الكندي بقدر الشعر الموجود عند المسعودي، أو تطلب شعرا من المسعودي بقدر الشعر الموجود عند الطبري.

لقد جاء الشعر في التواريخ الثلاثة -في معظم الأحيان- تابعا للأحداث. فقد كان الطبري يفصل الأحداث تفصيلا دقيقاً مستشهدا على معظمها بالشعر، فجاء الشعر كثيراً. وقد كان

(1) مروج الذهب، ج3، ص283.
(2) المصدر نفسه، ج4، ص22.
(3) المصدر نفسه، ج4، ص22.

الطبري يستشهد على الحادثة بعدة قصائد، أما المسعودي فقد أوجز في كتابة الأحداث، وهذا يتبعه إيجاز في الشعر. فقد كان المسعودي -وفي كثير من المواطن- يستشهد على الأحداث بعدد قليل من الأبيات وقليلا ما يستشهد بقصائد كاملة أو بمجموعة من القصائد. كما أنّ المسعودي كان كثيراً ما يشير إلى كتب أخرى كان قد فصّل فيها القول في بعض الأحداث، وكان أحيانا يقول -كالطبري- وقالت الشعراء في هذا الموضوع وأكثرت، دون إيراد شعر، أو إيراد عدد قليل من الأبيات الشعرية [1].

أما الكندي فقد جاء الشعر في تاريخه قليلا تبعا لقلة الأحداث عنده والتي انحصرت في تاريخ ولاة مصر وما يتعلق بهم، وقد راوح الكندي بين الاستشهاد بعدد من الأبيات أو بعدد من المقطوعات أو بعدد من القصائد.

وخلاصة القول: فإنّ الشعر الذي كان يستشهد به الطبري على حادثة واحدة -في معظم الأحيان- أكثر من الشعر الذي كان يستشهد به المسعودي على الحادثة نفسها.

(1) مروج الذهب، ج4، ص178-179، وغير ذلك.

2. مواكبة الشعر للأحداث والأغراض الشعرية عند الكندي

لقد تحدثت في الفصل الخامس بشيء من الإسهاب عن مواكبة الشعر للأحداث في تاريخ الطبري، فوجدت أن الشعر كان مواكبا للثورة العباسية وللصراع بين العباسيين وخصومهم من أمويين وشيعة وموالي وخوارج، كما كان مواكبًا لأحداث عند المسعودي والكندي، كما هو عند الطبري.

لقد حوى تاريخ الطبري وتاريخ المسعودي معظم الأحداث السياسية منذ نشأة الخليفة وحتى سنة 310 هـ، للطبري وللمسعودي حتى سنة 346هـ. أما تاريخ الكندي فإنّه حوى الأحداث السياسية المختصة بولاة مصر من زمن عمر بن الخطاب ولسنة 355هـ. فتاريخ الكندي أرّخ لجزء من تاريخ الطبري وتاريخ المسعودي. وبذلك سيخرج الكندي من الدراسة المقارنة بسرعة، وستظل الحلبة للطبري والمسعودي.

- **مواكبة الشعر للأحداث عند الكندي**

فعندما تشدد موسى بن مصعب والي المهدي في استخراج الخراج وزاد على كل فدان ضعف ما كان أولا، وعاد إلى الرشوة في الأحكام، وجعل خرجا على أهل الأسواق وعلى الدواب، قال الشاعر [1]:

لو يعلم المهدي ماذا الذي ... يفعله موسى وأيوبُ
بأرض مصر حين حلاّ بها ... لم يتّهم في النّصحِ يعقوبُ

وأكثر ما واكب الشعر في كتاب ولاة مصر للكندي الحروب والثورات والفتن الداخلية، فقد جاء معظم الشعر مواكبا لهذه الأحداث.

(1) ولاة مصر، ص148.

فعندما خرج أهل الحوف ودحية بن مصعب على الفضل بن صالح بن علي العباسي والي مصر حاربهم، فقال شاعر من أصحاب دحيّة [1]:

فلا ترجعي يا نعمُ عن جيش ظالمٍ يقودُ جيوشَ الظالمين ويجنبُ

وكري بنا طردا على كل سانحٍ إلينا منايا الكافرين تقرّبُ

وعندما ولّي الحسين بن جميل مصر من قبل الرشيد امتنع أهل الحوف عن أداء الخراج، فحاربهم الحسين. وفي ذلك يقول أبو النداء وهو من أهل الحوف[2]:

أقول إذا الرّفاق بدت لوجهي ألا حلّوا رحالكمُ وطيروا

وإنْ لم تتركوها فاستعدّوا لحربٍ مثل جابيةٍ تفورُ

وفي ذكر الحرب التي دارت بين عبيد الله بن السري وخالد بن يزيد بن مزيد الشيباني قال معلّى الطائي[3]:

فيا من رأى جيشا ملا الأرض فيضهُ أطلّ عليهم بالهزيمة واحدُ

وفي ذلك قال سعيد بن عفير[4]:

يا أيها المتحاربانِ وإنما دعوهما المأمون في الصّدقاتِ

- **مواكبة الشعر للأغراض الشعرية عند الكندي**

هذا في مجال مواكبة الشعر للأحداث، أما بالنسبة للأغراض الشعرية، فقد استشهد الكندي بعدة نصوص شعرية من مدح وهجاء ورثاء ووصف.

---

(1) المصدر نفسه، ص154.

(2) المصدر نفسه، ص170.

(3) المصدر نفسه، ص199.

(4) ولاة مصر، ص199، وانظر ص150، 195، 197، 199، 201، 202، 203، 210، 211، 212-213، وغير ذلك كثير.

- **المدح**

ففي مجال المدح استشهد الكندي بشعر سعيد بن عفير في مدح هبيرة بن هاشم عندما أخفى إبراهيم بن نافع الطائي، قال[1]:

لعمري لقد أوفى وفاقَ وفاؤهُ هبيرة في الطائي وفاء السّموألِ
وقاهُ المنايا إذ أتاهُ بنفسهِ وقدْ برقتْ في عارضٍ متهلّلِ

- **الهجاء**

وفي مجال الهجاء استشهد الكندي بشعر سعيد بن عفير في هجاء الوالي الحسين بن جميل، قال[2]:

ما كنتُ أحسبُ أنّ الحينَ يجمعُ ما أمسى بمصرَ منَ الأنذالِ في الإمَرِ
أمّا الأميرُ فحنّاجٌ وصاحبُهُ على الخراجِ سواديّ منَ الأكرِ

- **الرثاء**

وفي مجال الرثاء قال معلّى الطائي يرثي ميمونا بن السّري[3]:

لو ردّ غرْبَ منيّةٍ بشاعَةٍ أحدٌ لدافعَ رُكنها ميمونُ
فليفجعنّ غداً بقتلكَ طاهِرٌ وليفجعنّ بقتلكَ المأمُونُ

- **الوصف**

وفي مجال الوصف استشهد الكندي بشعر سعيد بن عفير، فقد قال سعيد بن عفير ليزيد بن الخطاب بن طلاب الكلبي[1]:

---

(1) المصدر نفسه، ص178، وانظر ص171.
(2) المصدر نفسه، ص169، وانظر ص181.
(3) ولاة مصر، ص194، ص194، وانظر ص244.

قتلوا ابنَ سيّدهمْ وفارسَ حِزْبهمْ عن غيرِ نائرةٍ ولا إجرامِ
أضحتْ قُضاعةُ قدْ علتْها كآبةٌ وبنو الجريشِ سوافرَ الإظلامِ

- **مواطن الاتفاق في الاستشهاد بالشعر عند الطبري والكندي**

وقد اشترك الكندي مع الطبري في الاستشهاد بشعر المأمون في عبد الله بن طاهر الذي قضى على عبيد بن السرّي، قال[2]:

أخي وأنت ومولاي ومن أشكرُ نُعماهُ
فما أحْببتَ منْ أمْرٍ فإنّي الدّهرَ أهواهُ
وما تكرهُ منْ شيءٍ فإنّي الدّهرَ أهواهُ
لك الله على ذاكَ لكَ اللّهُ

أما الكندي فأورد الشعر بالرواية التالية[3]:

أخي وأنت مولاي الّ ذي أحفظُ نُعماهُ
فما تهوى منَ الأمْرِ فإنّي سوفَ أهواهُ
وما تسخطُ منْ شيءٍ فإنّي لستُ أرضاهُ
لك الله على ذاكَ لكَ اللّهُ

وبعد فقد استشهد الكندي بشعر على تولية الولاة وعلى الفتن والثورات التي كانت تقوم على الوالي وخروجاً على عن طاعة الدولة، ومنع الخراج، كما استشهد الكندي بشعر في مختلف الأغراض الشعرية من مدح ورثاء وهجاء ووصف، كما اشترك الكندي مع الطبري في الاستشهاد بنص واحد على الحادثة نفسها.

(1) المصدر نفسه، ص176، وانظر ص185 أيضا.
(2) تاريخ الطبري، ج8، ص615، سنة 210 هـ.
(3) ولاة مصر للكندي، ص205.

3. مواكبة الشعر للأحداث عند الطبري والمسعودي

- مواطن الاتفاق في الاستشهاد بالشعر

وإذا ما عدنا للطبري والمسعودي لنتعرف على مواكبة الشعر للأحداث عندهما، نجد أنهما قد اتفقا في الاستشهاد بعدّة نصوص شعرية على عدد من الأحداث من مثل: الثورة العباسية، العباسيون وخصومهم وسياستهم، الزندقة، الفتن والحروب الداخلية، الحروب الخارجية.

- **الثورة العباسية**

فقد اتفق الطبري والمسعودي في الاستشهاد بشعر نصر بن سيار. فعندما استشرى أمر أبي مسلم الخراساني لم يجد نصر من ينصره، فاستصرخ والي العراق ابن هبيرة ليمده بالجيوش، ولمّا لم يجد نصرا من والي العراق اتجه إلى الخليفة في الشام، وإليه تنسب الأبيات[1]:

أرى بينَ الرّمادِ وميضَ جمْرٍ ... فأحجِ بأنْ يكونَ لهُ ضِرامُ
فإنّ النارَ بالعودين تُذكى ... وإنّ الحربَ مبدؤها الكلامُ
فقلتُ من التَّعَجُّبِ: ليتَ شعري ... أ أيقاظٌ أميَّةُ أمْ نيامَ

ولكن المسعودي استشهد بالبيتين الأول والثاني كما هما عند الطبري وزاد عليهما[2]:

فإنْ لمْ تطفؤوها تجْنِ حرباً ... مشمرة يشيب لها الغلامُ
أقولُ من التَّعَجُّبِ: ليتَ شعري ... أ أيقاظٌ أميَّةُ أمْ نيامَ
فإنْ يك قومنا أضحوا نياماً ... فقلْ: قوموا فقد حانَ القيامُ
فغري عنْ رحالك، ثم قولي ... على الإسلامِ والعربِ السّلامُ

(1) تاريخ الطبري ج7، ص369، سنة 129هـ.
(2) مروج الذهب، ج3، ص255.

فقد جاء الشاهد عند المسعودي مكملا وموضحا للصورة أكثر منه عند الطبري.

واتفق الطبري والمسعودي في الاستشهاد على الثورة العباسية، بشعر نصر بن سيار الذي يقول فيه[1]:

أبلـغ يزيـد وخيـرُ القـولِ أصـدقُهُ وقـدْ تبيّنـتُ ألّا خيـرَ في الكَـذِبِ

وفي مجال الصراع بين العباسيين وبقايا الأمويين، لم يتفق الطبري والمسعودي في الاستشهاد بالشعر على هذا الصراع، بل راح كل واحد منهما يستشهد بشعر مختلف عن الآخر.

وفي مجال الصراع بين العباسيين والشيعة اتفق الطبري والمسعودي في الاستشهاد بعدد من النصوص الشعرية على الحوادث نفسها، فلما دخل مروان بن أبي حفصة على المهدي أنشده قصيدة طويلة، يؤكد فيها على حق العباسيين في الحكم دون العلويين، فأخذ الطبري منها بيتا واستشهد به على الحادثة، والبيت هو[2]:

أنّـى يكـونُ ولـيسَ ذاكَ بكـائِنٍ لبنـي البنـاتِ وِراثـةُ الأعمـامِ

ولكن المسعودي اختار بيتا آخر من القصيدة نفسها وهو[3]:

يـا ابـنَ الّـذي وَرِثَ النَبـيّ محمـداً دونَ الأقـاربِ مـنْ بنـي الأعمـامِ

وعندما ظهر يحيى بن عمر بن يحيى الطالب، وقتله طاهر بن الحسين، قال أبو هاشم الجعفري[4]:

يـا بنـي طـاهرٍ كلُـوه وبيّـا إنّ لحـمَ النبـيِّ غيـرُ مـريِّ
إنّ وِتْـراً يكـونُ طالِبَـهُ اللهُ لـوتَرٌ نجاحُـهُ بـالحريِّ

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص369-370، سنة 129هـ، مروج الذهب، ج3، ص257.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص182، سنة 169هـ.
(3) مروج الذهب، ج3، ص332، وشعر مروان، ص104.
(4) تاريخ الطبري، ج9، ص270، سنة 250هـ. مروج الذهب، ج4، ص148 وفيه «لوترٌ بالفوتِ غيرُ حريٍّ».

وفي مجال الصراع بين العباسيين والموالي اتفق الطبري والمسعودي في الاستشهاد بشعر عدد من الشعراء، فعندما قتل أبو جعفر المنصور أبا مسلم الخراساني، قال[1]:

زعمتَ أنّ الدّينَ لا يُقتَضى فاستوفِ بالكيل أبا مُجْرِمِ
سُقيتَ كأسًا كنتَ تسقي بها أمرّ في الحلْق منَ العلقمِ

فجاء المسعودي واستشهد بالشعر نفسه وعلى الحادثة نفسها.

وعندما قتل أبو جعفر المنصور أبا مسلمة حفص بن سليمان استشهد الطبري بشعر أبي المهاجر البجليّ[2].

لإنّ الوزيرَ وزيرَ آل محمد أودى فمنْ يشناكَ كانَ وزيرا

فجاء المسعودي واستشهد بالشعر نفسه وعلى الحادثة نفسها وزاد قبله[3]:

لإنّ المساءةَ قدْ تسرُّ، وربّما كانَ السرورُ بما كرهْتَ جديرا

فالطبري استشهد ببيت واحد، واستشهد المسعودي بالبيت نفسه، وزاد بيتا آخر للشاعر نفسه، والطبري ذكر اسم الشاعر، أمّا المسعودي فلم يذكر اسم الشاعر.

وفي مجال الفتن والثورات الداخلية اتفق الطبري والمسعودي في الاستشهاد بشعر كثير ولعدد كبير من الشعراء، ففي نكبة البرامكة استشهدا بقول الشاعر من قصيدة طويلة[4]:

ألآن استرحنا واستراحتْ رِكابنا وأمسَكَ منْ يُجدي ومنْ كانَ يجتدي

وقد نسب الطبري هذا الشعر إلى الرّقاشي أو أبي نواس، أمّا المسعودي فقد نسبه إلى أشجع السُّلمي.

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص491، سنة 137هـ. مروج الذهب، ج3، ص304، وفيه ينقضي بدلْ يُقتضى، واشرب بكأس بدل سُقيت كأسا.

(2) تاريخ الطبري، ج7، ص450، سنة 132هـ.

(3) مروج الذهب، ج3، ص285.

(4) تاريخ الطبري ج8، ص300، سنة 187هـ، مروج الذهب ج3، ص390.

واستشهدا بقول الشاعر[1]:

هَوَتْ أَنْجُمُ الجدوى وشلّتْ يدُ النّدى وغاضت بحورُ الجودِ بعدَ البرامكِ

وقد نسب الطبري هذا الشعر إلى سيف بن إبراهيم، أمّا المسعودي فقد نسبه إلى سلم الخاسر.

وفي خراب بغداد ودمارها والحرب التي دارت بين الأمين والمأمون استشهد الطبري والمسعودي بشعر عمرو بن عبد الملك الوراق[2].

لا تقرب المنجنيقَ والحجرا فقدْ رأيتَ القتيلَ إذ قبرا

وبقول الشاعر من أهل بغداد[3]:

قل للأمينِ اللّهَ في نفسهِ ما شتّتَ الجُندَ سوى الغاليهْ

وبقول الشاعر[4]:

من ذا أصابك يا بغدادُ بالعينِ ألم تكوني زمانًا قرّةَ العينِ!

وبقول الشاعر[5]:

بكيتُ دمًا على بغداد لمّا فقدتُ غضارةَ العيشِ الأنيقِ

وبقول الشاعر[6]:

خرّجت هذه الحروب رجالا لا لقحطانها ولا لنزار

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص301، سنة 187هـ، مروج الذهب ج3، ص390، وفيه «خوت بدل هوت».
(2) المصدر نفسه، ج8، ص445، سنة 197هـ، مروج الذهب ج3، ص412.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص443، سنة 197هـ، مروج الذهب، ج3، ص409، وفيه: «قل لأمين الناس في نفسه».
(4) المصدر نفسه، ج8، ص447، سنة 197هـ، مروج الذهب، ج3، ص412.
(5) المصدر نفسه، ج8، ص457، سنة 197هـ، مروج الذهب، ج3، ص414، وفيه «بكت عيني على بغداد لمّا».
(6) المصدر نفسه، ج8 458، سنة 197هـ، مروج الذهب، ج3، ص415.

وبقول الشاعر[1]:

لنـــا كـــلَّ يـــومٍ ثلمـــةٌ لا نسُـــدُّها يزيـــدون فيمـــا يطلبـــون ونـــنقصُ

ويقول العتري[2]:

وقعـــــــةُ يـــــــومِ الأحـــــــدِ صـــــارت حـــــديثَ الأبـــــدِ

وبقوله أيضا[3]:

أظهـــروا الحـــجَّ ومـــا ينوونـــهُ بـــلْ مـــنَ الهِـــرشِ يريـــدونَ الهـــربْ

وبقوله أيضا[4]:

ثقـــلان وطـــاهر بـــن الحســـين صـــبّحونا صـــبيحة الاثنـــينِ

وبشعر أبي طالب المكفوف[5]:

دعـــوا أهـــلَ الطَّريـــقِ فعـــنْ قليـــلٍ تنـــالهم مخاليـــبُ الهَصُـــورِ

وبشعر محمد الأمين[6]:

تفرقـــوا ودعـــوني يـــا معشـــر الأعْـــوانِ

وعندما اشتد القتال بين أصحاب طاهر وأصحاب محمد الأمين، استشهد الطبري بشعر الحسين بن الخليع، وكان من أنصار الأمين، قال[7]:

أمـينَ اللّـهِ ثِـقْ باللّـهِ تُعـطَ الصّـبرَ والنُّصـرهْ

(1) تاريخ الطبري، ج8 459، سنة 197هـ، مروج الذهب، ج3، ص415.

(2) المصدر نفسه، ج8 461، سنة 197هـ، مروج الذهب، ج3، ص416.

(3) المصدر نفسه، ج8، 463، سنة 197هـ، مروج الذهب، ج3، ص415.

(4) المصدر نفسه، ج8، ص466، سنة 197هـ، مروج الذهب، ج3، ص417، وفيه «بالامير الطاهر بن الحسين».

(5) المصدر نفسه، ج8، 468، سنة 197هـ، مروج الذهب، ج3، ص415 ولم يذكر المسعودي اسم الشاعر.

(6) المصدر نفسه، ج8، ص470، سنة 197، مروج الذهب ج3، ص417.

(7) المصدر نفسه، ج8، ص445، سنة 198 هـ.

فجاء المسعودي وترك البيتين الاول والثاني من القصيدة وبدأ من البيت الثالث وهو[1]:

لنــا النّصــرُ بعــونِ الله والكــرّةُ لا الفــرّهْ

وفي مجال السياسة اتفق الطبري والمسعودي في الاستشهاد بشعر كثير ولعدد كبير من الشعراء. ومن نقاط اتفاقهما في الاستشهاد بالشعر، ما كان من شعر أبي نخيلة في مدح المنصور وحثّه على عقد ولاية العهد لابنه، فقد أورد الطبري قوله[2]:

دونــكَ عبــد اللّــه أهــلَ ذاكــا خلافــةَ اللّــه الّتــي أعطاكــا

وهي قصيدة طويلة.

في حين أورد المسعودي قول أبي نخيلة من القصيدة نفسها[3]:

لمــا رأينــا استمســكت يــداكا كنّــا أناســا نرْهــبُ الملاكــا

وعندما خلع المستعين وبويع للمعتز استشهد الطبري والمسعودي على ذلك بشعر محمد بن مروان بن أبي الجنوب[4]:

لإنّ الأمورَ إلى المعتزّ قدْ رجعتْ والمســتعين إلــى حالاتِــهِ رجعــا

إلّا أنّ الطبري استشهد بالقصيدة كاملة، في حين استشهد المسعودي بالبيتين الأول والثاني.

وعندما خُلِعَ المستعين، قال بعض البغداديين[5]:

إنّــي أراكَ مــنَ الفِــراقِ جزوعــا أضــحى الإمــامُ مسـيّراً مخْلوعــا

وقد نسب المسعودي هذا الشعر للشاعر المعروف بالكناني.

---

(1) مروج الذهب، ج3، ص414.

(2) تاريخ الطبري، ج8، ص22، سنة 147هـ.

(3) مروج الذهب، ج3، ص278.

(4) تاريخ الطبري ج9، ص351، سنة 252هـ، مروج الذهب ج4، ص169.

(5) المصدر نفسه، ج9، ص350، سنة 252 هـ، مروج الذهب ج4، ص167.

- مواطن الاختلاف في الاستشهاد بالشعر، وتميز كل منهما عن الآخر

وفي مجال الاستشهاد بالشعر على الثورة العباسية تميز الطبري عن المسعودي في الاستشهاد بشعر لرجل من ولد سعيد بن العاص، يعير فيه مروان آخر الخلفاء الأمويين على الهروب، قال[1]:

لــجّ الفِــرارُ بمــروانٍ فقلــتُ لــهُ ... عــادَ الظّلــومُ ظليمــًا هَمُّــهُ الهــربُ

وقد تميز المسعودي عن الطبري في الاستشهاد بشعر نصر بن سيار الذي يخاطب فيه مروان آخر خلفاء بني أمية، قال[2]:

إنّــا ومــا نســكتم مــنْ أمرنــا ... كــالثّورِ إذْ قُــرِّبَ للنــاخِعِ
أوْ كــالتي يحســبها أهلهــا ... عــذراء بِكــراً وهــي في التاســعِ
كنّــا نُــرَ فيهــا فقــدْ مُزِّقــتْ ... واتّســع الخِــرْقُ علــى الرّاقِــعِ
كــالثّوبِ إذ أنهــجَ فيــهِ البلــى ... أعيــا علــى ذي الحيلــةِ الصّــانِعِ

وهذه إضافة طريفة ومهمة من المسعودي تفرد فيها عن الطبري، وقد علق المسعودي نفسه على هذه الأبيات بقوله: «وهي توضح الحالة اليائسة التي كان عليها نصر بن سيار»[3].

وفي الصراع بين العباسيين وبقايا الأمويين لم يتفق الطبري والمسعودي في الاستشهاد بالشعر. بل راح كل واحد منهما يستشهد بشعر مختلف عن الآخر. وربما نهج المسعودي هذا النهج لكي لا يكون ناقلا عن الطبري.

فقد استشهد الطبري بشعر سُديف. فعندما رأى عبد الله بن علي أحد رجال الأمويين، تمثل بشعر سديف[4]:

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص434، سنة 132هـ.
(2) مروج الذهب، ج3، ص258، والنّخِعْ: الذّابِحْ.
(3) المصدر نفسه، ج3، ص258.
(4) تاريخ الطبري، ج8، ص83، سنة 158هـ.

عــلامَ وفــيمَ نتــركُ عبــدَ شــمسٍ لهـــا في كـــلِّ راعيـــةٍ ثغـــاءُ
فمـــا بـــالرّمسِ في حـــرّانَ منهـــا ولـــو قتلـــتْ بأجمعهـــا وفـــاءُ

واستشهد الطبري بشعر حفص بن أبي جمعة في مدح الأمويين وهو قوله[1]:

أيــن روقــا عبــدَ شــمشٍ أيــنَ هُــمْ أيــن أهــلُ البــاعِ مــنهمْ والحســبْ

أما المسعودي فقد استشهدعلى هذا الصراع بشعر الشاعر الضرير. فقد حدّث المدائني أنّ المنصور قال: صحبت رجلا ضريرا إلى الشام وكان يريد مروان بن محمد بشعر قاله فيه، قال فسألته أنْ ينشدني فأنشدني[2]:

ليـتَ شِـعري أفـاحَ رائحـةُ المسـكِ ومـــا إنْ إخـــال بـــالخيف إنســـي
حـــينَ غابـــتْ بنـــو أميـــة عنْـــهُ والبهاليـــل مـــنْ بنـــي عبْـــد شـــمسِ
خطبـــاءُ علـــى المنبـــرِ فُرســـا نٌ عليهـــا، وقالـــةٌ غيـــر خُـــرسِ
لا يُعـــابونَ قـــائلينَ، وإنْ قـــالوا أصـــابوا، ولـــم يقولـــوا بلـــبْسِ

واستشهد المسعودي بشعر أيضا للشاعر الضرير وهو قوله[3]:

آمـــتْ نســـاءُ بنـــي أمّيـــة مـــنهمُ وبنـــــاتهمْ بمضـــــيعةٍ أيتـــــامُ
نامـتْ جـدودهم وأسـقطَ نجمهـمْ والـنّجمُ يسـقطُ والجـدودُ ينـامُ
خلـــتْ المنـــابرُ والأســـرّةُ مـــنهمُ فعلـــيهمُ حتـــى المماـــاتِ ســـلامُ

وعندما أحضر رأس مروان آخر الخلفاء بني أمية لأبي العباس السفاح، سجد وأطال السجود وتمثل بقول الشاعر[4]:

لـو يشـربون دمـي لـمْ يُـروَ شـاربهمْ ولا دمـــاؤهُمُ للغـــيطِ ترويـــني

(1) المصدر نفسه، ج8، ص101، سنة 158هـ.
(2) مروج الذهب، ج3، ص295.
(3) المصدر نفسه، ج3، ص295.
(4) المصدر نفسه، ج3، ص271.

وفي مجال الصراع بين العباسيين والشيعة، استشهد الطبري بشعر كثير لعدد كبير من الشعراء، فلما سقط ابن محمد بن عبد الله بن حسن وهو هارب، قال[1]:

منخرق السّربال يشكو الوجى تنّكبُهُ أطرافُ مروٍ حدادْ

وفي ذكر خبر خروج محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة، استشهد الطبري بشعر كلثم بنت وهب[2]:

رحِمَ اللّهُ شبابًا قاتلوا يومَ الثنيّه

وبشعر ابن هرمة[3]:

غلبتَ على الخلافةَ منْ تمنّى ومنّاهُ المُضلّ بها الضّلولَ

وبعد موت محمد بن عبد الله بن حسن رثاه عبد الله بن مصعب بن ثابت بقوله[4]:

يا صاحبيّ دعا الملامة واعلما أن لستُ في هذا بألومَ منكما

ولما قتل أبو جعفر المنصور محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة تمثل بشعر سبيع بن ربيعة بن معاوية اليربوعي[5]:

فلولا دفاعي عنكمُ إذْ عجزتمُ وباللهِ أحمى عنكمُ وأدافعُ

ومدح مروان بن أبي حفصة المنصور بقصيدة يؤكد حق العباسيين في الحكم بقوله[6]:

وسدّتْ بهارون الثّغُورُ فأحكمتْ بهِ منْ أمورٍ المسلمينَ المرائرُ

وفي ذكر قتل محمد بن عبد الله بن حسن، قال عثمان بن سعيد الطائي[7]:

همُ قتلوهُ حينَ تمَّ تمامهُ وصار معزّاً بالنّدى والتمجدِ

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص535، سنة 144هـ.
(2) المصدر نفسه، ج7، ص559-560، سنة 145 هـ.
(3) المصدر نفسه، ج7، ص562، سنة 145 هـ.
(4) المصدر نفسه، ج7، ص602-603، سنة 145هـ.
(5) المصدر نفسه، ج8، ص95، سنة 158هـ.
(6) المصدر نفسه، ج8، ص347-349، سنة 193هـ شعر مروان، ص53-54.
(7) المصدر نفسه، ج8، ص431، سنة 196هـ.

ومدح مروان بن أبي الجنوب المنصور بقصيدة يؤكد حق العباسيين بالخلافة، قال[1]:

مُلْـــــك الخليفـــــةِ جعفـــــرٍ للـــــدّينِ والـــــدّنيا ســـــلامةْ

وبقوله[2]:

رحـلَ الشـبابُ وليتـهُ لـم يرحـلِ والشـيبُ حـلَّ وليتـهُ لـم يحْلُـلِ

واستشهد المسعودي في هذا المجال بشعر كثير ولعدد كبير من الشعراء، فقد استشهد بشعر أحد الشعراء لم يذكر اسمه في مقتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن، والشعر هو[3]:

أبا المنازلِ يا خيـرَ الفـوارسِ منْ يفجـعْ بمثلـكَ في الـدُّنيا فقـدْ فُجعـا

واستشهد المسعودي على مقتله أيضا بقصيدة دعبل الخزاعي الرائعة، ومطلعها[4]:

مـدارسُ آيـاتٍ خلـتْ مـنْ تـلاوةٍ ومنـزلُ وحْـيٍ مُقفـرِ العرصـاتِ

واستشهد في رثاء الحسين بن علي صاحب فخٍّ بقول الشاعر[5]:

فـلأبكـيّنَ علـى الحسـين بعولـةٍ وعلـى الحسـنْ

واستشهد المسعودي بشعر عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير الذي يقول فيه[6]:

قومـوا ببيعـتكم نـنهضْ بطاعتنـا إنّ الخِلافـةَ فـيكم يـا بنـي حسـنِ

واستشهد المسعودي بشعر الخليفة المأمون[7]:

إذا المُرجـــيُّ ســـرّكَ أنْ تـــراهُ يمـوتُ لحينـه مـن قبـل موتـهْ

---

(1) تاريخ الطبري، ج9، ص231، سنة 247هـ. وانظر ج9، ص232، سنة 247هـ وج9، ص152، سنة 232هـ.
(2) المصدر نفسه، ج9، ص232، سنة 247هـ، وج9، ص152، سنة 232هـ.
(3) مروج الذهب، ج3، ص307.
(4) المصدر نفسه، ج3، ص307.
(5) المصدر نفسه، ج3، ص337.
(6) المصدر نفسه، ج3، ص351.
(7) المصدر نفسه، ج4، ص5.

فجـــددْ عنـــدهُ ذكـــرى علـــيٍّ وصـــلِّ علـــى النبـــيِّ وآلِ بيتـــهْ

وبشعر إبراهيم بن المهدي[1]:

إذا الشـــيعيُّ حمحـــمَ في مقـــالٍ فســـرّكَ أنْ يبـــوحَ بـــذاتِ نفســـهْ

فصـــلِّ علـــى النبـــيِّ وصـــاحبيهِ وزيريـــــهِ وجاريـــــهِ برمســـــهْ

وبشعر البحتري[2]:

وإنّ عليّـــــاً لأولـــــى بكـــــم وأزكـــى يـــداً عنـــدكم مـــن عمـــرْ

وبشعر يزيد بن محمد المهلبي، وكان من شيعة آل أبي طالب[3]:

ولقـــد بـــررتُ الطالبيـــة بعـــدما ذمّـــوا زمانـــا بعـــدها وزمانـــا

وقد رثي أبو الحسين يحيى بن عمر بأشعار كثيرة، ومما رثي به ما قاله فيه أحمد بن طاهر الشاعر من قصيدة طويلة[4]:

ســلامٌ علــى الإســلام فهــو مــوّدع إذا مــا مضــى آل النبــيّ فودّعُــوا

وبقول الشاعر[5]:

بكـت الخيـل شـجوها بعـد يحيـى وبكـــاهُ المهنّـــدُ المصـــقولُ

وفي مجال الصراع بين العباسيين والموالي تميز الطبري عن المسعودي في هذا المجال، فعندما رأى خالد النجار أنّ بعض الموالي ينتحلون أنساباً غير أنسابهم، قال[6]:

إنّ زيـــاداً ونافعـــاً وأبـــا بكـرة عنـدي مـنْ أعجـبِ العجـبِ

ذا قُرشـــيٌّ كمـــا يقـــولُ، وذا مـــولى، وهـــذا -بزعمـــهِ- عربـــي

(1) مروج الذهب، ج4، ص5.
(2) المصدر نفسه، ج4، ص135.
(3) المصدر نفسه، ج4، ص135.
(4) المصدر نفسه، ج4، ص148.
(5) المصدر نفسه، ج4، ص149.
(6) تاريخ الطبري، ج8، ص130، سنة 160هـ.

وعندما استأثر يعقوب بن داؤد بالوزارة زمن المهدي، قال بشار بن برد[1]:

بنـــي أمّيـــةَ هُبُّـــوا طـــال نـــومُكُمُ إنّ الخليفـــةَ يعقـــوبُ بـــن داؤدِ
ضـاعت خلافـتكم يـا قـومِ فـاطّلبوا خليفـــةَ اللهِ بـــينَ الـــدُّفِّ والعـــودِ

وعندما قتل طاهر بن الحسين الخليفة الأمين، قال[2]:

قتلـــــــتُ الخليفـــــــةً في دارهِ وأنهبـــــتُ بالســـــيفِ أموالـــــهُ

وقال أيضـاً[3]:

ملكـــتُ النّـــاس قسْـــراً واقتـــداراً وقتّلـــــتُ الجبـــــابرة الكبـــــارا
ووجّهـــتُ الخلافـــةَ نحـــو مـــروٍ إلـــى المـــأمونِ تبتـــدرُ ابتـــدارا

ومع أن شعر طاهر في ظاهره مدح للخليفة المأمون، إلا أنّه يخفي تعصبا وتحيزا له ولأبناء جلدته.

أمّا المسعودي فلم يستشهد على هذا الصراع بشعر.

وفي مجال الصراع بين العباسيين والخوارج تميز الطبري عن المسعودي في الاستشهاد بعدّة نصوص شعرية، فقد استشهد الطبري على وقعة أبي حمزة الخارجي بقديد، وقتله لجماعة من أهل المدينة بقول الشاعر[4]:

يـا لهـفَ نفسـي ولهفـي غيـر كاذِبـةٍ علـــى فـــوارسَ بالبطحـــاءِ أنجـــادِ
عمـــروٌ وعمـــروٌ وعبـــد اللهِ بينهمـــا وابناهما خامسٌ والحارثُ السادي

وعندما ظهر الوليد بن طريف الشّاري في الجزيرة، واشتدت شوكته، استشهد الطبري بقول الشاعر[5]:

---

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص156، سنة 166هـ. والديوان، ج3، ص91، وج4، ص45.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص499، سنة 198هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص499، سنة 198هـ.
(4) المصدر نفسه، ج7، ص394، سنة 130هـ.
(5) المصدر نفسه ج8، ص261، سنة 179هـ.

وائـــلٌ بعضـــها يقتـــلُ بعضـــاً لا يفُـــلَّ الحديـــدِ إلا الحديـــدُ

وكان الرشيد قد بعث لحربه رجل من قبيلته وهو القائد الشجاع يزيد بن مزيد الشيباني، فراوغه وقتله.

وعندما قتل الوليد بن طريف تولت أخته ليلى قيادة الجيش، وحاربت جيش يزيد بن مزيد، فنهرها يزيد بن مزيد، فذهبت وهي تقول[1]:

أيـا شـجرَ الخـابورِ مالـكَ مورقـاً كأنّـكَ لـمْ تجـزع علـى ابـن طريـفِ
فتـىً لا يُحِـبُّ الـزّادَ إلا مـن التّقـى ولا المـال إلاّ مـن قنـاد سـيوفِ

ومع أنّ كتب الأدب والتاريخ لم تذكر من هذا الشعر الشيء الكثير. إلا أن المسعودي سار على نهجهم ولم يستشهد على هذا الصراع بشيء من الشعر.

وفي مجال الزندقة استشهد الطبري بشعر العلاء بن الحداد الأعمى. فقد ذكر أن يزدان بن باذان حجّ فرأى النّاس في الطواف يهرولون فقل ما أشبههم إلا ببقر تدوس في البيدر، فقال الأعمى[2]:

أيـــا أمـــينَ اللّـــهِ في خلْقـــهِ ووارثَ الكعبـــــةِ والمنبـــــرْ
مـــاذا تـــرى في رجـــلٍ كـــافرٍ يشـــــبّهُ الكعبـــــة بالبيـــــدرْ
ويجعـــل النّـــاس إذا مـــا ســـعوا حمـــراً تـــدوسُ البُـــرّ والدّوسَـــرْ

وعندما سمع محمد الأمين شعر أبي نواس وقوله[3]:

ألا ســـــقّني خمْـــــراً وقـــــلْ لـــــي هـــــي الخمـــــرُ

وقوله:

اســـــقنيها يـــــا ذفافـــــهْ مُـــــزّةَ الطّعـــــمِ سُـــــلافهْ

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص261، سنة 179هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص190، سنة 169هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص525، سنة 198هـ، الديوان، ص96، 28.

وقوله[1]:

فجـــاء بهـــا زيتيّـــةً ذهبيـــةً فلم نستطع دونَ السّجودِ لها صبرا

فحبسه محمد الأمين على هذا، وقال إيه! أنت كافر وأنت زنديق.

أما المسعودي فتمثل بشعر ابن أبي نعيم في يحيى بن أكثم قاضي البصرة، قال[2]:

يـا ليـت يحيـى لـم يلـده أكثمـهْ ولـم تطـأ أرض العـراق قدمـه

ألـوَطُ قـاضٍ في العـراقِ نعلمـه أيّ دواةٍ لـم يلفهـا قلمـهْ

وبقوله[3]:

أميرنـا يرتشـي، وحاكمنـا يلـوط، والـرأس شـرّ مـا راسِ

وبقوله[4]:

خليلـيّ انظـرا متعجبـينِ لأظـرف منظـرٍ مقلتـهُ عينـي

لغـرضٍ لـيس يقبـلُ فيـه إلا أسـيلَ الخـدّ حلـو المقلتـينِ

وبقوله[5]:

متـى تصـلحُ الـدنيا ويصـلحُ أهلهـا وقاضـي قضـاةِ المسـلمينَ يلـوطُ

وفي مجال الفتن والثورات تميز الطبري في الاستشهاد بشعر عدد كبير من الشعراء لم يذكره المسعودي. فعندما خرج أبو حمزة الخارجي وقت الحجّ في مكة، هرب عبد الواحد بن سليمان والي مكة والمدينة، فقال الشاعر[6]:

زار الحجـيجَ عصـابةٌ قـد خـالفوا دينَ الإلـهِ ففـرّ عبـد الواحـدِ

---

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص525، سنة 198هـ، والديوان، ص61.

(2) مروج الذهب ج4، ص22.

(3) المصدر نفسه، ج4، ص22.

(4) المصدر نفسه، ج4، ص23.

(5) المصدر نفسه، ج4، ص23.

(6) تاريخ الطبري، ج7، ص376، سنة 129هـ.

وفي وقعة أبي حمزة الخارجي بقدير، قال الشاعر[1]:

يـا لهـف نفسـي ولهفـي غيـر كاذبـةٍ علـى فـوارس بالبطحـاءِ أنجـادِ

وعندما أسكت يحيى بن خالد البرمكي العصبية التي كانت بالشام، قال إسحاق بن حسان الخريمي[2]:

مـن مبلـغٌ يحيـى ودون لقائـهِ زأراتُ كـلّ خنـابسِ همهـامِ

وقال غيره[3]:

قـد هاجـت الشـام هيجـًا يشـيب رأس وليـده

وقال منصور النّمري، عندما أسكت جعفر بن يحي العصبية التي كانت بالشام[4]:

لقـد أوقـدت بالشـام نيـرانُ فتنـةٍ فهـذا أوانُ الشـام تخمـدُ نارهـا

وعندما قتل الرشيد جعفر بن يحيى البرمكي، ونكب البرامكة، قالت الشعراء فأكثروا ومن ذلك قول الرّقاشي[5]:

أيـا سـبتُ يـا شـرّ السُّـبوتِ صـبيحةً ويـا صـفرُ المشـئومُ مـا جئـتَ أشـأما

وقوله أيضا[6]:

إنْ يغـدر الـزّمنُ الخئـونُ بنـا فقـد غـدر الزّمـانُ بجعفـرٍ ومحمـدِ

واستشهد الطبري بقول ابن أبي كريمة[7]:

كـل معيـرٍ أعيـرَ مرتبـةً بعـد فتـى برمـكٍ علـى غـررِ

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص394ن سنة 130هـ.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص251، سنة 176هـ.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص252، سنة 176هـ.

(4) المصدر نفسه، ج8، ص262-263، سنة 180هـ. شعر منصور النمري، ص92-95.

(5) المصدر نفسه، ج8، ص300، سنة 187هـ.

(6) المصدر نفسه، ج8، ص300، سنة 187هـ.

(7) المصدر نفسه، ج8، ص301، سنة 187هـ.

ويقول العطوي أبو عبد الرحمن[1]:

أمـــا والله لـــولا قـــولُ واشٍ وعـــينٌ للخليفـــةِ لا تنـــامُ

ويقول أبو العتاهية[2]:

قـولا لمـنْ يرتجـي الحيـاة أمـا في جعفـــرٍ عبـــرةٌ ويحيـــاهُ

وإضافة لما سبق فقد استشهد الطبري على الحرب التي حدثت بين الأمين والمأمون بشعر الحسين بن الضحاك الخليع[3]:

أتســـرعُ الرِّجلـــة إغـــذاذا عـــن جـــانبي بغـــداد أم مـــاذا

وبشعر الخريمي[4]:

قـــالوا: ولـــم يلعـــب الزّمـــانُ ببغـــداد وتعثـــر بهـــا عواثرهـــا

وبشعر عمرو بن عبد الملك الوراق العتري[5]:

وقعـةُ السّـبتِ يـومَ دَرْبِ الحجـارهْ قطعـــت قطعـــة مـــن النّظّـــارهْ

وبشعره أيضا[6]:

عريـــانُ لـــيس بـــذي قمـــيصٍ يغـــدو علـــى طلـــبِ القمـــيصِ

وعندما قضى الإفشين على بابك الخُرّميّ، قالت الشعراء فأكثرت، واستشهد الطبري على ذلك بعدة نصوص شعرية منها قول محمد بن عبد الملك الزيّات[7]:

قـــد خصـــبَ الفيـــلُ كعاداتـــهِ يحمـــلُ شـــيطانَ خراســـانِ

---

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص301، سنة 187هـ.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص301، سنة 187هـ.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص447، سنة 197هـ.

(4) المصدر نفسه، ج8، ص448-454، سنة 197هـ وهي قصيدة طويلة جدا.

(5) المصدر نفسه، ج8، ص463، سنة 197هـ.

(6) المصدر نفسه، ج8، ص465، سنة 197هـ.

(7) المصدر نفسه، ج9، ص53، سنة 223هـ.

والفيـــلُ لا تخضـــبُ أعضـــاؤُهُ إلا الـــذي شـــانِ مـــن الشـــانِ

وعندما توج المعتصم الأفشين، قال أبو تمام[1]:

بـــذّ الجِـــلادُ البـــذّ فهـــو دفـــينُ مـــا إنْ بـــه إلا الوحـــوشَ قطـــينُ

وعندما هاجت الفتنة بسبب قتل باغر التركي أحد قتلة المتوكل، قال أحمد بن الحارث[2]:

لعمـــري لـــئن قتلـــوا بـــاغرا لقـــد هـــاج بـــاغر حرْبـــًا طحونـــا

وعندما حدثت الفتنة بين المعتز والمستعين، كتب المعتز لأخيه يحثّه على القتال، فقال[3]:

لأمـــر المنايـــا علينـــا طريـــقُ وللـــدّهر فيـــه اتّســـاعٌ وضـــيقُ

فأجابه محمد بن عبد الله أو قيل على لسانه[4]:

ألا كـــلّ مـــن زاغَ عـــن أمـــرهِ وجـــار بـــه عـــن هـــداه الطريـــقُ

أمّ المسعودي فقد استشهد بشعر كثير ولعدد كبير من الشعراء، فعلى نكبة البرامكة استشهد المسعودي بشعر الأصمعي[5]:

لـو أنّ جعفـرَ هـاب أسباب الـردى لنجـــا بمهجتـــه طمّـــرٌّ ملجـــمُ

وبشعر أحدهم[6]:

إنّ المســـاكين بنـــو برمـــكٍ صـــبّتْ علـــيهم غيـــرُ الـــدّهرِ

(1) تاريخ الطبري، ج9، ص55، سنة 223هـ. الديوان 3: 316.
(2) المصدر نفسه، ج9، ص281، سنة 251هـ.
(3) المصدر نفسه، ج9، ص316، سنة 251هـ.
(4) المصدر نفسه، ج9، ص316-317، سنة 251هـ.
(5) مروج الذهب، ج3، ص389.
(6) المصدر نفسه، ج3، ص389.

وبشعر علي بن أبي معاذ[1]:

يـــا أيهـــا المغتـــرُّ بالـــدّهرِ والـــدّهرُ ذو صـــرْفٍ وذو غـــدْرِ

وبشعر صالح الأعرابي[2]:

لقـد خـان هـذا الـدهر أبنـاء برمـكٍ وأيّ ملـوكٍ لـمْ تخنهـا دهورهـا

وبشعر أبي حرزة الأعرابي أو أبي نواس[3]:

مـا رمـى الـدهر آل برمـكَ لمّـا أن رمـى ملكهـم بـأمرِ بـديعِ

وبقول الشاعر[4]:

يـا بنـي برمـكٍ واهـًا لكـمْ ولأيـامكمُ المقتبلـهْ

وبقول أشجع السلمي[5]:

ولّـى عـن الـدُّنيا بنـو برمـكٍ فلـو تـوالى النّـاسُ مـا زادا

وبقول أحدهم[6]:

كـأنّ أيـامهم مـن حسـن بهجتهـا مواسـمُ الحـجّ والأعيـادِ والجمـعِ

وبقول منصور النّمري[7]:

انـدب بنـي برمـكٍ لـدنيا تبكـي علـيهم بكـلّ وادِ

(1) مروج الذهب، ج3، ص389.
(2) المصدر نفسه، ج3، ص391.
(3) المصدر نفسه، ج3، ص391.
(4) المصدر نفسه، ج3، ص391.
(5) المصدر نفسه، ج3، ص391.
(6) المصدر نفسه، ج3، ص391.
(7) المصدر نفسه، ج3، ص391.

وبقول دعبل الخزاعي[1]:

ألـم تـر صـرف الـدّهرِ في آل برمـكٍ وفي ابـن نهيـك والقـرونُ التـي تخلـو

وبقول أشجع السلمي فيهم أيضا[2]:

قــد ســار دهــرٌ ببنــي برمــكٍ ولــم يــدع فــيهم لنــا بقيــا

وكان الرشيد كثيرا ما ينشد في نكبة البرامكة[3]:

إن اســـتهانتها إذا وقعـــتْ لبقــدرِ مــا تعلــو بهــا رتبــهْ

وإذا بــدت للنّمــلِ أجنحــةٌ حتــى يطيــرَ فقــد دنــا عطبــهْ

وعندما قتل طاهر بن الحسين علي بن عيسى بن ماهان، قال الشاعر الأعمى[4]:

عجبــتُ لمعشــر يرجــون نُجحــاً لأمــرٍ مــا تــتمّ لــهُ الأمــورُ

ولما انهزم جيش محمد الأمين من قبل جيش طاهر بن الحسين قال الشاعر[5]:

تبــا لــدى الآثــام والمتزنــدق مــاذا دعــاهُ إلــى العظــيمِ الموبــقِ

ولما طلب الأمين –من طاهر– الأمان له ولحاشيته، قال بعض العيارين[6]:

لنــا مــنْ طــاهرٍ يــومٌ عظــيمُ الشــأن والخطــبِ

وبقول الأعمى المعروف بأبن أبي طالب[7] من قصيدة طويلة:

تقطّعــت الأرحــامُ بــين العشــائرِ وأســلمهم أهــلُ التّقــى والبصــائرُ

---

(1) مروج الذهب، ج3، ص391. الديوان، ص259.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص392.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص392.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص406.

(5) المصدر نفسه، ج3، ص407..

(6) المصدر نفسه، ج3، ص409.

(7) المصدر نفسه، ج3، ص409.

وهذه القصيدة تقابل قصيدة الخريميُّ «قالوا ولم يلعب الزمان» في تصوير الدمار والخراب الذي حلّ ببغداد أثناء الحرب بين الأمين والمأمون، إلا أنّ قصيدة الخريميّ جاءت مصورة للحدث بشكل أوضح وبتفصيل أكثر.

وبشعر الخُريميّ[1]:

الكـــرخُ أســـواقهُ معطّلـــة يســـتن عيّارهـــا وعابرهـــا

وبشعر إبراهيم بن المهدي[2]:

يـــا أمـــينَ الله، إنّ الحمـــد للهِ كثيـــرا

وبشعر أبي تمام في قتل بابك الخرميّ ومازيار[3]:

ولقد شفى الأحشاء منْ برحائها إذ صار بابك جارَ مازيّار

وبشعر البحتري، عندما غدر المنتصر بأبيه المتوكل[4]:

أكان وليُّ العهدِ أضمر غدرةً فمنْ عجبٍ أن وُلّيَ العهد غادرهْ

وفي مجال السياسة استشهد الطبري بشعر أبي نخيلة الرّاجز عندما كان المنصور يريد عقد البيعة لابنه المهدي، قال[5]:

أمسى وليّ عهدها بالأسعدِ عيسى فزحلفها إلى محمد

وعندما خلع عيسى بن موسى وتمت البيعة لموسى الهادي، قال الشاعر[6]:

كرهَ الموتَ أبو موسى وقدْ كان في الموتِ نجاءٌ وكرمْ

(1) مروج الذهب، ج3، ص415.
(2) المصدر نفسه، ج3، ص58.
(3) المصدر نفسه، ج3، ص61.
(4) المصدر نفسه، ج4، ص122.
(5) تاريخ الطبري، ج8، ص22، سنة 147هـ.
(6) المصدر تفسه، ج8، ص128، سنة 160هـ.

وعندما ارتفعت مكانة يعقوب بن داؤد عند المهدي، قال بشار بن برد[1]:

بنـــي أميّـــة هُبّـــو طـــال نـــومكمُ إنّ الخليفـــة يعقـــوب بـــن داؤد

وعندما عقد الرشيد البيعة لأبنائه استشهد الطبري بشعر أبي الغول الطّهوي[2]:

وبشعر سلم الخاسر[3]:

قـــد وفّـــق اللّـــهُ الخليفـــة إذ بنـــى بيـــتَ الخليفـــة للهجـــانِ الأزهـــرِ

وبقوله[4]:

بـــايع هـــارونُ إمـــامُ الهـــدى لـــذي الحجـــى والخلـــقِ الفاضـــلِ

وبشعر منصور النّمري[5]:

أمست بمروٍ على التوفيق قد صفقتْ على يدِ الفضل أيدي العجمٍ والعربِ

وبشعر عبد الملك بن صالح[6]:

يـــا أيهـــا الملـــكُ الـــذي لـــو كـــان نجمـــا كـــان ســـعدا

وبقوله[7]:

حـــبّ الخليفـــة حـــبٌّ لا يـــدينُ بـــه مـــن كـــان لله عـــاصٍ يعمـــلُ الفتنـــا

وقد عارض البيعة بعض الشعراء، واستشهد الطبري بقول أحدهم[8]:

أقـــولُ لغمّـــةٍ في الـــنفس منّـــي ودمـــعُ العـــينِ يطـــرّدُ اطّـــرادا

رأى الملـــكُ المهـــذّبُ شـــرّ رأيٍ بقســـمتهِ الخلافـــةَ والـــبلادا

---

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص156، سنة 166هـ، الديوان، ج3، ص91، وج4، ص45.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص363، سنة 193هـ.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص240، سنة 175هـ.

(4) المصدر نفسه، ج8، ص276، سنة 186هـ.

(5) المصدر نفسه، ج8، ص240- 241، سنة 145هـ.

(6) المصدر نفسه، ج8، ص276، سنة 186هـ.

(7) المصدر نفسه، ج8، ص276، سنة 186هـ.

(8) المصدر نفسه، ج8، ص277، سنة 186هـ.

وعندما جدد الرشيد البيعة لأبنائه في الكعبة، استشهد الطبري بشعر إبراهيم الموصلي[1]:

خيرُ الأمورِ مغبةً وأحقُّ أمرٍ بالتّمامِ

ولما عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة، قال أبو الغصن الأعرابي[2]:

لإنّ ولاة المسلمين الجلّهْ محمّدٌ ثم أبو عبد اللهْ

وقال إبراهيم بن العباس الصولي يمدح بني المتوكل الثلاثة[3]:

أضحتْ عُرى الإسلام وهي منوطةٌ بالنّصرِ والإعزازِ والتأييدِ

وله في المعتز [4]:

أشرق المشرقُ بالمعـ تزِّ باللّهِ ولاحا

وله أيضا فيها[5]:

اللّهُ أظهرَ دينهُ وأعزّهُ بمُحمّدِ

وعندما خلع المستعين، قال بعض الشعراء[6]:

خلعَ الخلافةَ أحمدُ بنُ محمدٍ وسيقتلُ التّالي لهُ أو يخلعُ

أما المسعودي فقد استشهد في مجال السياسة بشعر كثير ولعدد كبير من الشعراء. فعندما دخل أبو نخيلة على أبي العباس السفاح، سلم عليه وانتسب له، وقال: عبدك يا امير

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص286، سنة 186هـ.
(2) المصدر نفسه، ج9، ص176، سنة 2356هـ.
(3) المصدر نفسه، ج9، ص181، سنة 235هـ، الديوان، ص131.
(4) المصدر نفسه، ج9، ص181، سنة 235هـ، والديوان، ص130.
(5) المصدر نفسه، ج9، ص181، سنة 235هـ، والديوان، ص131.
(6) المصدر نفسه، ج9، ص350، سنة 252هـ.

المؤمنين وشاعرك، أفتأذن لي في إنشادك؟ فقال له: لعنك الله! ألست القائل في مسلمة بن عبد الملك بن مروان[1]:

أمسلمُ، إنّي يا ابن كلّ خليفةٍ ... ويا فارسَ الهيجا ويا جبل الأرضِ

قال: فأنا يا أمير المؤمنين الذي أقول[2]:

لمّا رأينا استمسكت يداكا ... كنّا أناسًا نرهبُ الملاكا

وعندما أخذت البيعة لموسى الهادي قال في ذلك بعض الشعراء[3]:

لمّا أتت خير بني هاشمٍ ... خِلافةُ اللّهِ بجرجانِ

وعندما علق الرشيد كتاب البيعة لأبنائه في الكعبة، استعظم الناس أمر الشرط والإيمان في الكعبة، فقال رجل من هذيل في ذلك[4]:

وبيعةٍ قد نكثت أيمانها ... وفتنةٍ قدْ سعِّرتْ نيرانها

وعندما بايع المتوكل لأبنائه الثلاثة، قال ابن المدبر في ذلك[5]:

يا بيعةً مثلَ بيعةِ الشجرهْ ... فيها لكلِ الخلائقِ الخيرهْ

وفي ذلك أيضا يقول علي بن الجهم [6]:

قل للخليفةِ جعفر: يا ذا النّدى ... وابنَ الخلائفِ والأئمةِ والهُدى

(1) مروج الذهب، ج3، ص278.
(2) المصدر نفسه، ج3، ص278.
(3) المصدر نفسه، ج3، ص334.
(4) المصدر نفسه، ج3، ص364.
(5) المصدر نفسه، ج4، ص87.
(6) المصدر نفسه، ج4، ص136.

وعندما خلع المنتصر أخويه المعتز وإبراهيم من ولاية العهد بعده، وكان المتوكل قد عقد البيعة للمنتصر أولا ثم المعتز ثم إبراهيم المؤيد، قالت الشعراء فأكثرت، فما اختير من قولهم في ذلك قول مروان بن أبي الجنوب من قصيدة [1]:

ثلاثــةُ أمــلاكٍ، فأمّــا محمــدٌ فنورُ هدى يهدي به الله منْ يهدي

وبقوله [2]:

يــا عاشــرَ الخلفــاء دُمــتَ ممتعــًا بالملــكِ تعقــدُ بعــدهم للعاشــرِ

وعندما عقد المتوكل البيعة لأولاده الثلاثة قال المعروف السُّلميّ[3]:

لقدْ شدّ ركن الدين بالبيعة الرّضا وطــائر ســعد جعفــر بــن محمــد

وقال إدريس بن أبي حفصة في ذلك[4]:

إنّ الخلافــة مالهــا عــنْ جعفــرٍ نــورِ الهــدى وبنيــهِ مــنْ تحويــلِ

وقال بعض الشعراء في ذلك[5]:

هــــذا الإمــــامُ المنتصــــر والملــــكُ الحــــادي عشــــرْ

وعندما ضعف أمر المستعين أمام الموالي قال بعض الشعراء[6]:

خليفــــةٌ في قفــــصٍ بــــينَ وصــــيفٍ وبغــــلا

يقــــولُ مــــا قــــالا لــــهُ كمــــا يقــــولُ الببّغــــا

(1) مروج الذهب، ج4، ص136.
(2) المصدر نفسه، ج4، ص136.
(3) المصدر نفسه، ج4، ص136.
(4) المصدر نفسه، ج4، ص137.
(5) المصدر نفسه، ج4، ص137.
(6) المصدر نفسه، ج4، ص145.

وعندما عقد المستعين البيعة لابنه العباس قال الشاعر علي البصير من قصيدة طويلة[1]:

بـكَ اللّـهُ حـاطَ الـدّينَ وانتـاش أهلـه منَ الموقفِ الدّحضِ الذي مثله يـردي

وعندما قوي أمر الأتراك، وأخذوا ينصبون الخلفاء ويعزلونهم، قال بعض شعراء العصر من أهل بغداد[2]:

أطافـتْ بنـا الأتـراك حـولاً مجرّمـا ومـا برحـت في جحرهـا أمُّ عـامرِ

ولمّا خلع المستعين وأحدر إلى بغداد، قال البحتري في ذلك[3]:

إلى واسطٍ خلفَ الدّجاج، ولم يكُنْ لينبـتَ في لحـمِ الـدّجاجِ مخالـبُ

وحين خلع المستعين واستتم الأمر للمعتز قال البحتري أو غيره[4]:

للّـــهِ درُّ عصـــابةٍ تركيـــةٍ ردّوا، نوائـــب دهـــرهم بالسّـــيفِ

وفي المعتز ورجوع الأمر إليه واتفاق الكلمة عليه، قال أبو علي البصير[5]:

آب أمـــرُ الإســـلامِ خيـــرَ مآبِـــه وغـــدا الملـــكُ ثابتـــا في نِصـــابهِ

وفي مجال الحروب الخارجية بين العباسيين والروم تميز الطبري عن المسعودي في الاستشهاد بشعر كثير ولعدد كبير من الشعراء، فعندما حارب العباسيون المصمغان والإصبهبذ، قال بشار بن برد مخاطبا أبا جعفر المنصور، حاثّـًا إياه على تولية قيادة الجيوش العباسية لعمر بن العلاء[6]:

فقـــل للخليفـــةِ إنْ جئتـــهُ نصـــيحًا ولا خيـــرَ في المـــتّهمْ

(1) مروج الذهب، ج4، ص154.
(2) المصدر نفسه، ج4، ص164.
(3) المصدر نفسه، ج 4، ص167.
(4) المصدر نفسه، ج4، ص169.
(5) المصدر نفسه، ج4، ص169.
(6) تاريخ الطبري، ج7، ص510، سنة 141هـ، الديوان، ج4، ص160-161.

وعندما وصل الرشيد القسطنطينية أثناء غزوه للروم، قال مروان بن أبي حفصة[1]:

أطفــتَ بقســطنطينية إلــى مســنداً إليها القنا حتى اكتسى الـذَّلَّ سورها

وعندما حجَّ الرشيد سنة سبعين ومائه وغزا فيها قال داؤد بن رزين[2]:

بهــارون لاح النّــورُ في كــلِّ بلــدةٍ وقــامَ بــهِ في عــدلِ ســيرتهِ الــنّهجُ

وعندما غزا الرشيد أرض الروم ووصل إلى حصن الصفصاف قال مروان بن أبي حفصة[3]:

إنّ أميــرَ المــؤمنينَ المصــطفى قد ترك الصفصاف قاعا صفصفا

وعندما نقض الروم الصلح الذي أبرمه الرشيد معهم، قال الحجاج بن يوسف التيمي[4]:

نقــض الــذي أعطيتــهُ نقفــورُ وعليــه دائــرةُ البــوارِ تــدورُ

وفي ذلك قال أبو العتاهية[5]:

قضى اللّهُ أنْ يصفو لهارون ملكهُ وكـان قضـاءُ اللهِ في الخلـقِ مقضـيا

وقال[6]:

ألا نــادت هرقلــةٌ بِــالخَرَابِ مــن الملــكِ الموفّــقِ بالصّــوابِ

وقال في ذلك التّيمي[7]:

لجّـتْ بنقفـورَ أسـبابُ الـرّدى عبثـا لمّـا رأتـهُ بغيـلِ اللّيـثِ قـدْ عبثـا

---

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص152، سنة 165هـ، شعر مروان، ص39.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص234، سنة 170هـ.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص268، سنة 181 هـ، شعر مروان، ص53 وما بعدها.

(4) المصدر نفسه، ج8، ص308-309، سنة 187هـ.

(5) المصدر نفسه، ج8، ص309، سنة 187هـ، والديوان، ص674-675.

(6) المصدر نفسه، ج8، ص310، سنة 187هـ.

(7) المصدر نفسه، ج8، ص310، سنة 187هـ.

وعندما فتح الرشيد هرقلة قال أبو المعالي الكلابي[1]:

فمـــن يطلـــب لقـــاءك أو يـــردهُ فبـــالحرمينِ أو أقصـــى الثّغـــورِ

وعنـدما كـان الفـداء بـين المسـلمين والـروم، قـال مـروان بـن أبـي حفصـة في مـدح الرشيد[2]:

وفكت بك الأسرى التي شيّدت لها محـابِسُ مـا فيهـا حمـيمٌ يزورهـا

وعندما افتتح عبد الله بن خرداذبة جبال طبرستان، قال سلام الخاسر[3]:

إنّـا لنأمـلُ فـتح الـرّومِ والصّـينِ بمـن أدال لنـا مـن ملـكِ شـروينِ

وقال الحسين بن الضحاك يمدح الإفشين، ويذكر وقعته مع الروم، قبل الوصول إلى عمورية[4]:

أثبـــت المعصـــومُ عـــزّاً لأبـــي حســـنٍ أثبـــت مـــنْ ركـــنِ إضـــمْ

أمّا المسعودي فقد استشهد على الحروب الخارجية بشعر إبراهيم بن المهدي. ففي سنة ثلاث وعشرين ومائتين هاجم توفيل زبطرة، فافتتحها، وقتل الصغير والكبير، فضجّ الناس في الأمصار، واستغاثوا في المساجد والديار، فدخل إبراهيم بن المهدي على المعتصم فأنشده قائما قصيدة طويلة يذكر فيها ما حلّ بزبطرة، ويحثّه على الجهاد، فمنها[5]:

يـا غـارة اللهِ قـدْ عاينـت فـانتهكي هتـك النّسـاءِ ومـا مـنهنّ يرتكـبُ

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص320-321، سنة 190هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص318، سنة 189هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص556، سنة 201هـ.
(4) المصدر نفسه، ج9، ص70-71، سنة 223هـ.
(5) مروج الذهب، ج4، ص60.

وبناء على ما سبق فقد فات على الطبري الشيء الكثير في الاستشهاد على الحروب الخارجية، رغم استشهاده بمجموعة من النصوص الشعرية على بعض الحوادث التاريخية في هذا المجال. أمّا المسعودي فإنّه لم يهتم بالشعر في هذا المجال، وبذلك لم يستشهد عليه إلاّ بنصوص شعرية نادرة، فجاء الشعر عنده مواكبًا للحروب الخارجية.

4. الأغراض الشعرية

- **مواطن الاتفاق في الاستشهاد بالشعر**

وفي مجال الأغراض الشعرية اتفق الطبري والمسعودي في الاستشهاد بشعر كثير ولعدد كبير من الشعراء، ومن هذه الأغراض المدح والرثاء والهجاء والوصف.

ففي مجال المدح اتفق الطبري والمسعودي في الاستشهاد ببعض النماذج الشعرية على الحاودث نفسها. فعندما مدح أبو نخيلة أبا العباس السفاح استشهد الطبري بشعره الذي يقول فيه[1]:

دونـــك عبـــد اللهِ أهـــلَ ذاكـــا خلافـــة اللهِ التـــي أعطاكـــا

أما المسعودي فقد استشهد بقوله[2]:

لمّـــا رأينـــا استمســـكت يـــداكا كنّـــا أناســـًا نرهـــبُ الملاكـــا

واستشهد الطبري والمسعودي في مدح أبي جعفر المنصور بشعر ابن هرمة[3]:

تـرونَ أمـراً لا يمحـضُ القـومَ سِـرّهُ ولا ينتجـي الأذنـين فيمـا يحـاولُ
إذا مـا أتـى شيئًا مضى كالـذي أبى وإنْ قـال إنّـي فاعـلٌ فهـو فاعـلُ

ولكن المسعودي استشهد بالشعر نفسه ولكن برواية مختلفة، والرواية هي[4]:

إذا مـا أرادَ الأمـرَ نـاجى ضـميره فناجى ضميراً غيرَ مختلفِ العقلِ
ولـم يشـرك الأذنـين في سـرِّ أمـرِهِ إذا انتفضتْ بالإصبعينِ قوى الحبلِ

وفي مدح الرشيد استشهد الطبري والمسعودي بشعر مروان بن أبي حفصة، ولكن كلّ

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص22، سنة 147هـ.
(2) مروج الذهب، ج3، ص378.
(3) تاريخ الطبري، ج7، ص565، سنة 145هـ.
(4) مروج الذهب، ج3، ص301.

واحد منهما اختار ما يناسبه من القصيدة، فقد استشهد الطبري بالبيت الذي يقول[1]:

أنّـى يكـون ولـيس بـذاك بكـائنٍ لبنـي البنـاتِ وراثـةُ الأعمـامِ

وهو البيت الرابع في القصيدة.

أما المسعودي فقد استشهد بالبيت الذي يقول[2]:

يـا ابـن الـذي ورث النبـيّ محمـداً دون الأقـاربِ مـنْ بنـي الأرحـامِ

وعندما قلّد الرشيد يحيى بن خالد الوزارة استشهد الطبري والمسعودي على ذلك بقول إبراهيم الموصلي[3]:

ألـم تـرَ أنّ الشـمسَ كانـتْ سـقيمةً فلمّـا ولـي هـارونُ أشـرق نورهـا

وعندما وثب عيسى بن علي بن عيسى على حمزة الشاري بباذغنيس من خراسان وقتلهم، قال الشاعر المعروف بأبي العزافر القميُّ[4]:

كـادَ عيسـى يكـونُ ذا القـرنينِ بلـغَ المشـرقينِ والمغـربينِ

واستشهد الطبري بشعر إبراهيم بن المهدي في مدح المأمون بعد أن عفا عنه قال[5]:

يـا خيـرَ مـنْ ذملـتْ يمانيـةٌ بـهِ بعـدَ الرّسـولِ لآيـسٍ ولطـامعِ

وفي مدح المعتز استشهد الطبري والمسعودي بشعر محمد بن مروان بن أبي الجنوب[6]:

إنّ الأمـور إلـى المعتـزِّ قـد رجعـت والمسـتعينُ إلـى حالاتـهِ رجعـا

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص182، سنة 169هـ شعر مروان، ص104.
(2) مروج الذهب، ج3، ص332. شعر مروان، ص104.
(3) تاريخ الطبري، ج8، ص233، سنة 170هـ، مروج الذهب ج3، ص348..
(4) المصدر نفسه، ج8، ص273، سنة 185هـ، مروج الذهب، ج4، ص238.
(5) المصدر نفسه، ج8، ص604-605، سنة 210هـ.
(6) المصدر نفسه، ج9، ص351، سنة 252هـ، مروج الذهب، ج4، ص169.

واستشهد المسعودي ببيت آخر من القصيدة نفسها، وهو[1]:

إنّ الـذي قسـمَ المكـارمَ حازهـا مـن صـلبِ آدمَ للإمـامِ السّـابعِ

واتفـق الطـبري والمسـعودي في الاستشـهاد بالشـعر في مـدح طـاهر بـن الحسـين، فقـد استشهد بشعر عمرو بن عبد الملك الورا العتري، ومطلعه[2]:

ثقـلان وطـاهرُ بـنُ الحسـينِ صـبّحونا صـبيحةَ الإثنـينِ

وفي مجال الرثاء اتفق الطبري والمسعودي في الاستشهاد بالشعر على موت المهدي. فقد استشهدا بشعر أبي العتاهية[3]:

رحـنَ في الوشـي وأصـبحنَ علـيهنّ المُسُـوحْ

واستشهدا بشعر أبي سعيد المخزومي في رثاء المأمون[4]:

هل رأيتَ النّجومَ أغنتْ عنْ المأمو نِ شـيئًا، أو ملكـهِ المـأموسِ

وفي مجال الهجاء اتفق الطبري والمسعودي في الاستشهاد بالشعر على بعض الأحداث بالشعر نفسه، فعندما قتل أبو العباس السفاح أبا مسلمة، استشهدا بقول سليمان بن المهاجر البجلي[5]:

إنّ الـوزيرَ وزيـرَ آلِ محمـدٍ أودى فمـنْ يشـناكَ كـان وزيـرا

إلاّ أن المسعودي زاد بيتا على هذا البيت -قبله- وهو[6]:

إنّ المسـاءة قـد تسـرُّ، وربمـا كـانَ السـرور بمـا كرهـتَ جـديرا

---

(1) مروج الذهب، ج4، ص30.

(2) تـاريخ الطـبري، ج8، ص446، سـنة 197هـ، مـروج الـذهب، ج3، ص417، وفيـه «بـالأمير الطـاهر بـن الحسين».

(3) المصدر نفسه، ج8، ص1710، سنة 169هـ، والديوان، ص98-99، مروج الذهب، ج3، ص319.

(4) المصدر نفسه، ج8، ص655، سنة 218هـ، مروج الذهب، ج4، ص45.

(5) المصدر نفسه، ج7، ص450، سنة 132هـ. مروج الذهب، ج3، ص285..

(6) مروج الذهب، ج3، ص285.

وعندما نهى الأمين عن الدعاء للمأمون والقاسم، والدعاء لابنه العباس، قال بعض الشعراء[1]:

أضاعَ الخلافةَ غشُّ الوزيرِ وفسقُ الإمامِ وجهلُ المشيرِ

وعندما قتل ابن طاهر يحيى بن عمر الطالبي استشهد الطبري والمسعودي على ذلك بقول أبي هاشم الجعفري[2]:

يا بني طاهرٍ كلوهُ وبيا إنّ لحم النبيِّ غيرُ مريِّ

وعندما أراد المتوكل الخروج إلى دمشق، استشهد الطبري والمسعودي على ذلك بقول يزيد المهلبي[3]:

أظنّ الشامَ يشمتُ بالعراقِ إذا عزم الإمامُ على انطلاقِ
فإنْ تدعِ العراقَ وساكنيها فقدْ تبلى المليحةُ بالطّلاقِ

وفي مجال الوصف، وإضافة لما سبق -من الحديث عن وصف الثورة العباسية وما حل ببغداد من دمار وخراب أثناء الحرب التي دارت بين الأمين والمأمون- فقد اتفق الطبري والمسعودي في الاستشهاد بشعر أبي العتاهية في وصف المأمون، وهو قوله[4]:

لا يصلحُ النّفسَ إذْ كانتْ مقسّمةً إلا التّنقلَ منْ حالٍ إلى حالِ

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص389، سنة 195، وج8، ص396، سنة 195هـ، ومروج الذهب، ج3، ص405-406.

(2) المصدر نفسه، ج9، ص270، سنة 250هـ، مروج الذهب، ج4، ص61.

(3) المصدر نفسه، ج9، ص208 سنة 243 هـ، مروج الذهب، ج4، ص114.

(4) المصدر نفسه، ج8، ص659، سنة 218هـ، مروج الذهب، ج4، ص174..

- **مواطن الاختلاف في الاستشهاد بالشعر، وتميز كل منهما عن الآخر**

وفي مدح الخلفاء وولاة العهد استشهد الطبري بشعر كثير ولعدد كبير من الشعراء، فقد استشهد الطبري بشعر ابن هرمة في مدحه للمنصور، وقد أكد فيه حق العباسيين في الحكم، قال[1]:

وما الناسُ احتبوكَ بها ولكنْ حباكَ بذلكَ الملكُ الجليلُ

وبقول أبي نخيلة[2]:

إلى أميرِ المؤمنينَ فاعمدي سيري إلى بحرِ البحورِ المزبدِ

وعندما أمر المهدي بالصوم ليستسقي للناس، قال لقيط بن بكير المحاربي في مدحه[3]:

يا إمامَ الهدى سُقينا بك الغيثَ وزالتْ عنّا بكَ الأواءُ

وعندما تعقب موسى الهادي الزنادقة مدحه العلاء بن الحدّاد بقوله[4]:

أيا أمينَ اللّهِ في خلقهِ ووارثَ الكعبةِ والمنبرْ

ومدح سلم بن عمرو الخاسر موسى الهادي لمّا تولّى الخلافة بقوله[5]:

لقد فازَ موسى بالخلافةِ والهُدى وماتَ أميرُ المؤمنينَ محمّدُ

وبقوله[6]:

تخفى المُلوكُ لموسى عندَ طلعتهِ مثلَ النّجومِ لقرنِ الشّمسِ إذْ طلعا

وعندما عقد الرشيد البيعة لأبنائه مدحه سلم الخاسر بقوله[7]:

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص562، سنة 145هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص22، سنة 147هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8 169هـ.
(4) المصدر نفسه، ج8، ص190، سنة 169هـ.
(5) المصدر نفسه، ج8، ص224، سنة 170هـ.
(6) المصدر نفسه، ج8، ص225، سنة 170هـ.
(7) المصدر نفسه، ج8، ص240، سنة175هـ.

قــدْ وفّــقَ اللّــهُ الخليفــةَ إذْ بنــى بيــتَ الخليفــةِ للهجــانِ الأزهــرِ

وبقوله[1]:

بــايع هــارونُ إمــامُ الهُــدى لــذي الحِجــى والخُلُــقِ الفاضِــلِ

وفي ذلك يقول عبد الملك بن صالح[2]:

يــا أيُّهــا الملِــكُ الّــذي لــو كــان نجمــاً كــان ســعدا

وعندما نقض نقفور الصلح الذي أبرمه مع الرشيد، مدحه الحجاج بن يوسف التيميُّ بقوله[3]:

نقــضَ الــذي أعطيتــهُ نقفــورُ وعليــهِ دائــرةُ البــوارِ تــدورُ

ومدح أبو العتاهية هارون الرشيد بعد غزوه الروم بقصيدة مطلعها[4]:

إمامَ الهدى أصبحتَ بالدّينِ معنيّا وأصبحتَ تسمي كلّ مستمطرٍ ريّا

وعندما كان الفداء بين المسلمين والروم، مدح مروان بن أبي حفصة الرشيد بقوله[5]:

وفكّت بك الأسرى التي شيّدت لها محابسُ ما فيها حميمٌ يزورها

وعندما خرج الرشيد إلى الرّي وجدّد البيعة لأبنائه قال النّواسي[6]:

تبارك من ساسَ الأمور بعلمِهِ وفضّل هارونــاً علــى الخلفــاءِ

وفي ذلك يقول أبو العتاهية[7]:

إنّ أمــينَ اللّــهِ في خلقــهِ حــنّ بــهِ البِــرُّ إلــى مولــدِهِ

---

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص276، سنة 186هـ.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص276، سنة 186هـ.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص309، سنة187هـ.

(4) المصدر نفسه، ج8، ص309، سنة187هـ الديوان، ص674-675.

(5) المصدر نفسه، ج8، ص318، سنة 189هـ، وشعر مروان، ص61.

(6) المصدر نفسه، ج8، ص316، سنة 189هـ.

(7) المصدر نفسه، ج8، ص317، سنة 189هـ.

وكان الرشيد يتخذ قلنسوة مكتوبا عليها «غازٍ حاجٌّ» فمدحه أبو المعالي الكلابي، بقوله[1]:

فمن يطلبْ لقاءكَ أو يُردْهُ فبالحرمينِ أو أقصى الثُّغورِ

ولما طلب الأمين الملهين، وأخذ الوحوش والسباع والطير، وعمل مجالس لمتنزهاته ولهوه، مدحه أبو نواس بقوله[2]:

سخّرَ اللّهُ للأمينِ مطايا لمْ تُسخّرْ لصاحبِ المِحرابِ

ومدح علي بن الجهم الواثق بعد أن ولي الخلافه بقوله[3]:

قدْ فاز ذو الدّنيا وذو الدّينِ بدولةِ الواثقِ هارونِ

ومدح مروان بن أبي الجنوب المتوكل مؤكدا حق العباسيين في الحكم، واردّاً على العلويين ما يزعمونه من وراثة الخلافة، قال[4]:

مُلكُ الخليفةِ جعفرٍ للدّينِ والدُّنيا سلامه

وبقوله[5]:

كانتْ خلافةُ جعفرٍ كنبوةٍ جاءتْ بلا طلبٍ ولا بتنحّلِ

وقال الوليد بن عبيد الله البحتري في خلع المستعين ومدح المعتز[6]:

فأقسمت بالوادي الحرامِ وما حوْت أباطِحهُ منْ محرمٍ وأخاشبهْ

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص321، سنة 190هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص509، سنة 198هـ، والديوان، ص414.
(3) المصدر نفسه، ج9، ص152، سنة 232هـ، والديوان، ص188.
(4) المصدر نفسه، ج9، ص231ـ سنة 247هـ.
(5) المصدر نفسه، ج9، ص232، سنة 247هـ.
(6) المصدر نفسه، ج9، ص353، سنة 252هـ، والديوان، ج1، ص213-218.

ولقد قيلت أشعار كثيرة في مدح الموفق وقتل صاحب الزنج، فممّا قيل في ذلك، قول يحيى بن محمد الأسلميّ[1]:

أقــولُ وقــدْ جــاء البشــيرُ بوقعــةٍ أعــزّتْ مــن الإسـلامِ مـا كـانَ واهيـا

وقد استشهد المسعودي في مجال المدح بشعر كثير ولعدد كبير من الشعراء، فقد استشهد بشعر أبي نخيلة في مدح الأمويين، قال[2]:

أمسـلمُ، إنّـي يـا ابـنَ كـلِّ خليقـةٍ ويا فارسَ الهيجا ويا جبلَ الأرضِ

ومدح بعض الشعراء موسى الهادي بقوله[3]:

لمّــا أتــت خيــرَ بنــي هاشــمٍ خلافــــــةُ اللهِ بجرجــــــانِ

ومدح أحدهم الأمين والمأمون بقوله[4]:

أرى قمـري مجـدٍ وفرعـي خلافـةٍ يزينهمــا عُــرْفٌ كــريمُ ومحتــدُ

ومدح العتابيّ الرشيد بقوله[5]:

إمــامٌ لــهُ كــفٌّ يضــمُّ بنانهــا عصا الدّينِ ممنوعٌ منَ البِرّ عُودها

وفي مدح الرشيد قال أحدهم[6]:

يــا أمــينَ اللّــهِ، إنّــي قائــلٌ قــولَ ذي لُــبٍّ وصــدقٍ وحســبْ
لكــمُ الفضــلُ علينــا، ولنــا بكــمُ الفضــلُ علــى كــلِّ العــربْ

(1) تاريخ الطبري، ج9، ص663-664، سنة 270هـ.
(2) مروج الذهب، ج3، ص278.
(3) المصدر نفسه، ج3، ص334.
(4) المصدر نفسه، ج3، ص361.
(5) المصدر نفسه، ج3، ص365.
(6) المصدر نفسه، ج3، ص361.

وفي مدح محمد الأمين، قال أبو الغول[1]:

ملــكٌ أبــوه، وأمّــهُ مــنْ نبعــةٍ منهــا ســراجُ الأمّــةِ الوهّــاجُ

وفي مدح المأمون قالت زبيدة[2]:

لخيــرِ إمــامٍ قــام مــن خيــرِ عنصــرٍ وأفضــلِ راقٍ فــوقَ أعــوادِ منبــرِ

ومدح إبراهيم بن المهدي المعتصم بقوله[3]:

يــــا أمــــينَ اللهِ، إنّ الحمــــد للّــــهِ كثيــــرا

وبقوله:

يــا غــارة اللّهِ قــدْ عاينــت فــانتهكي هتــك النّســاءِ ومــا مــنهنّ يرتكــبُ

وعندما بايع المتوكل لبنيه الثلاثة، قال ابن المدبر[4]:

يــا بيعــة مثــل بيعــة الشّــجرة فيهــا لكــلِّ الخلائــقِ الخيــره

وفي ذلك يقول علي بن الجهم[5]:

قــل للخليفــةِ جعفــرٍ: يــا ذا النّــدى وابــن الخلائِــف والائمــةِ والهــدى

وفي مدح المتوكل قال البحتريّ[6]:

عــــنْ أيّ ثغْــــرٍ تبتســــمْ وبــــأيّ طــــرْفٍ تحــــتكم؟

وفي مدح أبناء المتوكل الثلاثة، قال مروان بن أبي الجنوب[7]:

ثلاثــة أمــلاكٍ، فأمّــا محمــد فنور هدى يهدي بهِ اللّه منْ يهدي

---

(1) مروج الذهب، ج3، ص374.
(2) المصدر نفسه، ج3، ص424.
(3) المصدر نفسه، ج4، ص58.
(4) المصدر نفسه، ج4، ص87.
(5) المصدر نفسه، ج4، ص87.
(6) المصدر نفسه، ج4، ص91.
(7) المصدر نفسه، ج4، ص136.

وقال[1]:

يـا عاشـرَ الخلفـاءِ دمـتَ ممتّعـًا بالملـكِ تعقـدُ بعـدهم للعاشـرِ

وقال السُّلميّ في ذلك[2]:

لقـدْ شـد ركـنُ الـدّينِ بالبيعـةِ الرّضـا وطـائرُ سـعْدٍ جعفـر بـن محمـدِ

وقال إدريس بن أبي حفصة في ذلك أيضا[3]:

إنّ الخلافـةَ مـا لهـا عـنْ جعفـرٍ نـورِ الهُـدى وبنيـه مـنْ تحويـلِ

ومدح بعضهم المنتصر بقوله[4]:

هـــذا الإمـــامُ المنتصـــرْ والملـــكُ الحـــادي عشـــرْ

وعندما أراد المستعين أن يعقد البيعة لابنه العباس، قال علي البصير[5]:

بـكَ اللّـه حـاط الـدّينَ وانتـاش أهلـه من الموقف الدّحض الذي مثله يـردى

وفي مدح المعتز قال البحتري أو غيره[6]:

للّـــه درُّ عصـــابة تركيـــةٍ ردّوا نوائـــب دهـــرهم بالسّـــيفِ

وقال أبو علي البصير في ذلك[7]:

آب أمْـرُ الإسـلامِ خيـرَ مآبـه وغـدا الملـكُ ثابتـًا في نصـابهْ

وقال ابن الرومي في مدح المعتضد[8]:

(1) مروج الذهب، ج4، ص136.
(2) المصدر نفسه، ج4، ص136.
(3) المصدر نفسه، ج4، ص136.
(4) المصدر نفسه، ج4، ص137.
(5) المصدر نفسه، ج4، ص154.
(6) المصدر نفسه، ج4، ص169.
(7) المصدر نفسه، ج4، ص169.
(8) المصدر نفسه، ج4، ص271.

يـا سـيّد العـربِ الـذي زفّـتْ لـه بـاليمنِ والبركـاتِ سـيدةُ العجـمْ

وفي مجال مدح الولاة والقادة استشهد الطبري بشعر كثير ولعدد كبير من الشعراء، ومن هؤلاء بشار بن برد في مدح لعمر بن العلاء عندما وجهه المنصور للحرب، قال[1]:

فقـــلْ للخليفـــةِ إنْ جئتـــهُ نصـــيحًا ولا خيـــرَ في المـــتّهمْ

وعندما بعث معن بن زائدة مجّاعة ومعه الرّجال إلى المنصور، ليعفو عنه، ورجع مجّاعة بالعفو، خلع عليهم معن، فقال في ذلك مجّاعة[2]:

آليـت في مجلـسٍ مـن وائـلٍ قسـمًا ألاّ أبيعـكَ يـا معـن بِأطمـاعِ

وعندما ظهر يحيى بن عبد الله بن حسن بالدّيلم، ندب الرشيد إليه الفضل بن يحيى، وردّ يحيى صلحا، ففي ذلك قال مروان بن أبي حفصة يمدحه[3]:

ظفـرتَ فـلا شـلّت يـدٌ برمكيّـةٌ رتقـتَ بهـا الفتـق الـذي بـين هاشـمِ

وعندما هاجت الفتنة بالشام ندب لها الرشيد موسى بن يحيى بن خالد، فأقام بها حتى أصلح أهلها، وفي ذلك يقول الخريمي[4]:

مـــنْ مبلـــغٌ يحيـــى ودون لقائـــهِ زأراتُ كـــلِّ خنـــابسٍ همهـــامِ

وعندما اتخذ الفضل بن يحيى في خراسان جندا سمّاهم العباسية، وقدم بغداد بقسم منهم وسمّاهم الكرنبية قال مروان بن أبي حفصة[5]:

مـا الفضـلُ إلا شـهابٌ لا أقـولُ لـهُ عنـدَ الحـروبِ إذا مـا تأفُـلُ الشّـهبُ

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص510، سنة 141هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص66، سنة 158هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص243، سنة 176هـ. شعر مروان، ص103.
(4) المصدر نفسه، ج8، ص251، سنة 176هـ.
(5) المصدر نفسه، ج8، ص257، سنة 178هـ، وشعر مروان، ص18.

وعندما هاجت العصبية بالشام مرة أخرى عقد الرشيد لجعفر بن يحيى على الشام، فأصلح بينهم وقتل زواقيلهم، وفي ذلك يقول منصور النّمري[1]:

لقد أوقدت بالشام نيرانُ فتنةٍ فهذا أوانُ الشأمِ تخمدُ نارها

وقال بعض الشعراء في مدح طاهر بن الحسين بعد ترك الدعاء للمأمون[2]:

رمى أهل العراقِ ومنْ عليها إمامُ العدلِ والملكُ الرّشيدُ

ومدح أبو الأسد الشيباني أحمد بن مزيد قائد جيوش الأمين بقوله[3]:

دعاه أميرُ المؤمنين إلى التي يقصّرُ عنها ظلّ كلِّ عميدِ

وعندما توسط الفضل بن الربيع لأبي نواس وأخرجه من السجن، قال أبو نواس في مدحه[4]:

أهلي أتيتكم من القبرِ والنّاسُ محتبسون للحشرِ

وعندما افتتح عبد الله بن خرداذبة جبال طبرستان، قال سلّام الخاسر في مدحه[5]:

إنّا لنأملُ فتح الرّومِ والصينِ بمن أدالَ لنا منْ ملكِ شروينِ

وبعد انتصار الإفشين على بابك الخرّميّ مدحه أبو تمام بقوله[6]:

بذّ الجلادُ البذّ فهو دفينُ ما إنْ بهِ إلا الوحوشَ قطينُ

وفي مدح الولاة والقادة استشهد المسعودي بشعر كثير ولعدد من الشعراء، فمن ذلك قول مروان بن أبي حفصة في مدح معن بن زائدة[7]:

---

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص262، سنة 180هـ، وشعر منصور النمري، ص92-95.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص387، سنة 194هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص423، سنة 196هـ.
(4) المصدر نفسه، ج8، ص524، سنة 198هـ.
(5) المصدر نفسه، ج8، ص556، سنة 201هـ.
(6) المصدر نفسه، ج9، ص55، سنة 223هـ، والديوان، ج3، ص316.
(7) مروج الذهب، ج3، ص299، شعر مروان، ص106.

معـنُ بـن زائـدة الـذي زيـدت بـهِ شـرفًا علـى شـرفٍ بنـو شـيبانِ

ومدحه بقوله[1]:

مـا زلـتُ يـومَ الهاشـمية معلنـًا بالسـيف دونَ خليفـةِ الـرّحمنِ

وبقوله[2]:

جبـلٌ تلـوذُ بـه نـزارٌ كلّهـا صـعبُ الـذّرى متمنـعُ الأركـانِ

ورثى بكار بن رباح المهدي، بقوله[3]:

ألا رحمـةُ الـرّحمنِ في كـلّ سـاعةٍ علـى رمّـةٍ رمّـتْ بمـا سـبذانِ

وفي رثاء هارون الرشيد، قال أبو الشيص[4]:

غربـتْ في الشّـرقِ شـمسٌ فلهـا عينـانِ تـدمعْ

وفي ذلك يقول الحسن بن هانئ[5]:

جـرتْ جـوارٍ بالسّـعدِ والـنّحسِ فـنحنُ في مـأتمٍ وفي عُـرْسِ

وفي رثاء محمد الامين قال الحسين بن الضحاك[6]:

يـا خيـرَ أسـرته وإنْ زعمـوا إنّـي عليـكَ لمثبـتٌ أسـفُ

وفي ذلك يقول علي بن عبيدة الريحاني[7]:

مـا أقـلّ الـدّموعَ للمـأمونِ لسـتُ أرضـى إلا دمـًا مـن جفـوني

(1) تاريخ الطبري، ج3، ص299، شعر مروان، ص106.
(2) المصدر نفسه، ج3ص332.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص171، سنة 169هـ.
(4) المصدر نفسه، ج8، ص364، سنة 193هـ، والديوان، ص84.
(5) المصدر نفسه، ج8، ص364، سنة 193هـ.
(6) المصدر نفسه، ج8، ص501، سنة 198هـ.
(7) المصدر نفسه، ج8، ص655 سنة218هـ.

ورثى محمد بن عبد الملك الزيات المعتصم بقوله[1]:

قـدْ قلـتُ إذ غيّبـوك واصـطفقتْ عليـكَ أيـدٍ بـالتّربِ والطّـينِ

وفي ذلك يقول مروان بن أبي الجنوب[2]:

أبـو إسـحاقَ مـاتَ ضـحىً فمتنـا وأمسـينا بهـارونٍ حيينـا

واستشهد المسعودي في مجال الرّثاء بشعر كثير ولعدد من الشعراء، فمن ذلك قول الشاعر الضرير في رثاء الأمويين[3]:

ليـتَ شـعري أفـاحَ رائحـةُ المِسـ كِ ومـا إنْ إخـالُ بـالخيف إنْسـي

وقوله[4]:

أمسـت نسـاءُ بنـي أميّـةَ مـنهمُ وبنـاتهم بمضـيعةٍ أيتـامُ

وفي رثاء المعتصم استشهد المسعودي بشعر إبراهيم بن المهدي[5]:

وظـلّ لـه سـيفُ النبـيِّ كأنّمـا مدامعـهُ مـنْ شـدّةِ الحـزنِ تـذرفُ

ولما قُتل المتوكل رثته الشعراء، فممّنْ رثاه علي بن الهجم، قال من قصيدة له[6]:

عبيـدُ أميـرِ المـؤمنينَ قتلنـهُ وأعظـمُ آفـاتِ الملـوكِ عبيـدها

وفي ذلك يقول يزيد بن محمد المهلبي من قصيدة طويلة[7]:

جـاءت منيّتـه والعـينُ هاجعـةٌ هـلا أتتـهُ المنايـا والقنـا قصـدُ

(1) تاريخ الطبري، ج9، ص119، سنة 227هـ.
(2) المصدر نفسه، ج9، ص120، سنة 227هـ.
(3) مروج الذهب، ج3، ص295.
(4) المصدر نفسه، ج3، ص295.
(5) المصدر نفسه، ج4، ص89.
(6) المصدر نفسه، ج4، ص124.
(7) المصدر نفسه، ج4، ص124.

وفيه يقول بعض الشعراء[1]:

سـرت لـيلاً منيّتـهُ إليـهِ وقـدْ خلّـى مناعمـهُ ونامـا

وفيه يقول الحسين بن الضحاك الخليع[2]:

إنّ الليـالي لـمْ تحسـن إلـى أحـدٍ إلا أسـاءت إليـهِ بعـدَ إحسـانِ

ومما قيل في رثاء المعتز قول الشاعر[3]:

عـينُ لا تبخلـي بسـفحِ الـدّموعِ واندبي خيـرَ فـاجعٍ مفجـوعِ

وقال الآخر[4]:

أصـبحتْ مقلتـي بـدمع سـفوحا حين قـالوا: أضـحى الإمـامُ ذبيحا

وقال الآخر[5]:

أصـبحتْ مقلتـي تسـحُّ الـدّموعا إذ رأتْ سـيدَ الأنـامِ خليعـا

وفي رثاء آل البيت استشهد البري يشعر كثير لعدد كبير من الشعراء، وممّن رثي من آل البيت إبراهيم بن محمد بن علي الإمام، رثاه إبراهيم بن علي بن سلمة بقوله[6]:

قد كنتُ أحسبني جلداً فضعضعني قبـرٌ بحـرّانَ فيـه عصـمةُ الـدّينِ

ولما خرج محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة، وقتل جماعة من أهل البيت، قالت كلثم بنت وهب[7]:

رحـمَ اللّـه شـبابًا قـاتلوا يـوم الثنيـهْ

(1) مروج الذهب، ج4، ص124.
(2) المصدر نفسه، ج4، ص124.
(3) المصدر نفسه، ج4، ص179.
(4) المصدر نفسه، ج4، ص179.
(5) المصدر نفسه، ج4، ص179.
(6) تاريخ الطبري، ج7، ص437، سنة 132هـ.
(7) المصدر نفسه، ج7، ص559-560، سنة 145هـ.

وفي رثاء محمد بن عبد الله بن حسن الملقب (بالنّفس الزّكية) قال عبد الله بن مصعب بن ثابت[1]:

تبكـي مـد لـه أن تقـنص حـبلهمْ عيسـى وأقصـد صـائبا عثمانـا

ورثاه بقوله[2]:

يـا صـاحبيّ دعـا الملامـة واعلمـا أنْ لسـتُ في هـذا بـألومَ منكمـا

وفي رثائه أيضا يقول عثمان بن سعيد الطائي[3]:

هـم قتلـوه حـينَ تـمّ تمامـهُ وصـار معـزّاً بالنـدى والتمجـدِ

وفي مقتل الحسين بن علي يقول الخريميُّ[4]:

ألا فاتـل اللّـه الألـى كفـروا بـهِ وفـازوا بـرأسِ الهرثـيِّ حسـينِ

واستشهد المسعودي في رثاء آل البيت بشعر عدد من الشعراء، فمن ذلك قول إبراهيم بن عبد الله أوغيره في رثاء محمد الملقب بالنّفس الزكيّة[5]:

أبـا المنـازلِ يـا خيـرَ الفـوارسِ مـنْ يفجـعْ بمثلـكَ في الـدّنيا فقـدْ فجعـا

ورثاه دعبل الخزاعي بقصيدة رائعة، قال[6]:

مـدارسُ آيـاتٍ خلـتْ مـنْ تـلاوةٍ ومنـزلُ وحـيٍ مقفـرِ العرصـاتِ

وقد رثى أبو الحسين يحيى بن عمر بأشعار كثيرة، ومن ذلك قول أحمد بن طاهر الشاعر[7]:

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص601-602، سنة 145هـ.
(2) المصدر نفسه، ج7، ص602-603، سنة 145هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص431، سنة 196هـ.
(4) المصدر نفسه، ج8، ص431، سنة 196هـ.
(5) مروج الذهب، ج3، ص307.
(6) المصدر نفسه، ج3، ص308، والديوان، ص124 وما بعدها.
(7) المصدر نفسه، ج4، ص148.

سـلامٌ علـى الإسـلام فهـو مـودّعُ إذا مـا مضـى آلُ النبـيّ فودّعـوا

وبقول الشاعر[1]:

بَكَـتْ الخَيْـلُ شَـجْوَهَا بَعْـدَ يَحْيَـى وَبَكَـاهُ المُهَنَّـدُ المَصْـقُولُ

ورثاه أبو جعفر العلوي الحمّاني الشاعر بقوله[2]:

يـا بقايـا السّـلفِ الصّـالحِ والتّجـرِ الـرّبيحِ

وبقوله[3]:

تضـوّع مسكًا جانـبُ القبرِ إذ ثوى ومـا كـان لـولا شـلوهُ يتضّـوعُ

وبقوله[4]:

إنّـي لقـوميَ مـن أحسـاب قـومكم بمسجدِ الخيفِ في بحبوحةِ الخيفِ

ورثى الحسين بن علي بن طاهر، محمد بن عبد الله بن طاهر بقوله[5]:

كسـفَ البـدرُ والأميـرُ جميعـًا فـانجلى البـدرُ والأميـرُ غميـدُ

وفي رثاء الأصحاب والإخوة استشهد الطبري بشعر كثير لعدد من الشعراء، ومن ذلك، ما قاله في رثاءقتلى قديد[6]:

يـا لهـفَ نفسـي ولهفـي غيـر كاذبـةٍ علـى فـوارسِ بالبطحـاءِ أنجـادِ

وفي رثاء خالد بن سلمة المخزومي قال أبو السّنديّ[7]:

ألا إنّ عينـًا لـم تجُـدْ يـومَ واسـطٍ عليـك بجـاري دمعهـا لجمـودُ

---

(1) مروج الذهب، ج4، ص149.
(2) المصدر نفسه، ج4، ص149.
(3) المصدر نفسه، ج4، ص149.
(4) المصدر نفسه، ج4، ص149.
(5) المصدر نفسه، ج4، ص172.
(6) تاريخ الطبري، ج7، ص394، سنة 130هـ.
(7) المصدر نفسه، ج7، ص456، سنة 132هـ.

وفي مقتل الوليد بن طريف رثته الفارعة أخته بقولها[1]:

أيـا شـجرَ الخـابورِ مالـك مورقـا كأنّكَ لـم تجـزع علـى ابـنِ طريـفِ

وقـال رجـل مـن الأبنـاء يرثـي عبـد الـرحمن الأبنـاوي بعـدما قتلـه طـاهر بـن الحسـين وجيشه[2]:

ألا إنّمـا تبكـي العيـونُ لفـارسٍ نفـى العـار عنـهُ بالمناصـلِ والقنـا

وفي رثاء محمد ين يزيد، قال بعض الشعراء[3]:

مـن ذاق طعـم الرّقـادِ مـن فـرحٍ فـإنني قـدْ أضّـر بـي سـهري

وفي ذلك يقول بعض المهالبة[4]:

فما لمتُ نفسي غيرَ أنّي لـم أَطـق حراكـًا وإني كنـتُ بالضّـربِ مثخنا

ولم أجد في تاريخ المسعودي شعرا في هذا المجال.

وفي مجال الهجاء تميز الطبري في الاستشهاد بشعر كثير ولعدد كبير من الشعراء، فمن هجاء الخلفاء والأمراء والوزراء، قول رجل من ولد سعيد بن العاص يعير مروان آخر خلفاء بني أمية بالهروب، بقوله[5]:

لـجّ الفِـرارُ بمـروانٍ فقلـتُ لـهُ عـادَ الظّلـومُ ظليمـًا همُّـهُ الهـربُ

وعندما ظهر إبراهيم بن عبد الله في البصرة، قال أبو جعفر المنصور[6]:

أبلـغ بنـي هاشـمٍ عنّـي مغلغلـةً فاسـتيقظوا إنّ هـذا فعـلُ نُـوّامِ

وعندما خلع المهدي عيسى بن موسى من ولاية العهد، قال الشاعر[7]:

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص261، سنة 179هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص417، سنة 195هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص434، سنة 196هـ.
(4) المصدر نفسه، ج8، ص434، سنة 196هـ.
(5) المصدر نفسه، ج7، ص434، سنة 132هـ.
(6) المصدر نفسه، ج7، ص640، سنة 145هـ.
(7) المصدر نفسه، ج8، ص128، سنة 160هـ.

كــرهَ المــوتَ أبــو موســى وقــدْ كــان في المــوتِ نجــاءٌ وكــرمْ

وعندما استفحل أمر يعقوب بن داؤد في خلافة المهدي، قال بشار بن برد[1]:

بنــي أميــة هبّــوا طــال نــومكمُ إنّ الخليفــة يعقــوب بــن داؤدِ

وهجا بشار بن برد صالح بن داؤد بن طهمان، وهو أخ ليعقوب بن داؤد، حين ولي البصرة، فقال[2]:

هــم حملــوا فــوقَ المنــابرِ صــالحًا اخــاكَ فضــجّت مــنْ أخيــكَ المنــابرُ

وبعد أن هجا بشار بن برد يعقوب بن داؤد، قال يعقوب بن داؤد لأمير المؤمنين: إنّ هذا الأعمى المشرك قد هجاك يا أمير المؤمنين، قال: وما قال؟ فأبى عليه، ولما ألحّ المهدي عليه، أنشده شعر بشار الذي يقول فيه[3]:

خليفــــةٌ يــــزني بعمّاتــــهِ يلعــــبُ بــــالبوقِ والصــــولجانِ

وبعد مقتل الأمين، قال الشاعر في هجائه[4]:

لِــم نبكيــك لمــاذا؟ للطّــرب! يــا أبــا موســى وتــرويج اللّعــبْ

وهجا دعبل الخزاعي المأمون بقوله[5]:

ويســومني المــأمونُ خطّــةَ عــارفٍ أو مــا رأى بــالأمسِ رأس محمــدِ

وهجا دعبل أيضا إبراهيم بن المهدي بقوله[6]:

إنْ كــان إبــراهيم مضــطلعًا بهــا فلتصــلحنْ مــنْ بعــدهِ لمخــارقِ

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص156، سنة 166هـ، والديوان ج3، ص91، وج4، ص45.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص181، سنة 169هـ، والديوان ج4، ص66.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص181، سنة 169هـ، والديوان ج4، ص207.
(4) المصدر نفسه ج8، ص500، سنة 198هـ.
(5) المصدر نفسه، ج8، ص660، سنة 218هـ، والديوان، ص79.
(6) المصدر نفسه، ج8، ص661، سنة 218هـ، والديوان، ص244-245.

واستشهد الطبري في هجاء الولاة والقادة والقضاة بشعر كثير ولعدد كبير من الشعراء، فمن ذلك هجاء بعض الشعراء لعبد الواحد بن سليمان والي مكة والمدينة[1]:

زارَ الحجيج عصابةٌ قدْ خالفوا ... دينَ الإلهِ ففرّ عبد الواحدِ

ولمّا ولي بشر بن الوليد الكندي القضاء قال أحدهم[2]:

يا أيها الملكُ الموحّدُ ربّهُ ... قاضيك بشرُ بنُ الوليدِ حمارُ

وقال علي بن الجهم لنجاح بن سلمة يحرّضه على عمر بن فرج عندما غضب عليه المتوكل[3]:

أبلغ نجاحًا فتى الكتّاب مالكةً ... تمضي بها الرِّيح إصداراً وإيراداً

ثم هجاه بقوله[4]:

جمعت أمرينِ ضاعَ الحزمُ بينهما ... تيهَ الملوكِ وأفعالَ المماليكِ

وعندما ولّى ابن أكثم قضاء الشرقية حيان بن بشر، وولى سوار بن عبد الله العنبري قضاء الجانب الغربي، وكلاهما أعور، قال الجمّاز[5]:

رأيتُ من الكبائرِ قاضيينِ ... هما أحدوثةٌ في الخافقينِ

ولمّا عين المنتصر أبا عمرة أحمد بن سعيد المظالم هجاه أحد الشعراء بقوله[6]:

يا ضيعة الإسلامِ لمّا ولي ... مظالمَ النّاسِ أبو عمرة

ولما صيّر سعيد بن حميد رئيسا لديوان الرسائل قال الحمدوني في هجائه[7]:

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص375-376، سنة 129هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص597، سنة 208هـ.
(3) المصدر نفسه، ج9، ص161، سنة 233هـ، والديوان، ص124.
(4) المصدر نفسه، ج9، ص161-162، سنة 233، والديوان، ص161.
(5) المصدر نفسه، ج9، ص189، سنة 237هـ.
(6) المصدر نفسه، ج9، ص239، سنة 247هـ.
(7) المصدر نفسه، ج9، ص264، سنة 249هـ.

لـــبس السّســـفَ ســـعيدٌ بعـــدما عـــاشَ ذا طمـــرينِ لا نوبـــة لـــه

وهجا السلولي صالح بن وصيف بعد أن قتله موسى الهادي[1]:

ونلت وتركَ منْ فرعونَ حين طغى وجئت إذ جئتَ يا موسى على قدرِ

وفي هجاء المدن والأماكن، قال الشاعر عندما خرج الرشيد إلى باقردى وبازبدى[2]:

بقـردى وبازبـدى مصـيفٌ ومربـعٌ وعـذبٌ يحـاكي السلسـبيلَ بـرودُ

وبغـدادُ، مـا بغـدادُ، أمّـا ترابهـا فخـرءٌ، وأمّـا حرّهـا فشـديدُ

وفي هجاء دمشق تغنى علّويه[3]:

الحـين سـاق إلـى دمشـقَ ومـا كانـتْ دمشـقُ لأهلهـا بلـدا

وقد استشهد المسعودي في مجال الهجاء بعدد قليل من النصوص الشعرية، فمن ذلك ما كان من هجاء إبراهيم بن المهدي للمأمون[4]:

إذا الشّـيعيُّ حمحـمْ في مقـالٍ فسّـركَ أن يبـوح بـذاتِ نفسـهْ

فصـلِّ علـى النبـيِّ وصـاحبيهِ وزيريـه وجاريـه برمسـهْ

وكان المأمون ميّالا للشيعة.

وهذا الشعر كان من إبراهيم بن المهدي ردّاً على شعر قاله المأمون في هجاء إبراهيم بن المهدي والشعر هو[5]:

إذا المرجـيّ سـرّك أن تـراهُ يمـوتُ لحينـهِ مـن قبـلِ موتـهْ

فجـدّدَ عنـده ذكـرى علـيٍّ وصـلِّ علـى النبـي وآلِ بيتـهْ

(1) تاريخ الطبري، ج9، ص455، سنة 256هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص239، سنة 174هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص666، سنة 218هـ.
(4) مروج الذهب، ج4، ص5.
(5) المصدر نفسه، ج4، ص5.

وفي هجاء المستعين وضعف الخلافة، قال أحد الشعراء[1]:

خليفـــــــــةٌ في قفـــــــــصٍ بـــــين وصـــــيفٍ وبُغـــــا
يقـــــولُ مـــــا قـــــالا لـــــهُ كمـــــا يقـــــولُ الببّغـــــا

وفي هجاء بابك الخرّمي قال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي[2]:

ولقـد شـفى الأحشـاء مـنْ برحائهـا إذ صـــار بابـــك جـــارَ مزيّـــارِ

وفي مجال الوصف تميز الطبري في الاستشهاد بعدة نصوص شعرية لشعراء لم يذكر أسماءهم، وكان أبو جعفر يتمثل بهذه الأشعار واصفا نفسه، ومن هذه الأشعار قول الشاعر[3]:

وخطّـةٍ ذلّ نجعـلُ المـوتَ دونهـا نقـولُ لهـا للمـوتِ أهـلاً ومرحبـا

وهذا رد على شعر محمد بن عبد الله بن حسن الذي يقول فيه واصفا نفسه[4]:

شـــرّدهُ الخـــوفُ فـــأزرى بـــهِ كـــذاك مـــنْ يكـــرهُ حـــرّ الجـــلادْ

واستشهد بقول الشاعر[5]:

ونصـــبتُ نفســـي للرّمـــاحِ دريّـــةً إنّ الـــرئيسَ لمثـــلِ ذاكَ فعـــولُ

وبقول الشاعر[6]:

تبيتُ من البلوى على حدِّ مرهفٍ مـراراً ويكفـي الله مـا أنـت خـائفُ

وبقول الشاعر[7]:

وربَّ أمـــورٍ لا تضـــيركَ ضـــيرةً وللقلـــبِ مـــن مخشـــاتهنَّ وجيـــبُ

(1) مروج الذهب، ج4، ص145.
(2) المصدر نفسه، ج4، ص61.
(3) تاريخ الطبري، ج7، ص556، سنة 145هـ.
(4) المصدر نفسه، ج7، ص556، سنة 145هـ.
(5) المصدر نفسه، ج7، ص556، سنة 145هـ.
(6) المصدر نفسه، ج7، ص556، سنة 145هـ.
(7) المصدر نفسه، ج7، ص594، سنة 145هـ.

واستشهد الطبري في وصف الحصان بقول الشاعر[1]:

لا تســـــقهِ حـــــزراً ولا حليبـــــا إن لـــم تجـــده ســـابحًا يعبوبـــا

ذا ميعـــــةٍ يلـــــتهمُ الجبوبـــــا كالـــذئب يتلـــو طمعـــًا قريبـــا

واستشهد الطبري في وصف القلانس بقول أبي دلامة[2]:

وكنّـــا نرجـــي مـــن إمـــامٍ زيـــادةً فـزادَ الإمـامُ المصـطفى في القلانـسِ

تراهـــا علـــى هـــامِ الرّجـــالِ كأنّهـــا دنـــانُ يهـــودٍ جللـــتْ بـــالبرانسِ

واستشهد الطبري في وصف الخمر بقول عمرو الوراق العتري[3]:

خـــــذها فللخمـــــرةِ أســـــماءُ لهـــــــا دواءٌ ولهـــــــا داءُ

واستشهد الطبري في وصف العسليّات بقول علي بن الجهم[4]:

العســـــليات التـــــي فرّقـــــتْ بـــــينَ ذوي الرّشـــــدة والغـــــيّ

أما المسعودي فإنّه استشهد بعدة نصوص في وصف الأدب والسيف والحمام والغلمان ومجلس الخمر.

ففي وصف الأدب استشهد بشعر ابن الرومي[5]:

وســـــئمتُ كـــــلّ مـــــآربي فكـــــأنّ أطيبهـــــا غثيـــــثُ

إلا الحـــــــديثَ فإنـــــــه مثـــــل اســـــمه أبـــــدا حـــــديثُ

وبشعر إبراهيم بن العباس[6]:

إنّ الزمـــان ومـــا تـــرين بمقـــرفي صـرف الغوايـة فانصـرفتُ كريمـًا

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص594، سنة 145هـ.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص43، سنة 153هـ، والديوان، ص60.

(3)المصدر نفسه، ج8، ص475، سنة 198هـ.

(4) المصدر نفسه، ج9، ص175، سنة 235هـ، والديوان، ص182.

(5) مروج الذهب، ج3، ص283.

(6) المصدر نفسه، ج3، ص283. والديوان، ص176، 177.

وضــجرت إلا مــن لقــاء محــدث حســن الحــديث يزيــدني تعليمــا

وفي وصف مجلس الخمر استشهد المسعودي بشعر أحدهم[1]:

بــين أقــاحهم حــديثٌ قصــيرٌ هــو ســحرٌ، ومــا عــداهُ كــلامُ

وكــأنّ الســقاة بــين النّــدامى ألفــاتٌ بــين السّــطورِقيامُ

وفي وصف السيف استشهد بشعر ابن يامين البصري[2]:

حــاز صمصــامة الزبيــدي عمــروٍ مــن جميــعِ الأنــامِ موســى الأمــينُ

وفي وصف الحمام استشهد بقول الشاعر[3]:

هتفــــــــت هاتفــــــــةُ آ ذنهــــــا إلــــــفٌ ببــــــينِ

وفي وصف الغلمان استشهد بشعر الحسين بن الضحاك الخليع[4]:

وكالــدرّةِ البيضــاء حيّــا بعنبــرِ مــن الــوردِ يسعى في قراطقَ كــالوردِ

(1) مروج الذهب، ج3، ص284.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص345.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص359.

(4) المصدر نفسه، ج4، ص123.

5. شخصية كل مؤرخ وأثرها على اختياره للشعر

إنّ الفترة التي عاش فيها المؤرخون الثلاثة هي من أعظم الفترات ثراءً بالعلم والعلماء، فقد عاش الطبري من سنة 224هـ إلى سنة 310هـ. وعاش المسعودي إلى سنة 346هـ، أما الكندي فعاش في سنة 283 إلى 355هـ. وهي فترة نضوج للعلوم الدينية واللغوية والفلسفة والمذاهب الكلامية. وقد كان العراق في القرن الثالث أبرز مراكز الثقافة في العالم الإسلامي وأوسعها علما، وأكثرها علماء، لأنّه مقر الخلافة العباسية، ومهوى العلماء والأدباء، ومجمع ثقافات شتى ومذاهب وآراء. وسرعان ما صارت مصر مركزاً للعلم والثقافة، وكان جامع الفسطاط مجتمع المدرسين والطلاب، وملتقى الفقهاء والعلماء والأدباء، وقد ساهمت مصر بجهد حميد في الدراسات اللغوية والنحوية في تلك الحقبة، ومن أشهر علماء مصر الكندي، وهو محمد بن يوسف، كان من أعلم الناس بتاريخ مصر وأهلها وثغورها وأعمالها، أصله من كندة، لكنه نشأ بمصر ومات بها. ومن مؤلفاته ولاة مصر. وكان من جملة أهل العلم والحديث والنسب، عالما بكتب الحديث، صحيح الكتابة، نسّابة، عالما بعلوم العرب.

أما المسعودي فعداده في البغداديين، وأقام بمصر مدة، وكان أخباريا علّامة صاحب غرائب وملح ونوادر. وكان رحّالة، لم يفتر في أثناء أسفاره عن الاستقصاء والبحث واكتساب العلوم على اختلاف مواضيعها، فجمع من الحقائق التاريخية والجغرافية ما لم يسبقه إليه أحد. وكان مغرما بحب آل البيت ميالا لهم.

وكان الطبري العالم الجليل قد جال في نواحي كل فن، وضرب منها جميعها بسهم، بعد أن رحل في طلبه إلى كثير من الأمصار والبلدان، وكان قارئا محدثا، فقيها، نحويا، حاسبا، عالما بالعبادات، جامعا للعلوم. وطارت شهرته في علوم التفسير، والقراءات، والحديث،

والفقه والتاريخ، وعلوم اللغة؛ فقد كان عالما باللغة وبالعروض وبالشعر وغير ذلك. فكانت ثقافة الطبري تتميز بالموسوعية والشمولية.

والإنسان ابن بيئته سواء أكانت ثقافية أم اجتماعية، كما يتأثر بالحياة السياسية وظروف الدولة التي يعيش في كنفها، وينعكس كل ذلك على نتاج فكره وعلمه وأدبه.

وإذا ما بدأنا بالكندي لنرى أثر شخصيته على اختياره للشعر فنجد أنه قد خصص كتابه لتاريخ ولاة مصر من زمن عمر بن الخطاب لغاية سنة 355هـ، فقد حدد المؤرخ نفسه بالكتابة عن هذا الموضوع، وذلك أن تحديد المؤرخ للموضوع يحدد نوعية الشعر الذي سيضعه في تاريخه، فهو يستشهد بالشعر الذي قيل في الولاة، ولا يستشهد بشعر يخرج عن الأحداث التي تخصهم.

والكندي مؤرخ اقليمي أرّخ لإقليم مصر- فهو جزء صغير من تاريخ الطبري وتاريخ المسعودي، وقد قصر الكتاب «ولاة مصر» على موضوعه الخاص قصرا فيه عناية. والنتيجة سجلٌ للتاريخ المصري، يلقى الضوء فيه على الحروب، والثورات التي كانت تحدث للوالي، وما أشبه ذلك.

مستشهداً على كل حدث من هذه الأحداث بالشعر الذي قيل فيه. وتعود قيمة الكتاب إلى أنّه المرجع الوحيد الذي ينير لنا السبيل للاطلاع على هذه الحقبة الهامة من تاريخ مصر. وقد واكب الشعر فيه الأحداث التاريخية المختلفة، واستشهد به المؤرخ بشعر لعدد كبير من الشعراء. سواء من أثرت شخصية المؤرخ في تحديد موضوع الكتاب والشعر الذي أورده فيه على نوعية الشعر الذي ضمنه لتاريخه.

وإذا ما عدنا للطبري والمسعودي، فقد حدد الطبري كتابه بعنوان «تاريخ الرّسل والملوك»، فهو يحوي معظم الأحداث السياسة منذ نشأة الخليفة وحتى سنة 310هـ. وسار على نهجه المسعودي في مروج الذهب ومعادن الجوهر، فبدأ تاريخه منذ نشأة الخليفة ولغاية سنة 346هـ.

وإذا ما استعرضنا مواكبة الشعر للأحداث والأغراض الشعرية عند الطبري والمسعودي لنرى أثر شخصية كل منهما على اختياره للشعر. نجد أن الطبري والمسعودي اتفقا في بعض المواطن في الاستشهاد بالشعر. فقد اتفقا في الاستشهاد ببعض النصوص الشعرية على الثورة العباسية، وعلى الصراع بين العباسيين والشيعة، وعلى الصراع بين العباسيين والموالي، وعلى الفتن والثورات، وعلى السياسة، كما اتفقا في الاستشهدا ببعض النصوص الشعرية في مجالات المدح والرثاء، والهجاء، والوصف. وهذا أمر طبيعي فالمؤرخان أرّخا للفترة نفسها، وكتبا عن الأحداث نفسها، فاتفقا في الاستشهاد ببعض النصوص الشعرية للشعراء أنفسهم.

لقد اتفق الطبري والمسعودي في الاستشهاد ببعض النصوص الشعرية في مواكبة الشعر للأحداث الأغراض الشعرية. ولكنهما اختلفا في الاستشهاد بمعظم النصوص الشعرية في مواكبة الشعر للأحداث والأغراض الشعرية، فما أثر شخصية كل منهما على اختياره للشعر؟

لقد اتفق الطبري والمسعودي في الاستشهاد بشعر نصر بن سيار على الثورة العباسية. ولكن المسعودي تميز عن الطبري في الاستنشهاد بنص شعري لنصر بن سيار يحوي صورة شعرية جميلة وهو[1]:

إنّا وما نسكتم من أمرنا كالثّورِ إذ قرِّبَ للناخعِ

فالصورة الفنية الرائعة التي يحويها هذا البيت -وبقية الأبيات- تبين أثر ثقافة المسعودي الأدبية في اختياره للشعر.

وفي الصراع بين العباسيين وبقايا الأمويين استشهد الطبري بشعر سديف وهو من الشعراء الذي أذكوا نار الفتنة بين العباسيين وبقايا الأمويين، وشجعوا العباسيين وحثّوهم

(1) مروج الذهب، ج3، ص258.

على القضاء على بقايا الأمويين. أمّا المسعودي فلم يذكر من شعر إثارة الحميّة شيئا، بل أورد نصين في رثاء الأمويين ولم يحفل بغيرهما.

وفي مجال الصراع بين العباسيين والشيعة استشهد الطبري والمسعودي بشعر كثير- واكب معظم الأحداث- ولعدد كبير من الشعراء، وقد ظهر أثر شخصية كل من المؤرخين على اختياره للشعر في هذا المجال أكثر من غيره.

فلما دخل مروان بن أبي حفصة على المهدي، أنشده طويلة، يؤكد فيها على حق العباسيين في الحكم، فأخذ الطبري منها بيتا واستشهد به على الحادثة والبيت هو[1]:

أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ لبني البناتِ وراثةُ الأعمامِ

وعندما سمع المهدي هذا البيت تحرك من مجلسه وطار فرحا. ويكاد يكون هذا البيت من أشد الأبيات وقعا على الشيعة وأنصارهم، فردّوا على هذه القصيدة بقصيدة على الوزن نفسه والقافية مفسها، ورغم اتهام الطبري بالتشيّع إلاّ أنّه أورد هذا البيت المشهور من قصيدة مروان المشهورة، لتكتمل رواية الخبر ولإثبات صحته.

إلاّ أنّ المسعودي عندما جاء ليستشهد على هذه الحادثة تحيّر، وكأني به ينظر إلى القصيدة كاملة وينظر إلى البيت الذي استشهد به الطبري، فلم يرق له ذلك. وكيف يؤكد أحقيّة العباسيين في الحكم وهو متشيع من محبي آل البيت، وإذا ما استشهد ببيت الطبري فسوف يغضب عليه الشيعة وأنصارهم، ويخالف نفسه، لقد بحث عن بيت آخر من القصيدة نفسها ليستشهد به على هذه الحادثة، والبيت هو[2]:

يا ابن الذي ورث النبي محمداً دون الأقارب من بني الأرحامِ

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص182، سنة 169.

(2) مروج الذهب، ج3، ص332.

ومع أن هذا البيت فيه تأكيد أحقية العباسيين في الحكم إلا أنّه يظل أخف وقعا من البيت الذي استشهد به الطبري، كما أنّه تحصيل حاصل للوضع القائم، فالخليفة عباسي، وهو الذي ورث الحكم والخلافة عن الرسول محمد ﷺ في ذلك الوقت.

لقد تركز استشهاد الطبري بالشعر في مجال الصراع بين العباسيين والشيعة على نقطتين رئيستين هما:

1. الاستشهاد بالشعر على خروج محمد بن عبد الله بن حسن الملقب « بالنفس الزكية» بالمدينة، ومقتله من قِبل أبي جعفر المنصور.
2. الاستشهاد بالشعر على أحقية العباسيين في الخلافة دون العلويين.

أمّا المسعودي فقد جاء استشهاده بالشعر على الصراع بين العباسيين والشيعة أشمل من استشهاد الطبري. فحين ركّز الطبري على رثاء محمد بن عبد الله بن حسن وأحقية العباسيين في الحكم. ذكر المسعودي مقتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن واستشهد على ذلك بقصيدة دعبل الخزاعي الرائعة التي فات على الطبري الاستشهاد بها في هذا المجال، كما ذكر الحسين بن علي صاحب فخٍّ وأورد رثاءً له، كما أنّ المسعودي لم يركز على قصائد الصراع بين العباسيين والعلويين التي تؤكد أحقية العباسيين في الحكم دون العلويين.

إلاّ ما كان من قصيدة مروان بن أبي حفصة سابقة الذكر «يا ابن الذي ورث النبي محمدا»، في حين استشهد الطبري بأربع قصائد تؤكد كلّها أحقيّة العباسيين في الحكم والقصائد هي: «أنّى يكون»، «وسدّتْ بهارون» و«ملكُ الخليفة جعفرٍ» و«غلبت على الخلافة من تمنى». وبناء على ما سبق فإنّ ميول المسعودي الشيعية، أثرت على اختياره للشعر.

ومن أهم الملاحظات على شعر الصراع بين العباسيين والموالي أن الطبري استشهد بعدة نصوص شعرية تصور هذا الصراع، في حين أغفل المسعودي ذكر هذه النصوص أو غيرها. وكأنه لا يريد أن يثبت في تاريخه شعرا يصور الصراعات الطائفية أو العرقية. أو أنّه أورد هذا الشعر في كتبه الأخرى. أو أنّه لم يهتم بهذا الصراع، بل وجه اهتمامه نحو الصراع بين العباسيين والشيعة.

وفي مجال الصراع بين العباسيين والخوارج استشهد الطبري بعدة نصوص شعرية تصور هذا الصراع. ومع أن كتب الأدب والتاريخ لم تذكر من هذا الشعر الشيء الكثير. إلا أنّ المسعودي سار على نهجهم ولم يستشهد على هذا الصراع بشيء من الشعر للأسباب التي أوردتها لعدم استشهاده بشعر على الصراع بين العباسيين والموالي.

وفي مجال الزندقة استشهد المؤرخان بنصوص شعرية تتحدث عن الزندقة والزناديق.

وفي مجال الفتن والثورات نجد أن الشعر قد واكب الأحداث عند الطبري أكثر منه عند المسعودي. وقد استشهد المسعودي ببعض النصوص الشعرية التي لم يستشهد بها الطبري، وكذلك فإنّ الطبري استشهد ببعض النصوص الشعرية التي لم يستشهد بها المسعودي. وقد اشترك الطبري والمسعودي في الاستشهاد ببعض النصوص الشعرية، فالمسعودي تلميذ من تلاميذ الطبري، وتاريخ الطبري من أهم المصادر التي اعتمد عليها المسعودي، فلا غرابة أن ينقل المسعودي عن أساتذة الطبري. واستشهد المسعودي على مقتل بابك الخرمي بشعر مختلف عن الذي استشهد به الطبري، وتميز المسعودي بأنّه استشهد بالشعر الذي تحدث عن غدر المنتصر بأبيه، وهذا حادث جلل وخطب عظيم يجب الاستشهاد بالشعر عليه.

وفي مجال السياسة استشهد الطبري والمسعودي بشعر كثير واكب مختلف الأحداث السياسية، وقد تركزت قصائد الشعراء على الحثّ على عقد البيعة لولاة العهد من عهد

الرشيد حتى عهد المستعين، وقد تميز المسعودي في الاستشهاد بشعر على عقد البيعة لموسى الهادي، وعلى عقد البيعة للعباس بن المستعين. وفي الاستشهاد بالشعر على ضعف الخلافة أيام المستعين، في حين تميز الطبري عن المسعودي في الاستشهاد بالشعر على بيعة الرشيد لأبنائه، كما استشهد الطبري بالشعر على خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، وعلى ارتفاع مكانة يعقوب بن داؤد زمن المهدي.

وفي مجال الصراع بين العباسيين والروم (الحروب الخارجية)، فقد استشهد الطبري بشعر كثير ولعدد كبير من الشعراء، أمّا المسعودي فإنّه أغفل الإستشهاد بهذا الشعر ولم يستشهد عليه إلا بنص واحد، وبذلك تميز الطبري عن المسعودي في الاستشهاد بالشعر على الثورة العباسية، والموالي، والصراع بين العباسيين والخوارج، والفتن والثورات والسياسة، والحروب الخارجية، وتميز المسعودي عن الطبري في الاستشهاد بنص شعري على الثورة العباسية، وفي الصراع بين العباسيين والشيعة. ولم أجد لأحدهما تميزا عن الآخر في مجال الزندقة، حيث استشهدا بعدة نصوص توضح الزندقة والزنادقة).

وفي مجال الأغراض الشعرية اتفق الطبري والمسعودي في الاستشهاد ببعض النصوص الشعرية في مختلف الأغراض الشعرية وعلى الحوادث نفسها.

أما نقاط الاختلاف والتمايز بين المؤرخين فهي كبيرة جدا، فقد تميز الطبري عن المسعودي في الاستشهاد بشعر كثير في مدح الخلفاء والوزراء والقادة، وفي رثاء الخلفاء والوزراء والقادة والإخوة والأماكن، إلا أن المسعودي تميز عن الطبري في الاستشهاد بالشعر في رثاء آل البيت، أما في مجال الوصف فقد اتفقا في الاستشهاد بعدد من النصوص الشعرية، واختلفا في الاستشهاد بغيرها في وصف بغداد وما حل بها من دمار وخراب أثناء الحرب التي دارت بين الأمين والمأمون. إلا أن ثقافة المسعودي الأدبية أثرت عليه كثيرا في

هذا المجال، وخرج عن الموضوع، فأورد أوصافا للأدب والخمر، والسيف والحمام والغلمان وغير ذلك.

ومن الملاحظ على منهج المسعودي والطبري في الوصف، أنّ ثقافة المسعودي الأدبية قد أثرت عليه كثيرا، فأورد أوصافا لما ذكرت وغير ما ذكرت، وبذلك تميز عن الطبري في هذا المجال الذي ابتعد فيه عن النواحي السياسية واقترب من النواحي الأدبية والاجتماعية، وقد ركز المسعودي على النواحي الأدبية أكثر من الطبري فذكر عددا كبيرا من المؤلفين وكتبهم، وأعطى نبذة عنها. وقد أورد المسعودي مواقف أدبية ومناظرات شعريةدون ربط ذلك بأحداث تاريخية وذلك لأنّه أديب ميّال إلى الأدب. وقد أورد شعرا كثيرا لعدد كبير من الشعراء وكأنّه مولع بالشعر.

فكان يخرج عن الموضوع الذي يتحدث عنه، فأثناء حديثه عن علاقة أبي العتاهية بالمهدي خرج عن الموضوع، وأخذ يتحدث عن أبي العتاهية ومحبوبته عتبة، وأورد عدة صفحات من الشعر الذي قاله أبو العتاهية فيها. أمّا الطبري فإنّه تميز عن المسعودي بالتركيز على النواحي السياسية.

وقد استشهد الطبري والمسعودي بشعر للجن، واستشهد المسعودي بشعر قليل على لسان الحمير، كما أنّ المسعودي ذكر كثيرا من شعر الزهد، واستشهد بكثير من النصوص في مجال الغزل.

ومن أهم الملاحظات على الشعر في تاريخ الطبري وتاريخ المسعودي أن الأبيات التي أوردها المؤرخان هي أجزاء من قصائد اختار المؤرخان منها ما يناسب الغرض أو الحدث وما يراه مناسبا ومتفقا مع ذوقه واختياره.

يتضح مما سبق أنّ استشهاد الطبري بالشعر على الأحداث والأغراض الشعرية جاء شاملا، وبذلك انعكست ثقافة الطبري الشاملة الموسوعية على اختياره للشعر، أمّا

المسعودي فقد كان استشهاده بالشعر على الصراع بين العباسيين والشيعة، وفي رثاء آل البيت، شاملا، وقد أثّرت ميوله الشيعية وحب آل البيت على اختياره للشعر، واهتمامه بالشعر الذي يخصهم. كما أنّ المسعودي أورد كثيرا من المناظرات الأدبية والحكايات والأشعار دون ربط ذلك بالأحداث، وذلك بفضل ثقافته الأدبية.

وبذلك أثرت ثقافة وشخصية كل من المؤرخين الثلاثة على اختياه للشعر.

الفصل الرابع

الدراسة الفنية

١. دراسة في الخيال والصورة

- ما هو الخيال؟

الخيال هو العدسة الذهبية التي من خلالها يرى الشاعر موضوعات ما يلحظه أصيلة في شكلها ولونها[1].

وهو يعني الملكة أو القدرة على تصوير العواطف، وعلى اختراع صور من عناصر كثيرة مختزنة في الذاكرة واللاشعور، تتباعد في أصولها، يغير الشاعر في هيئاتها وأشكالها وألوانها وعناصرها، ويهذبها ليكوّن منها مجموعا فنيا متالفا منسجما في حياة جديدة نابضة. لكن هذه المختزنات تختلف تبعا للبيئة، فصور الشاعر الذي يعيش في الحاضرة. تختلف عن صور الشاعر الذي يعيش في البادية، ولغزارة المعارف وقلتها أثر كبير أيضا على تشكيل الصور والأخيلة، فنراها عند بعضهم جميلة وعند الآخرين ليبست كذلك.

والخيال هو القدرة الكيماوية التي تمزج -معا- العناصر المتباعدة في أصلها والمختلفة كل الاختلاف، كي تصير مجموعا متآلقا منسجما.

وإذا لم يرتبط الخيال بالواقع فهو وهم، فليس الخيال مجرّد تصور أشياء غائبة عن الحس، بل هو حدث معقد ذو عناصر كثيرة، يضيف إليه الشاعر تجاربه الجديدة، بل إنّ الشاعر يستطيع أن يحقق التوازن بين كيفيات متناقضة في ظاهرها.

---

(1) (1، 2) نقلا عن النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ص412-413.

* اعتمدت في تحديد معنى الخيال على المراجع التالية:

أ- النقد الأدبي الحديث، 415041270، لمحمد غنيمي هلال (مطبعة دار نهضة بالفجالة).

ب- أُصول النقد الأدبي، ص210-223، أحمد الشايب (مكتبة النهضة المصرية)، ط 7، 1964م.

ج - في النقد الأدبي، ص167-175 لشوقي ضيف، (دار المعارف).

د - الأصول الفنية للأدب، ص101-102 لعبد الحميد حسن، (مطبعة العلوم بالقاهرة)، ط 2، 1964م.

وليس المقصود بالخيال البعد عن الحقائق والجري وراء المبهمات والمعميات والمُحالات، أو اعتماد الكذب والتزييف، إنّما يقصد به تجسيم الحقائق وتكبيرها بقصد التوضيح والتزيين وإضافة بعض الأصباغ إلى الصورة الأم.

وعلى هذا الأساس فالخيال أساس الصورة الأدبية لأنّه يخفف الاندماج بين الشعور واللاشعور، ويحقق التوافق بين الوحدة والتنوع، وهو الذي يخلق العمل الفني.

- وظيفة الخيال ومصادره وأنواعه

ووظيفة الخيال تنظيمية، فهو الذي يختار الجزئيات وينظمها ويؤلفها ليكوّن منها صورا فنية تفوق الواقع روعة وإبداعا، وإلا فما الفرق بين الشاعر والمصور. ويقدر ما تكون الصور المتخيلة متسقة متآزرة متآلفة يكون الخيال مبدعا. لأنّ وظيفة الخيال -كما سبق وأشرت- تجسيم الصورة وتزينها وإضافة بعض الأصباغ إليها، وإذا لم يحقق الخيال هذه النتائج، فهو الخيال المحدود. فعندما سمعنا مثلا عن غرق السفينة المصرية قرب ميناء سفاجا، قلنا وآسفاه ثم سكتنا، لأنّ تأثرنا لم يكن عميقا لعدم مشاهدتنا هذه النكبة، ونحن بحاجة إلى من يصور لنا الكارثة تصويرا أدبيا مؤثرا حقا، هذه القوة النفسية التي تنهض بذلك تسمى الخيال، وهي عدة الكاتب والشاعر والخطيب والروائي والفني مطلقا كما يقول أحمد الشايب[1].

ومصادر الخيال الأساسية متعددة يستمدها الشعراء ويستوحونها من العقل ومن البيئة ومن الثقافة والمعارف المختلفة والتجارب اليومية والمحسوسات والذكريات وغير ذلك.

والأخيلة أنواع مختلفة، يقسمها كوليردج إلى نوعين: الخيال الأولي والخيال الثانوي. والخيال الأولي هو القوة الحيوية والعامل الأول في كل إدراك إنساني، وهو علمي في

(1) أصول النقد الأدبي، لأحمد الشايب، ص211.

وظيفته، ويقابل ما يدعوه (كانت) الخيال الإنتاجي، فكل إدراك علمي لا بد فيه من هذا النوع من الخيال.

أما الخيال الثانوي فهو صدى للخيال السابق، ويصطحب دائما بالوعي الإرَادي، وهو يتفق مع الخيال الأول في نوع عمله، ولكنه يختلف عنه في درجته وطريقة عمله، لأنه يحلل الأشياء، أو يؤلف بينها، أو يوحدها، أو يتسامى بها، ليخرج من كل ذلك بخلق جديد. ومجاله الفن. وهذا النوع من الخيال يدعوه «كانت» الخيال الجمالي [1].

أما أحمد الشايب فيقسم الخيال إلى ثلاثة أنواع [2]: فالخيال يكون ابتكاريا. إذا اختار الشاعر عناصر صورته من بين التجارب السالفة وألف منها مجموعة جديدة من الصور، ويكون الخيال بيانيا أو تفسيريا إذا سيق لإدراك جمال الأشياء وأسرارها باختيار العناصر التي تمثلها، وقد يكون الخيال خيالا تأليفيا إذا استخدم صورا حسية لبعث مشاعر تستدعي صورا تشابهها. وأكثر ما اعتمد الشعراء في صورهم على الخيال الابتكاري.

ويعتمد الخيال في أكثر صوره على كاهل بعض الفنون البلاغية وفي مقدمتها التشبيه والاستعارة بأقسامها المختلفة. ولقد استَخدَمَ شعراء العصر العباسي التشبيه استخداماً واسعا، فكل شيء له شيء يشبهه في الشكل أو الصفة أو اللون أو الصوت. وقد أفادوا كثيرا مِن ضروب التشبيه الذي أتاح لهم مجالا كبيرا في إشاعة صورهم المتعددة النابضة بالحياة والحركة.

(1) نقلا عن النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ص413-414.

(2) أصول النقد الأدبي، لأحمد الشايب، ص210-223.

- التشبيه

أ. صورة الخليفة وولي العهد

فعندما يمدح الشعراء الخلفاء يشبّهون وجوههم تارة بالمصابيح وتارة بالقمر المضيء.

فصورة الخلفية المهدي تشبه صورة القمر المنير كما في قول المؤمل بن أميل في مدحه للخليفة المهدي[1].

هـــو المهـــديّ إلاّ أنَّ فِيْـــهِ مَشـــابِهَ صـــورة القمَـــر المُنِيْـــرِ
تَشَـــابَهَ ذَا وَذَا فَهُمـــا إِذَا مَـــا أَنَـــارا مُشْـــكِلاَنِ عَلـــى البَصِـــيْرِ
فَهـــذا في الظَّـــلامِ سِـــرَاجُ لَيْـــلٍ وَهَـــذا في النّهـــارِ سِـــرَاجُ نُـــورِ
وَلَكـــنْ فَضَّـــل الـــرَّحمنُ هَـــذَا عَلَـــى ذَا بِالمَنَـــابِرِ والسَّـــرِيْرِ
وَبالمُلْـــكِ العَزِيْـــزِ فَـــذَا أَمِيْـــرٌ وَمـــاذَا بِـــالأَمِيْرِ وَلاَ الـــوَزِيْرِ
وَنقْـــصُ الشَّـــهْرِ يُخْمِـــدُ ذَا، وَهَـــذا مُنِيْـــرٌ عِنْـــدَ نُقْصَـــانِ الشُّـــهُورِ

فالشاعر يعقد مقابلة بين الخليفة والقمر، فهما متشابهان، ومن رآهما سويا اشتبه عليه الأمر، فيحتار لكي يعرف القمر الحقيقي، فالخليفة قمر في النهار والقمر الحقيقي قمر في الليل، ولقد فضّل الله الخليفة على القمر الحقيقي بالمنابر والسرير وبالملك، في حين لا تتوافر هذه الصفات في القمر الحقيقي. وعندما ينقص الشهر يخف ضوء القمر الحقيقي في حين يبقى الخليفة منيرا طوال الوقت. وطلعة الخليفة المهدي عند سلم الخاسر تشبه الشّمس يقول [2]:

تَخْفَى المُلوكُ لِمُوسَى عِنْدَ طَلْعَتِهِ مِثْلَ النُّجُومِ لِقَرنِ الشّمسِ إِذْ طَلَعَا

(1) تاريخ الطبري، ج 8، ص74، سنة 185.

(2) المصدر نفسه، ج 8، ص225، سنة 170 هـ.

فالخليفة شمس، وغيره من الملوك والخلفاء نجوم، فإذا ما طلعت الشمس اختفت جميع النجوم، وذلك لقوة ضوء الشمس وضعف ضوء النجوم.

والرشيد وسط آل هاشم يشبه البدر وسط النجوم الزواهر كما في قول مروان بن أبي حفصة[1]:

تَـرَى حَوْلَـهُ الأَمْـلاَكَ مِـنْ آلِ هَاشِـمٍ كَمَـا حَفَّـتِ البَـدْرَ النُّجُـومُ الزَّوَاهِـرُ

وَوَلي عهد المسلمين أمضى من شهاب ثاقب، وهو بدر طالع متهلل بالنّور بين الكواكب، يقول محمد بن علي بن فيد الطائي يمدح أبا أحمد -الموفق بالله ولي عهد المسلمين- ويذكر أمر الصفّار[2].

وَوَلِـيُّ عَهْـدِ المُسْـلِمينَ مُوفَّـقٌ بـاللهِ أَمْضَـى مِـنْ شِـهَابٍ ثَاقَـبَ
وَكَأَنَّـهُ فِي النَّـاسِ بَـدْرٌ طَـالِعٌ مُتَهَلِّـلٌ بِـالنُّورِ بَـيْنَ كَوَاكِـبِ

والخليفة في شجاعته أسد يفتح ذراعيه، واسع الشدق مكشر عن الأنياب، قال أبو نواس يمدح محمد بن هارون [3].

أَسـداً بَاسـطًا ذِرَاعَيْـهِ يهْـوِى أَهْـرَتَ الشِّـدْقِ كَـالِحَ الأَنْيَـابِ

وصورة المؤيد بعد تماديه كصورة الحوت الذي نضب عنه الماء فذلَّ واستكان، وهو أيضا في حال طاعته للخليفة كان كالسّراج الملتهب حيوية ونشاطا، ولكنه عندما خالف الخليفة، قطع عنه الخليفة النُّور واللهب، كما في قول محمد بن مروان بن أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة في قوله يمدح المعتز ويذكر المؤيد [4]:

(1) المصدر نفسه، ج8، ص348، سنة 193هـ.
(2) تاريخ الطبري، ج9، ص520، سنة 262هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص509، سنة 198هـ، والديوان، ص116.
(4) المصدر نفسه الطبري، ج9، ص365، سنة 252 هـ.

وَذَلَّ بَعْـــدَ تَمَادِيْـــهِ وَنَخْوَتِـــهِ كَالحُوْتِ أَصْبَحَ عَنْهُ المَاءُ قَدْ نَضَبَا
شَـــبّهتَهُ بِسِـــرَاجٍ كَـــانَ ذا لَهَـــبٍ فَمَـــا تركـــتَ لَـــهُ نُـــوراً وَلاَ لَهَبَـــا

وهذه الصورة الشعرية تنقسم إلى قسمين هما:

صورة المؤيد في حال طاعته للمعتز فهو يشبه الحوت في قوته وشجاعته وضخامته من جهة، وهو يشبه السِّراج الملتهب المتمتع بالحيوية والنشاط من جهة اخرى. أَمّا القسم الثاني من الصورة وهو عندما خالف المؤيد الخليفة، أَزاح عنه الخليفة أسباب القوة – الماء– فأصبح جثة هامدة، لأَنّ الحوت لا يستطيع العيش إلا في الماء، والماء هو رضا الخليفة عن المعتز. وكذلك سَحَب الخليفة من السراج النور واللهب –وهذا أيضا يعادل رضى الخليفة عنه– فأصبح السّراج مظلما بلا نور.

ومثلما شبه الشعراء الخلفاء بالبدر، كذلك شبهوا القادة والعظماء بالبدر، قال منقذ بن عبد الرحمن الهلالي يرثي خالداً بن سلمة المخزومي[1].

مَالَـــتْ حَبَائِـــلُ أَمْـــرِهِمْ بِفَتًـــى مِثْـــلِ النُّجُـــومِ حُفَفْـــنَ بِالبَـــدْرِ

فالممدوح بدر نوره قوي وما حوله نجوم أخفاها القمر بنوره.

ب. صورة الولاة والقادة

والفضل بن يحيى عند مروان بن أبي حفصة شهاب لا يأفل إِذا ما أفلت جميع الشّهب يقول[2]:

مَـا الفَضْـلُ إِلا شِـهَابٌ لا أُفُـولَ لَـهُ عِنْدَ الحُـرُوبِ إِذَا مَـا تَأْفُـلُ الشُّـهُبُ

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص457، سنة 132هـ.

(2) المصدر نفسه، ج 8، ص257، سنة 178هـ. والغضنفر: الجافي الغليظ، وعبل الذراع: غلظ وضخم وأبيض. مديد: طويل.

وإذا ما تحدث الشعراء عن الأبطال من القادة الشجعان، شبهوهم بالأسود الجافية لغليظة، وقد حاول الشاعر إتمام صورة الشجاعة بأن جعل الأسد أبا لأشبل، وعبل الذراع. كما في قول أبي الأسد الشيباني في مدح أحمد بن مزيد [1]:

وَحَصَّلَهُ فِيْهَا كَلَيْثٍ غَضَنْفَرٍ أَبي أَشْبُلٍ عَبْلِ الذِّرَاعِ مَدِيْدِ

وإذا ما تحدث الشعراء عن رجال الحرب شبهوهم بالأُسود القوية المولعة بأكل اللحم[2]، قال الشاعر من أهل بغداد[3]:

خَرَّجَتْ هَذِهِ الحُرُوبُ رِجالاً لاَ لِقَحْطَانِهَا وَلاَ لِنِزَارِ
مَعْشَراً في جَوَاشِنِ الصُّوْفِ يَغْدُو نَ إلى الحَرْبِ كالأُسُودِ الضَّوارِي

وشبه الشاعر عمرو بن عبد الملك الوراق التهام طاهر بن الحسين القائد الشجاع لأعدائه بالتهام الأسد للفريسة، كما شبه تخييمه في ساحة الدار بتخييم الأَسِد قال[4]:

وطاهرٌ ملتهم مِثْلَ التهامِ الأَسَدِ
خَيَّمَ لاَ يَبْرَح في العَرْصَةِ مِثْلَ اللُّبَدِ

وصورة الوالي الذي ترك اهله وإمارته وهرب عنهما، كصورة جمل شارد خائف متخبط -وهذه الصورة من الأمثلة التي تبرهن على أن بعض الشعراء ظلوا يحاكون الصور القديمة- كما في قول يعقوب بن طلحة اللّيثي في هجاء عبد الواحد بن سليمان والي مكة والمدينة[5]:

زَارَ الحَجِيْجَ عِصَابَةٌ قَدْ خَالَفُوا دِينَ الإلهِ فَفَرَّ عَبْدُ الوَاحِدِ

---

(1) المصدر نفسه، ج8، ص423، سنة 196 هـ

(2) تاريخ الطبري، ج8، ص423، سنة 196هـ

(3) المصدر نفسه، ج8، ص458، سنة 197هـ

(4) المصدر نفسه، ج8، ص462، سنة 197 هـ. العرصة: ساحة الدار. واللُّبَد: الاسد

(5) المصدر نفسه، ج7، سنة 129هـ. والحلائل: مفردها حليلة وهي الزوجة.

تَــرَكَ الحَلائِــلَ والإمَــارَةَ هَارِبــًا وَمَضَــى يُخَــبِّطُ كــالبَعِيْرِ الشَّــارِدِ

ت. صورة الرجال، وصورة الناس والكعبة

وصورة الرّجال الذين يدبُّون للرياسة عند سبيع بن ربيعة اليربوعي، كصورة الضفادع التي تدرج تحت الغدير، قال [1]:

وَدَبَّ رِجَــالٌ للرّيَاسَــةِ مِــنْكُمُ كَمَا دَرَجَتْ نحو الغَدِيْرِ الضَّفَادِعُ

فهؤلاء الرجال لا يستطيعون الظهور والمطالبة بالرَّياسة علنا، بل إنّهم يطالبون بالرَّياسة في الخفاء، وهم في ضعفهم كالضفادع.

وتراءى لأحد الزنادقة تشبيه الكعبة بالبيدر وذلك لطواف الناس حولها، وتشبيه الناس في حالة لالسعي حول الكعبة بالحمر التي تدوس البُرَّ والدَّوْسر، كما في قول أبي العلاء بن الحداد الأعمى لموسى الهادي[2]:

أَيَــــا أَمِــــنْنَ اللهِ في خَلْقِــــهِ وَوَارِثَ الكَعْبَــــةِ والمِنْبَــــرْ
مَــاذَا تَــرى في رَجُــلٍ كَــافِرٍ يُشَــبَّهُ الكَعْبَــةَ بالبَيْــدَرْ
وَيَجْعَــلُ النَّــاسَ إِذَا مَــا سَــعَوْا حُمْــراً تَــدوُسُ البُــرَّ وَالدَّوْسَــرْ

ث. صورة المحب والمحبوبة

وصورة المحب بقلقه وما يقاسيه من حبه لزوجته يشبه صورة إنسان ينام على جمر، واختار الشاعر جمر الغضا دون غيره من الجمر، لأنّه يتميز عن غيره بالحرارة القوية،

(1) المصدر نفسه، ج8، ص195، سنة 158هـ.

(2) تاريخ الطبري، ج8، ص190، سنة 169. والبُرُّ: الحنظة أو القمح، والدَّوْسَرْ: حب دقيق أسمر مختلط بالقمح، وهو الدحريج.

وذلك لإظهار مدى ما يقاسيه من حبه لزوجته –وفي جميع أنواع التشبيه إذا كان المشبه به قويا عاد هذا على المشبه– قال الشاعر[1]:

خِلِيْلَـيَّ مِـنْ قَـيْسٍ دَعـا وَاقْعُـدَا يَسُـرُّكمَا أَلَّا أَنَـامَ وَتَرْقُـدَا
أَبِيْـتُ كَـأَنَّي مُسْـعَرٌ مِـنْ تَـذَكُّرِي رُقَيَّـةَ جَمْـراً مِـنْ غَضـًا مُتَوقِّـدَا

وعندما يتحدث الشعراء عن المحبوبة يشبهون الثديين بالحُقَّيْنِ ويصفون بطنها بالضمور ووجههما بالنار التي تتوقد. كما في قول البعيث[2]:

وَثَـدْيَانِ كـالحُقَّيْنِ، والـبَطْنُ ضَـامِرٌ خَمِـيْصٌ، وَجَهْـمٌ نَـأْرُهُ تَتَضَـرَّمُ

والنساء في القصور المشرعة تشبه الدُّمى كما في قول الخُرَيميُّ[3]:

وَهَـلْ رَأيْـتَ القُصُـحوّر شَـارِعَةً تُكِـنُّ الـدُّمَى مَقَاصِـرُهَا

ومُقل النسَّاء كمقل الغزالة، أَمّا عندما يضحكن، فأفواههن تشبه البرق، وهنّ متحيّرات مفكرات كالعرائس يلبسن القلائد في الرّقاب، قال شاعر من أهل بغداد[4]:

وَسَـالِبَةُ الغَزَالَـةِ مُقْلَتَيْهَـا مَضـاحِكُهَا كـلألأ البُـرُوقِ
حَيَـارَى كالهَـدَايا مُفْكِـراتٌ عَلَـيْهِنَّ القَلائِـدّ في الحُلُـوقِ

وَهُنّ كالدُّمَى حينا، وكالمها حينا آخر، ضامرات البطون كواعب كما في قول محمد بن قَيد الطائي[5]:

---

(1) المصدر نفسه، ج7، ص543، سنة 144هـ.

(2) تاريخ الطبري، ج8، ص418، سنة 196. الحُقُّ: وعاء، صغير ذو غطاء يتخذ من عاج أو زجاج أو غيرهما. والجهم: العابس. وهنا أرجَح رواية الطبري لأَنَّ وجه المحبوبة لا يوصف بالعبوس بل إنّ العابس شيء آخر في جسم المحبوبة. والخميص: الضامر أو البطن الخالي من الطعام.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص449، سنة 197هـ.

(4) المصدر نفسه، ج8، ص457، سنة 197هـ.

(5) المصدر نفسه، ج9، ص519، سنة 262هـ.

بَــانُوا بِــأَتْرَابٍ أَوانِــسَ كالــدُّمَى مِثْــلِ المَهَــا قُــبّ البُطُــونِ كَوَاعِــبِ

والنَّساء أيضا كالدُّر الذي تكشَّف عنه الصدف، كما في قول الحسين بن الضحاك[1]:

فَكَــــأَنَّهُنَّ خِــــلاَلَ مُنْتَهَــــبٍ دُرٌّ تَكَشَّــــفَ دُوّنَــــهُ الصَّــــدَفُ

ج. صورة الحصان

وعندما تحدث الشعراء عن الحصان جعلوه كالسابح اليعبوب، وذا ميعة وملتهما الجبوب، وهو كالذئب الذي يلحق فريسة قريبة، والذئب هنا يركض بأقصى سرعة ويتشوّق للّحاق بفريَستِهِ، وهذا عائد إلى سرعة الحصان، كما في قول الشاعر[2]:

لاَ تَسْــــقِهِ حَــــزْراً وَلاَ حَلِيْبَــــا إنْ لَــمْ تَجِــدْهُ سَــابِحًا يَعْبُوبَــا

ذَا مَيْعَــــةٍ يَلْــــتَهِمُ الجَبُوبَــــا كَالــذِئْبِ يَتْلُــو طمعــًا قَرِيْبَــا

والخيل بائنة عروقها، ضامرات البطون، سود وشقر، يشبهنَ السَّعَالي، عليها فرسان كالأسود الكسارَّة، يكرُّون على الأعداء دون خوف، كما في قول بكر بن عبدالعزيز يذكر هرب النوشري من بين يديه ويعير وصيفا بالإحجام عنه ويتهدد بدرا:

سَــوْفَ يَأْتِيْنَــهُ شَــوَاذِبُ قُــبٌّ لاَحِقَــاتُ البُطُــونِ جُــوْنٌ وُشْــقرُ

يَتَبَــارَيْنَ كَالسَــعَالِي عَلَيْهَــا مِــنْ بَنَــى وائِــلٍ أُسُــودٌ تَكِــرُّ

ح. صورة المدن

ويرى الخريميُّ أَنّ بغداد تشبه العروس باطنا وظاهرا في قوله[1]:

---

(1) المصدر نفسه، ج8، ص502، سنة 198هـ.

(2) تاريخ الطبري، ج7، ص594، سنة 145هـ. والحزر: ما حمض من اللبن، والسابحات: السفن والملائكة والنجوم، وعب الماء عبا: شربه بلا تنفس ومص، ويقال: عب في الماء أو الإناء كرع، والبحر عبابا: ارتفع موجه واصطخب، والجبوب: الأرض الغليظة والتراب.

إِذْ هـــي مثـــلُ العَـــرُوسِ بَاطنهـــا مُشَـــــوَّقٌ لِلْفَتَـــــى وَظَاهِرُهَـــــا

أَمّا مدينة البذِّ عند الحسين بن الضّحاك الباهلي فتشبه مدينة إِرم. ولـم يبق منها إلا كما بقي من إرم، يقول[2]:

لَـــمْ يَـــدَعْ بالبـــذِّ مِـــنْ سَـــاكِنَةٍ غَيْـــــرَ أَمْثَـــــالٍ كَأَمْثَـــــالِ إِرَم

خ. صورة السيف والراية

وعندما يتحدثون من السيوف يشبهونها بشعل النار الملتهبة المتطايرة، يقول الحجاج بن يوسف التيميُّ يمدح الرشيد ويذكر نِقفور[3]:

أَعْطَـــاكَ جِزْيَتَـــهُ وَطَأْطَـــأَ خَـــدَّهُ جَـذَرَ الصَّـوَرِام والـرّدى مَحْـذُورُ

فَأَجَرْتَـــهُ مِـــنْ وَقْعِهَـــا وَكَأَنَّهـــا بِأَكُفِّنـــا شُـــعَلُ الضَّـــرَامِ تَطِيْـــرُ

أَمّا الرَّايات التي يحملها الجيش فهي في كبرها تشبه قطع الحساب، قال أبو العتاهية في مدح الرشيد[4]:

وَرَايـــاتٍ يَحِـــلَّ النَّصْـــرُ فِيْهَـــا تَمُـــرُّ كَأَنَّهـــا قِطَـــعُ السَّـــحَاب

فقد جعل الشاعر النصر شيئا حسيا يحل يرايات الجيش.

---

(1) المصدر نفسه، ج10، ص49، سنة 283هـ. الشواذب: الإبل أو الخيل التي بانت عروقها، لاحقات البطون: ضامرات. الجون: السود. والشقرة: حمرة صافية مع ميل البشرة إلى البياض. السَّعال: مفردها سعلى أو سعلاة وهي الغول.

(2) تاريخ الطبري، ج8، ص448، سنة 197هـ.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص308- 309، سنة 187هـ، والضرام: اشتعال النار، وما تضرم به النار من الحطب وغيره السريع الالتهاب مما ليس له جمر واحدته ضرامة.

(4) المصدر نفسه، ج8، ص310، سنة 187هـ.

د. صورة الشيب

وقد تراعى الشيب لإبراهيم بن عبدالله بن حسن أو لغالب الهمداني أو الهمداني بأنّه يشبه العطب كما في قوله[1]:

مَـــا ذِكْـــرِكَ الدَّمنـــةَ القِفَـــارَ وَأَهَـــلَ الـــدَّارِ إِمَّـــا نَـــأَوْكَ قَربُـــوا
إِلا سَـفَاهًا وَقَـدْ تَفَرَّعَـكَ الشَّـيْبُ بِلَـــــوْنٍ كَأَنَّـــــهُ العَطَـــــبُ

ذ. صورة الخمر

أما: الخمر فرائحتها كرائحة المسك، لها رائحة طيبة حين توضع في الدّن وتختم كما في قول البعيث[2]:

أَبَاكِرُهَـا صَـهْبَاءَ كَالمِسْـكِ رِيحُهـا لَهَـــا أَرجٌ فِي دَنّهـــا حِـــيْنَ تَرشُـــمُ

- التشبيه المعكوس (الطرد)

وقلما نجد في شعرهم تشبيهات معكوسة، أو ما يسميه البلاغيون بالطَّرْد، كقول عثمان بن سعيد الطائي في مقتل الحسين بن علي[3]:

هُـــمُ قَتَلُـــوهُ حِـــيْنَ تَـــمَّ تَمَامُـــهُ وَصَـــارَ مُعَـــزّىً بِالنَّـــدَى والتَّمَجُّـــدِ
أَغَـــرُّ كَـــأَنَّ البَـــدْرَ سُـــنَّةُ وَجْهِـــهِ إِذَا جَـاءَ يَمْشِـي فِي الحَدِيْـدِ المُسَـرُّدِ

فقد عكس الشاعر وجه الشبه، فجعل المشبه به مشبها، والمشبه مشبها به، فوجه الحسين بن علي لا يشبه البدر، وإنّما تنعكس الصورة، فإذا البدر يشبه وجه الحسين بن علي.

(1) المصدر نفسه، ج7، ص545، سنة 144هـ، والعطب: القفطن. الواحدة عطبة، وأعطبه: أهلكه. وعطب عطبا: هلك وفسد. والعطبة: خرقة تؤخذ بها النار.
(2) تاريخ الطبري، ج8، ص418، سنة 196هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص431، سنة 196هـ.

وقلما نجد في الشعر العباسي في تاريخ الطبري أن جعل الشاعر أكثر من تشبيه في بيت واحد، إلا مروان بن أبي حفصة في مدحه للرشيد حين قال[1]:

تَـرَى حَوْلَـهُ الأَمْـلاَكَ مِـنْ آل هَاشِـمٍ كَمَـا حَفَّـتِ البَـدْرَ النُّجُـومُ الزَّوَاهِـرُ

فالخليفة كالبدر وآل هاشم كالنجوم الزواهر التي تحيط به.

- التشبيه التمثيلي

ومثلما اعتمد الشعراء العباسيون على هذه الضروب من التشبيهات، اعتمدوا على نوع آخر من التشبيه يمكّنهم من بث الحياة النابضة في صورهم، هذا النوع يسميه البلاغيون «التشبيه التمثيلي». ففي وصف مرض عيسى بن موسى ونجاته من هذا المرض، شبهه يحيى بن زياد بن أبي حُزابة البرجميّ أبو زياد بالظبي الذي نجا من السهم أو من الحيَّة الخبيثة الذي لا يسلم مَنْ تلدغه، قال[2]:

أقلـتَ مِـنْ شَـرْبَة الطَبِيْـبِ كَمَـا أَفْلَـتَ ظَبْـيُ الصَّـرِيْمِ مِـنْ قُتَـرِهْ

وعند مروان بن أبي حفصة فإنّ قريش تلقي بأمورها على عاتق الخليفة الرشيد بثقة واطمئنان، كما يلقي المسافر عصاه، قال[3]:

عَلَـى ثِقَـةٍ ألقـت أُمُورَهَـا قُـرَيْشٌ، كَمَـا أَلْقَـى المُسَـافِرُ

- التشبيه الضمني

ومثلما استخدم الشعراء التشبيه التمثيلي لوضع صورهم، كذلك استخدموا التشبيه الضمني على قِلَّة، كقول محمد بن عبدالله لما سقط ابنه ولقي ما لقي، قال[4]:

---

(1) المصدر نفسه، ج8، ص348، سنة 193هـ.

(2) تاريخ الطبري، ج8، ص11، سنة 147هـ، والصرَّيم: من الشجر ما جمع ثمره. والقتر: السهم يرميه الصائد أو الحيَّة الخبيثة لا يسلم من تلدغه.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص348، سنة 193هـ.

(4) المصدر نفسه، ج7، ص535، سنة 144هـ.

مُنْخَـرِق السّـربَالِ يَشْـكُو الـوَجَى تَنْكبُـهُ أَطْـرافُ مَـرْوٍ حِـدَادْ
شَـرَّدَهُ الخَـوْفُ فَـأَزْرَى بِـهِ كَـذَاك مَـنْ يَكْـرَهُ حَـرَّ الجِـلاَدْ

فالخوف من الموت شرّده وجعل حالته مزرية، وحالته هذه كحالة الإنسان الذي يركن إلى الدّعة والخمول ويكره القتال والنِزال.

- التجسيم

ولإيضاح الصورة وإبرازها أشاع الشعراء العباسيون في صورهم ضروبا من التجسيم، فقد جعلوا الشيء المعنوي شيئا حسيّا، كما في قول والبة بن الحباب الأَسدي متغزلا[1]:

وَلَهَـاوَلاَ ذَنْـبٌ لَهَـا حُـبٌّ كـأَطْرَفِ الرَّمَـاحِ
فِـي القَلْـبِ يَقْـدَحُ وَالحَشَـا فَالقَلْـبُ مَجْـرُوحُ النُّـواحِي

فعندما وصف الشاعر الحب جسّمه بصورة أطراف الرَّماح الحادة.

وجسَّم شاعر آخر الخلاف بين الوزير والمشير ببول البعير، كما في قوله[2]:

فَشُـنَّعَ فِعْلاَهُمَـا مِنْهُمَـا وَصَـارَا خِلاَفًـا كَبَـوْلِ البَعِيـرْ

وهذه الصورة من الصور القديمة غير المجدّدة.

وإِذا ما أرادوا التحدث عن الفتن، جسّموها بالجبال لعظمها وكبرها[3]، قال شاعر من أهل بغداد:

وَلَكِنَّهَـا فِـتَنٌ كَالجِبَـالِ تَرَفَّـعَ فِيْهَـا الوَضِـيْعُ الحَقِيـرْ

- الاستعارة

ومن الصور التي ركز عليها الشعراء العباسيون، تلك الصور التي تعتمد على الاستعارة، أو ما يعرف باسم «التشخيص». وقد شخص الشعراء كل ما يقع تحت أبصارهم فإِذا الكون

(1) تاريخ الطبري، ج8، 182، سنة 195هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص396، سنة 195هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص396، سنة 195هـ.

كله روح متحركة، وحياة تسري في كل شيء من أشيائه، وكأَنَّما أَحَسَّ الشعراء روحا نابضة بالغدر والدهر والموت والخلافة والحرب والليل والسيف والزمن وغير ذلك. وغدت هذه الأشياء في نظرهم وأذهانهم كائنات حيّة تخفق بالحياة. تتحرك وتتنفس وتمشي وتغلي وتتكلم. فالخلافة تتمثل لأبي نخيلة بشيء مادي يزحلق ويعطى بالأيدي، وينتقل من يد إلى يد أخرى، ويطلب من عيسى بن موسى أن يحركها إلى محمد باليد ويسلّمها تسليما، قال[1]:

عِيْسَى فَزَحْلَقَهَا إلى مُحَمّدِ ... حَتّى تُؤَدَّى مِنْ يَدٍ إلى يَدِ
فِيْكُمْ وَتَغْنَى وَهي في تَزَيُّدِ ... فَقَدْ رَضِيْنَا بِالغَلاَمِ الأَمْرَدِ

ويشخص أحد الشعراء المُلك بثوب يخلع، واللوم بثوب يلبس، قال[2]:

كَرِهَ المَوْتَ أَبو مُوْسَى وَقَدْ ... كَانَ في المَوْتِ نَجَاءٌ وَكَرَمْ
خَلَعَ المُلْكَ وَأَضْحَى مُلْبَسًا ... ثَوْبَ لومٍ مَا تُرى مِنْهُ القَدَمْ

وتتمثل الخلافة لأحد الشعراء بالثوب الذي يلبس ويخلع كما تمثل الدين شيئا ماديا يباع ويشترى، قال الشاعر في مدح المستعين[3]:

لِيسَ الخِلاَفَةَ واسْتَجَدَّ مَحَبَّةً ... يَضِي أُمُورَ المُسَلِمينَ جَمِيعَا
بَاعَ ابنُ طَاهر دِيْنَهُ عَنْ بَيْعَةٍ ... أَمْسَى بِهَا مُلْكُ الإمَامِ مَنِيْعَا
خَلَعَ الخِلاَفَةَ والرَّعيَّة فَاغْتَدَى ... مِنْ دِيْنِ رَبِّ مُحَمّدٍ مَخْلُوعَا

وتتمثل الحرب لمنصور النَّمري في مدحه جعفر بن يحيى بفرس ينزف الدم من شفارها لكثرة الضرب والطعن في ساحة المعركة، قال[4]:

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص21، سنة 147هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص128، سنة 160هـ.
(3) المصدر نفسه، ج9، ص350، سنة 352هـ.
(4) المصدر نفسه، ج8، ص262، سنة 180هـ.

وَزِيْــرُ أَمِيْــرِ المــؤمنينَ وَسَــيفُهُ وَصَـعْدَتُهُ والحَـرْبُ تَـدْمَى شِـفَارُهَا

أما عند مروان بن أبي حفصة فهي قدر تغلي من تحتها النار لشدتها وقوتها، وتربص كلٍّ من الجانبين بالآخر، قال يمدح هارون بن المهدي أثناء حصار القسطنطينية[1]:

وَمَـا رِمْتَهـا حَتّـى أَتَتْـكَ مُلُوكُهَـا بِجِزْيَتِهـا، وَالحَـرْبُ تَغْلِـى قُـدوُرُهَا

وفي أثناء حديث الشعراء عن الحرب تمثلت مدينة البذّ لأبي تمام بالفتاة العذراء، والإفشين هو فحل الشرق الذي افتضّها بالسّيف، وجعلها مربعا للثعالب تَعوي بها بعدما كانت بالأمس عرينا لبابك الخُرّمي، وجعل المطر المتساقط على هذه المدينة جَمَاجِم الرؤوس. قال[2]:

قَـدْ كَـانَ مُـذْرَةَ سُـودَدٍ فَافْتَضَّـهَا بالسَّـيْفِ فَحْـلُ المَشْـرِقِ الإفْشِـينُ
فَأَعَادَهـا تَعْـوِي الثَّعَالِـبُ وَسْـطَهَا وَلَقَـدْ تُـرَى بِـالأَمْسِ وَهْـيَ عَـرِيْنُ
هَطَلَـتْ عَلَيْهَـا مِـنْ جَمَـاجِمِ أَهْلِهَـا دِيَـمٌ أَمَارَتُهَـا طُلًـى وَشُـؤونُ

وسلم الخاسر في رثائه المنصور جعل أعداءه خيولا يقودهم الخليفة المنصور بغير عنان لقوّته، قال[3]:

قَلَّدَتـهُ أَعِنَّـةُ المُلْـكِ حَتّـى قَـادَ أَغْـدَءَهُ بِغَيْـرِ عِنَـانِ

وتتمثل الخيول لإبراهيم بن عبدالله بن حسن أو غالب الهمداني بنساء ينتحبن، قال[4]:

وَلَـمْ أَقُـدْ غَـارَةً مُلَمْلَمَـةً فِيهَـا بَنَـاتُ الصَّـرِيْحِ تَنْتَحِـبُ

(1) المصدر نفسه، ج8، ص153، سنة 165هـ.

(2) تاريخ الطبري، ج9، ص55، سنة 223هـ. والديوان 3/ 316 «جادت عليها» طلّى: ادّهن به. والشؤون: الأحوال. والشأن: الحال والأمر.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص101، سنة 158هـ.

(4) المصدر نفسه، ج7، ص546، سنة 144هـ. والململة: يقال كتيبة ململمة مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض. الصّريح: الخالص مما يشوبه. وهو اسم لفحل مشهور.

وتمثل السيف لأحد الشعراء إنساناً يتلمظ ويحرّك شفتيه من الشوق، قال[1]:

تَلَمَّظَ السَّيْفُ مِنْ شَوْقٍ إلى أَنَسٍ فَالسَّيْفُ يَلْحَظُ وَالأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ

كما تمثل سور القسطنطينية مروان بن أبي حفصة إنساناً ذليلا مكسورا، قال[2]:

أَطَفْتَ بِقُسْطَنْطِيْنَةِ الرُّوْم مُسْنِداً إِلَيْهَا القَنَا حَتّى اكْتَسَى الذَّلَّ سُوْرُهَا

ويتمثل الليل لمروان بن أبي حفصة في مدحه للفضل بن يحيى إنسانا يلبس الجلباب، ويأتي نور الصباح لينزع هذا الجلباب ويعم النُّور الأرض، وهذا النور هو الفضل بن يحيى الذي نفى العدو عن خراسان كما نفى الصبح الظلام، قال[3]:

نفى خراسان العدو كما نفى ضحى الصبح جلباب الدجى فتعردا

وتتمثل العراق ليزيد بن محمد المهلبي امرأة مليحة جميلة، بليت بالطلاق حين خرج المتوكل إلى الشام، قال[4]:

أظن الشام تشمت بالعراق إذا عزم الإمام على انطلاق

فإن تدع العراق وساكنيها فقد تبلى المليحة بالطلاق

ويتمثل الزمن للرقاشي بالإنسان الغدار الخائن، قال[5]:

إن يغدر الزمن الخؤون بنا فقد غدر الزمان بجعفر ومحمد

وعند شاعر آخر يتمثل الزمان إنسانا له يد تجني قال[6]:

فجنت عليه يد الزمان بصرفه حربا وكان عن الحروب شسوعا

---

(1) المصدر نفسه، ج 8، ص297، سنة 187 هـ.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص153، سنة 165هـ.

(3) تاريخ الطبري، ج8، ص259، سنة 178هـ. وتعرد: أي تجرد وتكشف.

(4) المصدر نفسه، ج9، ص209، سنة 243هـ.

(5) المصدر نفسه، ج8، ص300، سنة 187 هـ.

(6) المصدر نفسه، ج9، ص350، سنة 252 هـ.

وقد جعل الشاعر الدهر شيئا حسيا له ظهر أعوج يسعدُ به اللئام ويشقى به الكرام، قال[1]:

واستخرج الناس للشقاء وخلفت لدهر بظهره حدب.

أعـــوج يســـتعذب اللئـــام بـــه ويحتـــو بـــه الكـــرام إن ســـربوا

أما الغدر فقد جعل له منقذ بن عبد الرحمن الهلالي حبائلَ تميل فتُفني الرجال الشجعان، قال[2]:

أفنـى الحمـاة الغـر أن عرضـت دون الوفـــاء حبائـــل الغـــدر

مالـــت حبائـــل أمـــرهم بفتـــى مثـــل النجـــوم حففـــن بالبـــدر

وتمثل الموت لأحد الشعراء إنسانا يخاطبه ويقول له أهلا ومرحبا، قال [3]:

وخطـة ذل تجعـل المـوت دونهـا نقـول لهـا للمـوت أهـلا ومرحبـا

وتمثل الشاعر باذنجانة الموت وكأنه الحب المنثور في ساحة المعركة لكثرة القتلى، قال[4]:

يـــا بنـــي طـــاهر أتـــتكم جنـــ ـــود الله والمـــوت بينهـــا منثـــور

ويمكن أن نعد هذه الصورة من الصور الغريبة في الشعر العباسي.

وتمثلت الشمس لأبي الشيص في رثائه لهارون الرشيد بامرأة ينزل الدمع من عينيها، قال[5]:

غربـــت في الشـــرق شـــمس فلهـــا عينـــان تـــدمع

---

(1) المصدر نفسه، ج7، ص545، سنة 144 هـ. والأحدب: أمر أحدب: شاق، صعب المنال. والحدب: ما ارتفع وغلظ من الارض.

(2) تاريخ الطبري، ج7، ص457، سنة 132 هـ.

(3) المصدر نفسه، ج7، ص556، سنة 145 هـ.

(4) المصدر نفسه، ج9، ص291، سنة 251 هـ.

(5) المصدر نفسه، ج8، ص364، سنة 193 هـ.

ويمكن أن نعد هذه الصورة أيضا من الصور الغريبة في الشعر العباسي.

على هذا النحو مضى شعراء العصر العباسي يشخّصون الأشياء الجامدة تشخيصا يعج بالحياة والحركة والنشاط.

وقد كثرت في أشعار العباسيين الصور المنتزعة من العالم المحسوس، وقلت في أشعارهم الصور المعنوية التي تخرج عن دائرة الحس إلى دائرة المعنى، ولم أجد أي صورة حدها الأول شيئا حسيا وحدها الثاني شيئا معنويا، بل كانت جميع الصور حدها الأول شيئا حسيا أو معنويا، أما حدها الثاني فكن شيئا حسيا. وربما هذا عائد إلى الشخص الذي اختار الشعر، فهو يهمه التمثيل على الأحداث والاستشهاد عليها بالشعر لتأكيدها.

واستطاع شعراء هذا العصر أن يستغلوا في شعرهم الصور القديمة إلى جانب الصور الجديدة المبتكرة التي جاءت أقل من الصور القديمة. وربما يكون سبب ذلك كما أسلفت عائد لطبيعة العالم الذي اختار الشعر وميله وحبه للصور القديمة، وعدم إيمانه بالصور الجديدة. فالطبري مؤرخ يبحث عن الحقيقة، وليس شاعرا يزين ويبهرج ويزيد وينقص وغير ذلك من البعد عن الحقيقة، ولأن هذا الشعر مرتبط بالأحداث ولا مجال فيه للإبداع الفني.

فمن الصور القديمة تشبيه الإنسان الهارب بالبعير الشارد المتخبط، وتشبيه حال الإنسان القلق الذي لا يعرف النوم بمن ينام على جمر الغضا، وتشبيه الحصان بالذئب، وتشبيه وجه الفارس بالمصباح، وتشبيه وجه الخليفة بالقمر أو الشمس، وتشبيه الخيول بالسعالي، وتشبيه الخلاف بين الوزير والمشير ببول البعير، وتشبيه الإنسان بالأسد وغير ذلك.

وأول الملاحظات على هذه الصور أنها جميعا تعتمد على التشبيه، وهو الغالب في تشكيل الصور في الشعر العباسي في تاريخ الطبري، فالصور التي اعتمدت على التشبيه – تقريبا- ضعف الصور التي اعتمدت على الاستعارة. كما اعتمدت الصور الجديدة على

الاستعارة رغم شيوع التشبيه والاستعارة في الشعر العباسي بشكل عام، إلا أن الذي تحكم باختيار هذه الصور هو المؤرخ الذي تحكم في اختيار الشعر، كما أن التشبيه في الشعر العربي القديم شائع أكثر من الاستعارة، لأن التشبيه « لا يحتاج بعدا في الخيال ولا عمقا في التصوير، وهو لون مفرد بل هو صبغ من أصباغ لون مفرد هو لون التصوير»[1].

وفي الاستعارة نضطر إلى التعبير عن إدراكات غير حسية باصطلاحات وحدود حسية، وبمعنى آخر تصور العواطف والانفعالات بأشياء من العالم المادي[2].

ومن الصور الجديدة تمثل الشعراء للخلافة بشيء يلبس ويخلع، وتمثل بعضهم الليل بإنسان يلبس جلبابا يذهبه نور الصباح، وتمثل السيف بإنسان يتلمظ، وتمثل الموت بالحب المنثور، وتمثل المطر جماجمَ تهطل في ساحة المعركة وغير ذلك.

ونستطيع أن نقول إن الصور الواردة في الشعر العباسي في تاريخ الطبري صور قديمة، أما الصور الجديدة فتعتمد في الحقيقة على الصور القديمة، إلا أن فيها حذفا وإضافة وتحويرا وتوليدا مما جعلها تختلف بعض الشيء عن الصور القديمة. وكل هذه الصور جاءت بسيطة سهلة غير معقدة أو مركبة، وليس فيها التواء أو غموض، وربما عاد هذا أيضا إلى طبيعة الحياة التي يحياها الشعراء وترتبط بالمادية ارتباطا وثيقا، أو إلى المؤرخ الذي اختار الشعر.

ونتيجة لما أسلفت من حب الطبري للقديم وبحثه عن الحقيقة، وعدم ولعه بالجديد، واهتمامه بالشعر للتدليل على سلامة الأحداث التاريخية من جهة، وتركيز هذا الشعر على النواحي السياسية من جهة أخرى. ولأن الطبري كان يختار جزءا من القصيدة ليمثل على حادثة، ولم يثبت القصيدة كاملة التي تحوي صورا فنية جميلة لا تخفى على الدارسين، لهذه الأسباب -وربما لغيرها- لاحظت عدم وجود مظاهر حضارية في الصور الشعرية

(1) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، ص145-152.

(2) الشعر وأيام العرب، د. عفيف عبد الرحمن، ص350.

رغم كثرتها في الشعر العباسي مثل تشبيه العيون بقطرتي زئبق، وتشبيه النؤى بالسوار المنفصم. ولاحظت عدم وجود صور غريبة من مثل تشبيه أصابع المحبوبة المصبغة بالخضاب الأحمر بمخالب البازي المغرجة بدماء الطرائد، كما لاحظت عدم وجود صور مركزة أو عميقة شاملة من مثل الصورة التي جاءت بشعر بشار بن برد « كأن مثار النفع « على الرغم من كثرة مثل هذه الصور في الشعر العباسي.

2. اللغة والأسلوب

– اللغة

1) لغة الشعر وتطورها

اللغة العربية لغة حية، قابلة للتطور والنمو، كغيرها من اللغات في العالم، تخضع لعوامل التطور والنماء، فبعض ألفاظها انقرضت، وبعضها بقيت، وبعضها الآخر حورت، أو أشتقت أو استحدثت وذلك لحاجتنا إليها.

واللغة العربية في رحلتها الطويلة واكبت الحياة العربية في شتى عهودها فاستوعبت المولد والمعرب والمترجم، ولم يقلل من شأنها انحصار بعض الكلمات أو الجمل أو التراكيب، فبعض الكلمات والتراكيب قد تلائم عصرا دون آخر، وقد تتطور بعض ألفاظها في دلالتها ومعانيها، وقد تمشت لغة الشعر في العصر العباسي في القرنين الثاني والثالث مع هذا التطور وانقادت له.

فإذا نظرنا إلى لغة الشعر وجدنا أنها تطورت بشكل كبير، ولكن الدكتور شوقي ضيف يقلل كثيرا من شأن هذا التطور في لغة الشعر فيقول: « كان المظنون أن يحدث تغير واسع في اللغة العربية أثناء العصر العباسي حين اتخذها الأجانب من الأعاجم وسيلة للتعبير عن فكرهم وشعورهم، غير أن ذلك انحسر عن تغيرات طفيفة، وإن كان العباسيون أنفسهم يشيرون إلى ما يسمى أسلوب المولدين، لكن هذا الأسلوب لم يتحول تحولا تاما إلى صورة مخالفة للصورة القديمة»[1].

(1) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، ص64.

وقد أشار الجاحظ إلى وجود لغة مولدة في القرن الثاني نتيجة اختلاط اللغة العربية بلغات أهل البلاد المفتوحة وبخاصة الفرس، وهذه اللغة المولدة كانت لغة العامة الأكثر شيوعا[1].

أما الدكتور محمد مصطفى هدارة فيقول: إننا لا نقول إن اللغة العربية القديمة قد استبدلت في القرن الثاني بلغة أخرى، ولكننا نقول إنها تطورت وتغيرت في طرائق تعبيرها وفي تركيب جملها، وفي مادتها اللغوية نفسها[2].

ولعل أول خلاف يقع بين الأسلوب القديم والأسلوب المولد هو الخلاف على مادة اللغة نفسها وهي الألفاظ، فاللغة القديمة كانت تعتمد على ألفاظ حوشية جزلة قوية الرنين تقتحم الأسماع وتملأ فم منشدها وآذان سامعها، وكان الشعراء القدامى يصطنعون هذه اللغة لأنها بالفعل لغتهم ونتاج بيئتهم وصدى مجتمعهم وحياتهم العقلية. ولكن حين تطورت الحياة الاجتماعية والعقلية وشاعت مظاهر الترف والرقة في أنحائه أخذ الناس ينفرون من الحوشي الغليظ ويميلون إلى الرقيق الموحى. ذلك أن التطور الاجتماعي وتطور أحاسيس الشعراء أنفسهم والذوق العام في العصر هو الذي أدى إلى هذه الرقة والبعد عن الحوشي الغريب[3].

وربما نضيف -كما أسلفنا- تأثير الفرس في لغة الشعر وميلها إلى الرقة والدماثة، والانتقال من حياة البداوة إلى حضارة المدن وتغلغل غير العرب في مناطق الأدب. ولهذا تراجع في ذلك العصر الطابع الحوشي للألفاظ أمام أسلوب منمق مهذب سهل[4].

---

(1) البيان والتبيين، 1:، ص11، 12.

(2) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هدارة، دار المعارف بالقاهرة، 1973.، ص552.

(3) المرجع نفسه، د. محمد مصطفى هدارة، ص552-553.

(4) العربية، تأليف يوهان فك، ترجمة عبد الحليم النجار، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، 1951م، ص58.

ولم يكن الأسلوب العربي المتطور وقفا على الشعراء المولدين دون غيرهم، بل كان لغة الشعر نفسها بصفة عامة، إذا استثنينا تيار الشعر لمحافظ الذي لم تتطور لغته والذي لم يكن له تأثير كبير على لغة الشعر.

وبناء على ما سبق نجد أن شعراء هذا العصر قد تنازعهم تياران مختلفان [1]: تيار قديم يقلد القدماء، ويحاكيهم، ويتمثلهم، ويؤمن بمثلهم، ويتبع سنتهم ومناهجهم في اللفظ والتركيب والصورة الشعرية. وقد يفزع الشعراء إلى المعجم القديم يتخيرون ألفاظهم وتراكيبهم إرضاء للتيار المحافظ وخوفا من الخلفاء والأمراء والوزراء والأشراف لأن هؤلاء كانوا يحبون القديم ويؤثرونه، ورغبة في التزلف للغويين والمنافسة بين الشعراء في معرفة الشعر القديم، ونزوعا إلى ما يشبه التحدي لإثبات مقدرتهم في كل المجالات والأحوال، وردا على اتهامات كانت توجه إلى بعضهم بقصد الانتقاص والحط.

وتيار جديد يمثل الحياة الجديدة برقتها وتطورها وبيئاتها لجديدة، وهذه الحياة الجديدة المتطورة لا بد لها من تطور في اللغة، لذلك أثر هذا التغير والتطور في نفوس الشعراء فراحوا يعبرون عن ذاتهم بلغة مستمدة مما يحسونه ويشاهدونه ويتجاوبون معه. وهي لغة اعتمدت على تهذيب اللغة القديمة وتنقيتها من الألفاظ الحوشية والغريبة.

وليس أدل على ذلك من القصة الخيالية التي ذكرها محي الدين بن عربي في محاضرة الأبرار 2-3 قال: «حكى لنا بعض الأدباء عن ابن الجهم وكان بدويا جافيا لما قدم على المتوكل وأنشده يمدحه بقصيدته التي يقول فيها يخاطب الخليفة [2]:

أنت كالكلب في حفاظك للود ... وكالتيس في قراع الخطوبِ

أنت كالدلو لا عدمناك دلوا ... من كبار الدلا كثير الذنوبِ

(1) حياة الشعر في الكوفة، د. يوسف خليف، دار العربي للطباعة والنشر القاهرة، 1968، ص691.

(2) ديوان علي بن الجهم، ص117.

فعرف المتوكل قوته ورقة مقصده وخشونة لفظه، وعرف انه ما رأى سوى ما شبه به لعدم المخالطة وملازمة البادية، فأمر له بدار حسنة على شاطئ دجلة فيها بستان حسن يتخلله نسيم لطيف يغذي الأرواح، والجسر قريب منه، وأمر بالغذاء اللطيف أن يتعاهد به، وكان يركب في أكثر الأوقات فيخرج إلى محلات بغداد فيرى حركة الناس ولطافة الحضر ويرجع إلى بيته، فأقام ستة أشهر على ذلك والأدباء والفضلاء يتعاهدون مجالسته ومحاضرته، فاستدعاه الخليفة بعد مدة لينشده فحضر وأنشد [1]:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

أعدن لي الشوق القديم ولم أكن سلوت ولكن زدن جمرا على جمر

ويستشهد بهذه الحادثة أكثر الدارسين على موضوع تأثير البيئة على الأدب، ولقد أثرت البيئة على الأدب قبل الشعر العباسي والإسلامي، ففي العصر الجاهلي نجد أن شعر امرئ القيس يختلف عن شعر طرفة بن العبد، وذلك لاختلاف بيئة كل منهما.

وعندما كان الشعراء يطرقون الموضوعات القديمة لم ينفصلوا كليا عن عصرهم الذي تطورت لغته وتهذبت، وعندما كانوا يطرقون موضوعات جديدة فإنهم لم يهملوا تراث القدماء ولغتهم، فالذي حدث هو نوع من المزاوجة اللغوية؛ استمداد لغوي من القديم في كلا التيارين، مع تهذيب وتنقيح يختلف من حيث القلة والكثرة تبعا للموضوع والشاعر. أي أنهم إذا كانوا يغترفون من الصور القديمة، فإنهم لم يكونوا ينقلونها نقلا كاملا مكررا، وإنما كانوا يضيفون إليها خيوطا جديدة بحيث تصبح صورهم جديدة أو كالجديدة.

فالشاعر العباسي لا يشغله الحبيب الراحل والطلل البالي، في بغداد لهو وقصف، في بغداد قينة وغلام وراح.

(1) ديوان علي بن الجهم، ص143.

يتضح مما سبق أن هناك مشكلة فنية دقيقة تتعلق بجمال الشعر وقيمته، فأيهما أجمل في رأي الناس: أن يفهموا الشعر فهما مباشرا لبساطته وسهولة تعبيره أم أن يفهموه بعد أن يتكلفوا له الجهد لتعقيده وإغرابه. ولكل من المذهبين أنصار، ومحك التفرقة هو الاقتراب من الشعبية والبعد عنها. فأنصار الشعر البسيط هم الذين يؤيدون اقتراب الشعر من عامة الناس، أما أنصار الشعر المعقد الغريب فهم الذين يرون في الشعر فنا ساميا لا يجوز أن يقترب من الأوساط الشعبية، لقد كان معظم الشعراء المجددين يحرصون على أن تكون لغة شعرهم هي لغة الحياة اليومية نفسها، أو قريبة منها، ولم يكونوا مضطرين لاصطناع لغة شعرية تغاير اللغة الشائعة في مجتمعهم، ولم يكونوا مضطرين إلى التأنق في ألفاظهم والتروي فيها مثلما يفعل زهير والحطيئة وغيرهما في الجاهلية ممن أطلق عليهم اسم عبيد الشعر. لذلك كانت تنثال عليهم الأشعار في سهولة وبساطة تعبر عن أفكارهم مباشرة بلا تعقيد، وتؤدي هذه الأشعار بلغة سهلة موحية قريبة من لغة الحياة اليومية، وسرعان ما تذيع هذه الأشعار ويقبل عليها الناس في سهولة ويسر.

ولعل أوضح ما يمثل هذه المشادة بين المحافظة والتجديد ما رواه صاحب الأغاني من أن مسلما اجتمع وأبا العتاهية في مجلس، فجرى بينهما كلام، فقال مسلم: والله لو كنت أرضى أن أقول مثل قولك:

الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك

لبيك إن الملك لك

لقلت في اليوم عشرة آلاف بيت، ولكني أقول:

موف على مهج في يوم ذي رهج كأنه أجل يسعى إلى أمل

ينال بالرفق ما يعيا الرجال به كالموت مستعجلا يأتي على مهل

فقال له أبو العتاهية: قل مثل قولي « الحمد والنعمة لك »، أقل مثل قولك «كأنه أجل يسعى إلى أمل» [1].

والناظر في الشعر العباسي المتضمن في تاريخ الطبري يجد طابع السهولة والشعبية قد غلبا عليه، فأغلبه مقطوعات شعرية، والمقطوعة مظهر من مظاهر التجديد، فطبيعة التطور الحضاري تتطلب ذلك، فكلما تعددت أسباب الحضارة وطرائق الحياة يتسرب الملل إلى نفوس الناس من الأعمال الأدبية الطويلة، ولم يعد لديهم من الوقت أن يستمعوا إلى قصائد طويلة، وكانوا في معظم الأحيان يقتصرون قصائدهم على موضوع واحد، والموضوع الواحد لا يسمح بكثرة الأبيات، كما أن تأثير الغناء يقتضي هذا الميل إلى المقطوعات[2].

وإن كانت نسبة كبيرة من الشعر تميزت بطابع السهولة، فهذا لا يعني أن جميع الشعر كان سهلا أثرت عليه الحضارة، فبعض الألفاظ في بعض القصائد تحتاج في فهمها إلى الرجوع إلى معاجم اللغة لصعوبتها، وبعض القصائد جاءت طويلة، ولكنها قليلة، وقد يتكئ الشاعر على المعاني القديمة لكنه في الوقت نفسه وفي القصيدة نفسها يميل إلى التجديد، فيستخدم ألفاظا سهلة موحية مجددة، أي أن الشعراء راوحوا في لغتهم وأساليبهم بين القديم والجديد.

2) مقدمات القصائد

وإذا ما بدأنا بالمقدمات الطللية وجدنا أنها انقسمت إلى قسمين: قسم اتكأ على القديم في الوقوف على الأطلال وآثار الديار وبكائها والدعاء لها بالسقيا. وقسم آخر ثار على القديم ودعا إلى التجديد، ونعى كل من يقف على هذه الأطلال البائسة، وقد يستعيض

(1) الأغاني، طبعة دار الشعب، ج4، ص1242.

(2) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هدارة، ص148ـ149.

عنها بمقدمة خمرية أو غير ذلك، إضافة إلى هذين القسمين فقد جاءت بعض القصائد دون مقدمات.

فمن النوع الأول قول الأحوص أو جعفر بن الزبير بن العوام[1]:

لمن طل بذات الجيش أمسى دارسا خلقا

علون بظاهر البيداء فالمحزون قد قلقا

وقول الضحاك بن معن السلمي للهاوي[2]:

يا منزلي شجو الفؤاد تكلما فلقد أرى بكما الرباب وكلثما

ما منزلان على التقادم والبلى أبكى لما تحت الجوانح منكما

ردا السلام على كبير شامة طلّان قد درسا فهاج فسلما

ولمعبد المغني النواقيس[3]:

سلا دار ليلى هل تجيب فتنطق وأنّى ترد القول بيداء سملق

وأنّى ترد القول دار كأنها لطول بلاها والتقادم مهرق

وكقول يحيى بن خالد في مدحه للموفق[4]:

أبن لي جوابا أيها المنزل القفر فلا زال منهلًّا بساحاتك القطر

أبن لي عن الجيران أين تحملوا وهل عادت الدنيا، وهل رجع السفر!

وكيف تجيب الدار بعد دروسها ولم يبق من أعلام ساكنها سطر

وكقول إبراهيم بن عبد الله بن حسن لرقية ابنة محمد[5]:

خليلي من قيس دعا اللوم واقعدا يسركما ألا أنام وترقدا

(1) تاريخ الطبري، ج 8، ص82، سنة 158 هـ.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص225، سنة 170 هـ.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص184، سنة 169هـ، وغير ذلك.

(4) المصدر نفسه، ج9، ص665، سنة 270 هـ.

(5) المصدر نفسه، ج7، ص543، سنة 144هـ.

أبيت كأني مسعر من تذكري رقية جمرا من غضا متوقدا

فهذه المقدمة مستمدة من الشعر الجاهلي، فعلى عادة الشعراء القدامى تخيل أو خاطب خليليه، وطلب منهما عدم لومه، لأن النوم لم يجد إلى عينيه سبيلا، بسبب ما يقاسيه من حبه لرقية، وصور حالة القلق الذي يعاني منها بصورة إنسان ينام على جمر الغضا المتميز بحرارته وقوة نيرانه.

ومن النوع الثاني قول إبراهيم بن عبد الله بن حسن أو غالب الهمداني أو الهمذاني[1]:

ما ذكرك الدمنة القفار وأهل الدار إما نأوك أو قربوا

إلا سقاها وقد تفرعك الشيب بلون كأنه العطب

وكقول الحجاج بن يوسف التيمي[2]:

نقض الذي أعطيته نقفور وعليه دائرة البوار تدور

وكقول أبي العتاهية[3]:

إمام الهدى أصبحت بالدين معنيا وأصبحت تسقي كل مستمطر ريا

وغير ذلك كثير.

أما بالنسبة للقصائد التي لا تحوي مقدمات طللية أو غزلية أو خمرية أو نسيب أو طيف، فهي كثيرة جدا، وتشكل نسبة كبيرة جدا مقابل القصائد التي تحوي مقدمات طللية، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن أصل هذه القصائد لا يوجد فيه مقدمات طللية أو غيرها، ويؤيد هذا التعليل أن البيت الأول من هذه القصائد أو المقطوعات مصرع. أو أن الطبري المؤرخ لا يهتم بهذه المقدمات وأهملها، لأنها لا تهمه وإنما الذي يهمه هو الغرض من هذا الشعر سواء قيل في المدح، أو الهجاء أو الرثاء أو الوصف أو غير ذلك.

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص545، سنة 144 هـ.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص308، سنة 187 هـ.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص309، سنة 187 هـ.

أما اللغة ففي القسم الأول من المقدمات اتكأ فيها الشعراء على القديم، وهذا واضح من شعر الأحوص والضحاك وغيرها.

وفي القسم الثاني نوع من التجديد، ففيها -عدا الثورة على القديم- الألفاظ الحضارية السهلة، رغم وجود نوع من الصعوبة في قصيدة أبي تمام وهذه من سمات شعره بشكل عام، واستمدت المقدمات سهولتها من قصرها، فهي لا تتعدى بيتين أو ثلاثة أبيات.

إن معظم الشعر الذي أورده الطبري يميل إلى السهولة والبعد عن حوشي الألفاظ وعويصها وغريبها، فالحروف المتنافرة معدومة، والألفاظ قريبة الفهم، سهلة التناول، خفيفة على السمع، إلا ما كان من بعض القصائد القليلة كقصيدة أبي تمام[1]:

بذ الجلاد البذ فهو دفين ... ما عن به إلا الوحوش قطين

لم يقر هذا السيف هذا الصبر في ... هيجاء إلا عز هذا الدين

قد كان عذره سودد فافتضها ... بالسيف فحل المشرق الإفشين

فأعادها تعوي الثعالب وسطها ... ولقد ترى بالأمس وهي عرين

هطلت عليها من جماجم أهلها[2] ... ديم أمارتها طلى وشؤون

كانت من المهجات قبل مفازةٍ[3] ... عسرا، فأضحت وهي منه معين[4]

فبالرغم من أن هذه القصيدة خالية من الألفاظ الآبدة والحوشية، إلا أن الألفاظ جاءت رصينة وقوية، فبدأ القصيدة بالتشديد مثل كلمتي بذ، والبذ، وأورد ألفاظا مثل السيف، هيجاء، افتضها، فحل المشرق، تعوي الثعالب وسطها، وهطلت عليها من جماجم أهلها، وغير ذلك. وكلها ألفاظ تدل على القوة والشدة.

(1) تاريخ الطبري، ج9، ص55، سنة 219هـ، الديوان 316: 3

(2) ديوانه: «جادت عليها».

(3) ديوانه: «كانت من الدم قبل ذاك».

(4) ديوانه: «غورا فامست».

وكقول الشاعر من خراسان[1]:

رمى أهل العراق ومن عليها ... إمام العدل والملك الرشيد
بأحزم من مشى رأيا وحزما ... وكيدا نافذا فيما يكيد
بداهية نآدٍ خنفقيق ... يشيب لهول صولتها الوليد

فعلى الرغم من سهولة الألفاظ ووضوحها في البيتين الأول والثاني، إلا اننا نجد بعض الألاظ الصعبة مثل: الناد والحنفقيق، وهما من أسماء الدواهي.

وأورد الطبري بعض القصائد التي تتميز لغتها بالقوة والجزالة بالرغم من الوضوح والسهولة، كقول الشاعر[2]:

لقينا الليث مفترسا لديه ... وكنا ما ينهنهنا اللقاء
نخوض الموت والغمرات قدما ... إذا ما كر ليس به خفاء
فضعض ركبنا لما التقينا ... وراح الموت وانكشف الغطاء
وأردى كبشنا والرأس منا ... كأن بكفه كان الفضاء

وكقول الشاعر يرثي عبد الرحمن الأبناوي بعد ما قتله طاهر وجيشه[3]:

إلا إنما تبكي العيون لفارس ... نفى العار عنه بالمناصل والقنا
تجلى غبار الموت عن صحن وجهة ... وقد أحرز العليا من المجد واقتنى
فتى لا يبالي إن دنا من مروءة ... أصاب مصون النفس أو ضيع الغنى
يقيم لأطراف الزوابل سوقها ... ولا يرهب الموت المتاح إذا دنا

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص387، سنة 194هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص395، سنة 195هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص417، سنة 195هـ.

3) الاتجاه إلى الشعبية

ومن الظواهر اللغوية الواضحة أو الشائعة في شعر القرنين الثاني والثالث في تاريخ الطبري الاتجاه إلى الشعبية والقرب من لغة الحياة اليومية في أكثر الأحيان. وإذا كان هذا الاتجاه يكاد يكون عاما في لغة الشعر في هذه الفترة، فإنه في تاريخ الطبري كان عاما وشاملا. وقد بدأت ظاهرة الاتجاه إلى الشعبية قبل بداية العصر العباسي، فقد ذهب نجيب البهبيثي إلى وضع الوليد بن يزيد في مكان القيادة من الشعبية الشعرية[1]. ورأى في مكان آخر أن مطيع بن إياس قائد الشعبية[2]. والشعبية عنده لا تقف عند قرب الألفاظ من لغة الحياة اليومية وسهولتها، وإنما تتعدى إلى الموضوع والقول فيما يعبر عن إحساس الجماهير ورغائبها ومتطلباتها. وقد ساعد شيوع الغناء على انتشار أسلوب السهولة أيضا، (ومن أجل ذلك كله كان من الطبيعي أن تسهل لغة هذه الأغاني وأساليبها،...)[3].

ومن الأساليب التي أدت إلى الشعبية -إضافة لشيوع الغناء- أن الشعراء لم يقدموا منه شيئا للطبقات الأرستقراطية، فقد تحول كثير منهم إلى شعوبهم، وأخذوا يؤثرونهم بما ينظمونه، محاولين أن يصوروا لها كل ما احتدم في نفوسهم من مشاعر وطنية وقومية ودينية ووجدانية.

فالشعراء لا يهتمون بالرؤساء أو لا يكون الرؤساء محور اهتمامهم بل قد ينصرفون عنهم، ليقبلوا على شعوبهم فيسجلوا آمالهم وأحاسيسهم عن طريق مباشر أو غير مباشر: وهم -الشعراء- لا يهتمون بالأغراض التي يودها الأمراء. بل يميلون إلى الأغراض

(1) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، د. نجيب محمد البهبيتي، طبعة الخانجي، 1970م، ص295، 323.

(2) المرجع نفسه، ص317.

(3) التطور والتجديد في الشعر الأموي، د. شوقي ضيف، ط6ـ دار المعارف بمصر، ص263.

الشعبية التي تميل إليها الجماهير. وإذا مدح الشعراء الخلفاء والأمراء. فإنهم يرسمون للخلفاء والوزراء والولاة المثل الأعلى للحاكم كما يتراءى في أذهان الشعب.

إذن فقد تطور الشعر العربي، وأخذ يظهر فيه ضرب من الشعر الشعبي، وهو الشعر الذي هجر فيه أصحابه إلى حد ما الأساليب القديمة، كما هجروا الألفاظ الغريبة وبنوه بناء سهلا، يتلاءم مع حياة الناس الجديدة المتحفزة، لكي يقتربوا من حياة الناس ولغتهم اليومية.

ولقد تميزت لغة الشعر في تاريخ الطبري بالسهولة، واقترب من لغة الحياة اليومية، واتضح هذا لي بعد دراسة الشعر دراسة متعمقة وافية، وقد اقترب الشعر من السهولة والشعبية بشكل كبير فاق الشعر العباسي الموجود في الدواوين والمجموعات الشعرية، وهذا عائد إلى المؤرخ الذي انتخب هذا الشعر ووضعه في تاريخه.

وإذا كان أسلوب الطبري قد تميز بالسهولة والدقة والوضوح فلا بد لهذا الأسلوب من أن ينعكس على مختاراته، والطبري عندما يضع شعرا في تاريخه لا بد أن يقرأ هذا الشعر ويمحصه وينقده، فيأخذ منه ما يوافقه وينحي ما لا يوافقه، يأخذ من الشعر ما يوافق أسلوبه السهل ولا يأخذ الشعر الذي يتميز بالصعوبة، أي أن أسلوب الطبري انعكس على اختياره للشعر فاختار الشعر السهل الواضح المعبر الذي يخدم هدفه كمؤرخ.

ومن الأشعار التي اقتربت لغتها من لغة الناس ولغة الحياة اليومية قول بشار يمدح عمر بن العلاء[1]:

فقل للخليفة إن جئته نصيحا ولا خير في المتهم
إذا أيقظتك حروب العدا فنبه لها عمرا ثم نم

فهي لغة سهلة رشيقة، واضحة المعاني قريبة من لغة الحياة اليومية.

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص510، سنة 141هـ.

وتظهر الشعبية والسهولة بشكل واضح في مدح أبي نخيلة للمهدي بقوله[1]:

دونـــك عبـــد الله أهـــل ذاكـــا خلافـــة الله التـــي أعطاكـــا
أصـــفاك أصـــفاك بهـــا أصـــفاكا فقـــد نظرنـــا زمنـــا أباكـــا
ثـــم نظرنـــاك لهـــا إياكـــا ونحـــن فـــيهم والهـــوى هواكـــا
نعـــم، فســـتذري إلـــى ذراكـــا أســـند إلـــى محمـــد عصـــاكا
فابنـــك مـــا اســـترعيته كفاكـــا فـــأحفظ النـــاس لهـــا أدناكـــا
فقـــد جفلـــت الرجـــل والأرواكـــا وحكـــت حتـــى لـــم أجـــد محاكـــا
ودرت في هـــــذا وذا وذاكـــــا وكـــل قـــول قلـــت في ســـواكا
زور وقـــــد كفـــــر هـــــذا ذاكـــــا

فالناظر في هذه الأرجوزة المصرعة في جميع أبياتها –وهي ناحية تجديدية فالتصريع في البيت الأول عادة– يجد الألفاظ السهلة الواضحة، القريبة من حياة الناس اليومية. فألفاظ مثل دونك، أصفاك، أباك، هواك، عصاكا، كفاكا،... إلخ كلها سهلة من لغة الناس الشعبية.

ونجد السهولة والشعبية أيضا في مدح المؤمل بن أميل للمهدي[2]:

هـــو المهـــدي إلا أن فيـــه مشـــابه صـــورة القمـــر المنيـــر
تشـــابه ذا وذا فهمـــا إذا مـــا انـــارا مشـــكلان علـــى البصـــير
فهـــذا في الظـــلام ســـراج ليـــل وهـــذا في النهـــار ســـراج نـــور
ولكـــنْ فضـــل الـــرحمن هـــذا علـــى ذا بالمنـــابر والســـرير
وبالملـــك العزيـــز فـــذا أميـــر ومـــا ذا بـــالأمير ولا الـــوزير
ونقـــص الشـــهر يخمـــد ذا، وهـــذا منيـــر عنـــد نقصـــان الشـــهور

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص22، سنة 147هـ، الأغاني، 152: 18
(2) المصدر نفسه، ج8، ص74، سنة 158هـ.

فالشاعر يعقد مقابلة سهلة لطيفة بين المهدي والقمر، يستخدم فيها ألفاظه الواضحة السهلة، فالمهدي يشبه القمر، وإذا كان القمر يضيء في الليل، فالمهدي سراج النهار بنوره وعدله. ثم يستخدم الشاعر ألفاظا مثل الملك، العزيز، الأمير، الوزير، نقص، زيادة، منير، شهور، وهي ألفاظ من قاموس حياة الناس اليومية.

ونجد الشعبية عند أبي دلامة في مخاطبته للمهدي بقولة[1]:

أدعوك بالرحم التي جمعت لنا ... في القرب بين قريبنا والأبعد
إلا سمعت وأنت أكرم من مشى ... من منشد يرجو جزاء المنشد
حل الصيام فصمته متعبدا ... أرجو ثواب الصائم المتعبد
وسجدت حتى جبهتي مشجوجة ... مما أكلف من نطاح المسجد

فالألفاظ سهلة واضحة يفهمها جميع الناس لأنها من معجم الحياة اليومية:

ويخاطب العلاء بن الحداد الأعمى الخليفة بقوله[2]:

أيها أمين الله في خلقه ... ووراث الكعبة والمنبر
ماذا ترى في رجل كافر ... يُشبّه الكعبة بالبيدر
ويجعل الناس إذا ما سعوا ... حمرا تدوس البر والدوسر

وهذه الأبيات بالرغم من رائحة التأثر بالقديم، وخاصة في البيت الثالث، فإنها تحوي ألفاظا سهلة مفهومة لجميع الناس.

ومن مظاهر الميل إلى لغة الحياة اليومية قول الشاعر يمدح موسى بن عيسى بهذه الأبيات[3]:

قد هاجت الشام هيجا ... يشيب رأس وليده
فصب موسى عليها ... بخيله وجنوده
فدانت الشام لما ... أتى نسيج وحيده

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص183، سنة 169هـ، الأغاني 10/ 254.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص190، سنة 169هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص252، سنة 176هـ.

هـــو الجـــواد الـــذي بـــذ كـــل جـــود بجـــوده
أعـــداه جـــود أبيـــه يحيـــى وجـــود جـــدوده
فجـــاء موســـى بـــن يحيـــى بطـــارق وتليـــده

ونال موسى ذرى المجد وهو حشو مهوده

خصصـــته بمـــديحي منثـــورة وقصـــيده
مـــن البرامـــك عـــود لـــه فـــأكرم بعـــوده
حـــووا علـــى الشـــعر طـــرا خفيفـــة ومديـــدة

فهذا الشعر قريب جدا من لغة الناس في حياتهم اليومية، وتكد تقع على الكثير من معانيه وأنماطه في مشاهدها المتكررة. واقتربت الألفاظ كثيرا من النثرية.

وتظهر الشعبية والسهولة المفرطة في مدح الحسين الخليع للخليفة بقوله[1]:

أمـين الله ثـق بـالله تعـط الصـبر والنصـرة

كـــل الأمـــر إلـــى الله كـــلاك الله ذو القـــدرة

لنـا النصـر بعـون الله والكـرة لا الفـرة

ســـقينا وســـقيناهم ولكـــن بهـــم الحـــرة
كـــذاك الحـــرب أحيانـــا علينـــا ولنـــا مـــرة

ومن مظاهر الشعبية في الشعر وجود كلمة سيد وعبد، يقول عمرو الوراق في مدح طاهر بن الحسين[2]:

يـــا طـــاهر الظهـــر الـــذي مثالـــه لـــم يوجـــد

يـــا ســـيد بـــن الســـيد بـــن الســـيد
رجعـت إلـى أعمالهـا الأولـى غـزاة محمـد
مـــن بـــين نطـــاف وســـواط وبـــين مقـــرد

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص455، سنة 197، مروج الذهب للمسعودي 3/ 413.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص474، سنة 198هـ.

ومجـــرد يـــأوي إلـــى عيـــارة ومجـــرد
ومقيـد نقـب السـجون فعـاد غيـر مقيـد
ومسـود بالنهـب سـاد وكـان غيـر مسـود
ذلـــوا لعـــزك واســـتكا نـــوا بعـــد طـــول تمـــرد

فالشاعر كرر لفظة «سيد» أربع مرات، كما ذكر النطاف والسواط والقراد والمجرد، والقيار والمقيد وغير ذلك، وكلها من الألفاظ الشعبية.

وكقول عبد الله بن طاهر للمأمون[1]:

أنـــا للمـــأمون عبـــد منـــه في ظـــل جنـــاح
زعمـــت جهـــلا بـــاني تعـــب غيـــر مـــراح

وتظهر الشعبية والنزعة نحو النثرية، كذلك عند البطين الشاعر الحمصي في مخاطبته لعبد الله بن طاهر[2]:

مرحبـا مرحبـا واهـلا وسـهلا بـابن ذي الجود طاهر بـن الحسين
مرحبـا مرحبـا وأهـلا وسـهلا بـابن ذي الغـرتين في الـدعوتين
مرحبـا مرحبـا بمـن كفـه البحـر إذا فـاض مزبـد الرجـوين

فالألفاظ مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا المكررة من الألفاظ الشعبية في الشعر.

ومن مظاهر الشعبية لفظا أخي، ومولاي، والتكرار في قول المأمون وهو يكتب لعبد الله بن طاهر بقولة[3]:

أخـــي أنـــت ومـــولاي ومـــن اجتـــرَّ نعمـــاه
فمـــا أحبـــت مـــن أمـــر فـــإني الـــدهر أهـــواه
ومـــا تكـــره مـــن شـــيء فـــإني لســـت أرضـــاه

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص617، سنة 211هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص612، سنة 210هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص615، سنة 210هـ.

لـــــــــك الله علـــــــــى ذاك لـــــــــك الله لـــــــــك الله

وتظهر الشعبية والسهولة أيضا في قول أحدهم من أرجوزة لطيفة يخاطب فيها المأمون[1]:

مـــأمون يـــا ذا المـــنن الشـــريفة وصـــاحب المرتبـــة المنيفـــة
وقائـــد الكتيبـــة الكثيفـــة هـــل لـــك في أرجـــوزة ظريفـــة
أظـــرف مـــن فقـــه أبـــي حنيفـــة لا والـــذي أنـــت لـــه خليفـــة
مـــا ظلمـــت في أرضـــنا ضـــعيفة أميرنـــا مؤنتـــه خفيفـــة
ومـــا اجتبـــى شـــيئا ســـوى الوظيفـــة فالـــذئب والنعجـــة في ســـقيفة
واللـــــص والتـــــاجر في قطيفـــــة

لقد اتضحت معالم الشعبية في الشعر العباسي في المدح، فهل كانت الشعبية والسهولة سمة بقية الأغراض مثل الرثاء والهجاء والوصف. والأغراض الأخرى.

فمن مظاهر الشعبية في الرثاء قول الشاعر يذكر قتلى قديد[2]:

مـــــا للزمـــــان ومالیـــــه أفنـــــت قديـــــد رجاليـــــه
فلأبكـــــين ســـــريرة ولأبكـــــين علانيـــــة
ولأبكـين إذا شـجيت مـع الكـلاب العاويـة

فهو يكرر كلمة البكاء، وسوف يبكي مع الكلاب، وهذه ألفاظ من ألفاظ الحياة اليومية، وكقول الشاعر يرثي قتلاه يوم الثنية[3]:

رحـــــم الله شـــــبابًا قـــــاتلوا يـــــوم الثنيـــــة
قـــاتلوا عنـــه: بنيّـــات وأحســـاب نقيـــة

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص655، سنة 218هـ.
(2) المصدر نفسه، ج7، ص397، سنة 130هـ.
(3) المصدر نفسه، ج7، ص559، سنة 145هـ.

فـــر عنـــه النـــاس طـــراً غيـــر خيـــل أســـدية

وزاد الناس:

قتـــل الـــرحمن عيســـى قاتـــل الـــنفس الزكيـــة

وكقول أبي العتاهية في ذكر خبر موت المهدي[1]:

رحن في الوشي وأصبحن عليهن المسوح

كـــل نطـــاح مـــن الـــدهر لـــه يـــوم نطـــوح

لســـت بالبـــاقي ولـــو عمـــرت مـــا عمـــر نـــوح

فعلـــى نفســـك نـــح إن كنـــت لا بـــد تنـــوح

فالشاعر يصف حالة النساء بألفاظ سهلة، فبالرغم من الاتكاء على القديم في البيت الثاني، إلا أنه جدد في شعره، وذلك بالاقتباس من القرآن الكريم.

ومن مظاهر الشعبية والقرب من لغة الحياة اليومية، قول أبي نواس يرثي الرشيد[2]:

جـرت جـوار بالسـعد والـنحس فـــنحن في مـــأتم وفي عـــرس

القلـب يبكـي والسـن ضـاحكة فـــنحن في وحشـــة وفي أنـــس

يضـحكنا القـائم الأمـين ويبكينـا وفـاة الإمـام بـالأمس

بدران: بدر أضحى ببغداد بالخلد، وبدر بطوس في رمس

فمع سهولة الألفاظ، وتعبيرها بشكل دقيق عن حالات النفس الإنسانية، إلا أننا نجد فيها تجديدا، وهو مزج الرثاء للخليفة الميت بتهنئة الخليفة الجديد.

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص170، سنة 169هـ.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص364، سنة 193هـ. وانظر ج8، ص224، سنة 170هـ وج 9، ص120، سنة 227، وج 9، ص119، سنة 227.

ومن مظاهر الشعبية في الهجاء قول الشاعر إبراهيم بن هرمة في هجاء مروان بن الحكم آخر الخلفاء الأمويين[1]:

فلا عفا الله عن مروان مظلمة لكن عفا الله عمن قال آمينَ

فبالرغم من النزعة الفلسفية في البيت إلا أن الألفاظ سهلة، فلفظة آمين من ألفاظ الحياة اليومية.

وهجا بعضهم عبد الواحد بن سليمان بقوله[2]:

ترك الحلائل والإمارة هاربا ومضى يخبط كالبعير الشارد

فبالرغم من الاتكاء في الصورة على القديم، إلا أن الألفاظ مألوفة وسهلة.

وقال بعض الشعراء في ذكر خبر خلع عسى بن موسى وبيعة موسى الهادي[3]:

كره الموت أبو موسى وقد كان في الموت نجاء وكرم
خلع الملك وأضحى ملبسا ثوب لوم ما ترى منه القدم

فالألفاظ سهلة تعبر عن السخاء والكرم من جهة واللوم من جهة أخرى.

وهجا بشار الخليفة بألفاظ سهلة شعبية من لغة الحياة اليومية فقال[4]:

خليفة يزني بعمّاته يلعب بالدبوق والصولجان
أبدلنا الله به غيره ودس موسى في حِرِّ الخيزران

ولما تولى بشر بن الوليد القضاء، هجاه أحدهم بقوله[5]:

يا أيها الملك الموحد ربه قاضيك بشر بن الوليد حمار

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص437، سنة 132هـ.

(2) المصدر نفسه، ج7، ص376، سنة 129هـ.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص128، سنة 160هـ.

(4) المصدر نفسه، ج8، ص181، سنة 169هـ، والدبوق: لعبة من لعب الصبيان، والخيزران: جارية من جواري المهدي، وهي أم ولديه موسى وهارون.

(5) المصدر نفسه، ج8، ص597، سنة 208هـ.

فهي ألفاظ شعبية من لغة الحياة اليومية.

وهجا الجمار بعض القضاة بالعور، قال[1]:

رأيت من الكبائر قاضيين ... هما أحدوثة في الخافقين

هما فأل الزمان بهلك يحيى ... إذ افتتح القضاء بأعورين

وهجا أحدهم أبا عمرة -أحمد بن سعيد مولى بني هاشم- بعدم الأمانة بلغة شعبية، فقال[2]:

يا ضيعة الإسلام لما ولى ... مظالم الناس أبو عمرة

صُيِّر مأمونا على أمة ... وليس مأمونا على بعرة

وفي هجاء بغداد قال أحدهم[3]:

وبغداد ما بغداد، أما ترابها ... فخرء، وأما حرها فشديد

فالألفاظ من صميم اللغة الشعبية. وفي الوصف اقتربت اللغة من اللغة الشعبية، فكانت تتسم بالسهولة، حتى إن بعض القصائد تتميز بسهولتها المفرطة. وأهم موضوعات الوصف، ما ذكره الشعراء في وصف بغداد وما حل بها من دمار وخراب، يقول الشاعر[4]:

لا تقرب المنجنيق والحجرا ... فقد رأيت القتيل إذ قبرا

باكر كي لا يفوته خبر ... راح قتيلا وخلف الخبرا

يا صاحب المنجنيق ما فعلت ... كفاك، لم تبقيا ولم تذرا

وكقول عبد الملك العتري الوراق[5]:

يا رماة المنجنيق ... كلكم غير شفيق

---

(1) تاريخ الطبري، ج9، ص189، سنة 237هـ.

(2) المصدر نفسه، ج9، ص239، سنة 247هـ.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص239، سنة 174هـ.

(4) المصدر نفسه، ج8، ص445، سنة 197هـ. والمنجنيق: بفتح الميم وكسرها: آلة ترمى بها الحجارة (معربة) والعرادة: أصغر منه.

(5) المصدر نفسه، ج8، ص446، سنة 197هـ.

مـــا تبـــالون صـــديقا كـــان أو غيـــر صـــديق
ويلكـــم تـــدرون مـــا تـــر مـــون مـــرار الطريـــق

ويصف عمرو بن عبد الملك وقعة يوم الأحد بلغة سهلة فيقول[1]:

وقعـــت يـــوم الأحـــد صـــارت حـــديث الأبـــد
كـــم جســـد أبصـــرته ملقـــى وكـــم مـــن جســـد
ونـــاظر كانـــت لـــه منيـــة بالرصـــد
أتـــاه ســـهم عـــائر فشـــك جـــوف الكبـــد
وصـــائح يـــا والـــدي وصـــائح يـــا ولـــدي

وتظهر الشعبية أيضا في قصيدة عبد الملك العتري الوراق، الشاعر الشعبي الذي انقطع للشعب، وصور ما حل ببغداد من الخراب والدمار فقال [2] في وقعة السبت:

وقعـة السـبت يـوم درب الحجـارة قطعـت قطعـة مـن النظـارة
ذاك مـن بعـد مـا تفـانوا ولكـن أهلكـتهم غوغاؤنـا بالحجـارة
فتلقـاه كـل لـص مريـب عمـر السـجن دهـره بالشـطارة
مـا عليـه شـيء يواريـه منـه أيـره قـائم كمثـل المنـارة

ومن مظاهر الشعبية في شعر العتري ذكره كلمات مثل لأيش وبطين وبفيش وخبش، وعيش يقول [3]:

كـــم قتيـــل قـــد رأينـــا مـــا ســـألناه لأيـــش
دارعـــا يلقـــاه عريـــان بجهـــل وبطـــيش
إن تلقـــاه يـــرمح يتلقـــاه بفـــيش
حبشـــيا يقتـــل النـــاس علـــى قطعـــة خـــيش

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص461، سنة 197هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص463، سنة 197هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص469، سنة 197هـ.

مرتـــــــد بالشـــــــمس راضٍ بـــــالمنى مـــــن كـــــل عـــــيش

ويصف العتري بغداد بألفاظ سهلة أيضا، فيقول[1]:

ذهبـــــت بهجـــــة بغـــــداد وكانـــــــــت ذات بهجـــــــــة

فلهـــــــا في كـــــــل يـــــــوم رجـــــة مـــــن بعـــــد رجـــــة

ضـجت الأرض إلـى الله مـن المنكـر ضـجة

أيهـا المقتـول مـا أنـت علـى ديـن المحجـة

أإلـــى الفـــردوس وجهـــت أم النـــار توجـــه

لقد اتضح لنا من خلال الشعر أنّ لغة الشعر في الموضوعات الرئيسية من مدح ورثاء وهجاء ووصف كانت سهلة واقتربت من الشعبية، وهناك بعض الأغراض الأخرى التي وردت في تاريخ الطبري بشكل قليل جدا مثل الفخر والغزل والخمر، وقد وردت أيضا بلغة سهلة.

4) استعمال الأمثال

ومما يتصل بشعبية اللّغة ما عند بعض الشعراء من ميل إلى استعمال الأمثال في شعرهم، والأمثال ميدانها، في الغالب، الحياة العامة، كقول أبي جعفر المنصور مخاطبا أبا مسلم الخراساني[2]:

سُـقيتَ كأسـًا كنـتَ تسـقي بهـا أمـــرّ في الحلـــقِ مـــنَ العلقـــمِ

وهو يشير بذلك إلى المثل: أمرُّ منَ العلقمِ [3]:

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص470، سنة 197هـ.

(2) المصدر نفسه، ج7، ص491، سنة 137هـ.

(3) مجمع الأمثال للميداني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مط السنة المحمدية، 1955م، ج2، ص327.

وكقول أبي نواس يذكر الأمثال «تمنّعي أشهى لك»[1] و«اكسرى عوداً على أنفك» و«عفا الله عما سلف» و«بئس والله ما جرى فرس»[2]:

فقدْتِ طولَ اعتلالِكْ ... وما أرى في مطالِكْ
لقد أردتِ جفائي ... وقدْ أردتُ وصالكْ
ماذا أردت بهذا! ... تمنّعي أشهى لكْ

وكقوله[3]:

قدْ صحّتِ الأيمانُ منْ حلْفِكِ ... وصحتُ حتى متُّ منْ خلفِكِ
باللّهِ يا ستي احنثي مرّةً ... ثم اكسري عوداً على أنفكِ

وكقوله[4]:

فديتكَ ما ذا الصّلفْ ... وشتمكِ أهلَ الشّرَفْ
صلى عاشقًا مدنفًا ... قدْ أعتب ممّا اقترفْ
ولا تذكري ما مضى ... عفا اللّه عمّا سلفْ

وكقوله[5]:

وباعثاتٍ إليّ في الغلسِ ... أنِ ائتنا واحترس من العسسِ
حتى إذا نامَ العداة ولمْ ... أخشَ رقيبًا ولا سناقبسِ
ركبتُ مُهْري وقدْ طربتُ إلى ... حُورٍ حِسانٍ نواعِمٍ لُعسِ
فجئتُ والصبح قدْ نهضت لهُ ... فبئسَ واللّهِ ما جرى فرسي

(1) مجمع الأمثال، ج1، ص126.
(2) تاريخ الطبري، ج8، ص519، سنة 198هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص519، سنة 198هـ.
(4) المصدر نفسه، ج8، ص519، سنة 198هـ.
(5) المصدر نفسه، ج8، ص520، سنة 198هـ.

وقال الشاعر من أهل بغداد لما رأى تشاغل محمد بلهوه وتخليه عن تدبير علي والفضل بن الربيع[1]:

فشـــنّع فعلاهمـــا منهمـــا وصـــارا خلافـــًا كبـــولِ البعيـــرْ

وهـــذانِ لـــولا انقـــلابُ الزّمـــانِ أفي العيـــرِ هـــذانِ أمْ في النّفيـــرْ

فهو يشير في البيت الأول إلى المثل القائل «صارا خلافا كبول البعير[2]» وفي البيت الثاني يشير إلى المثل القائل: «لا في العير ولا في النفير»[3].

وقال الأصمعي لما توفي أبو جعفر المنصور[4]:

« قد طرقتْ ببكرها أمُّ طبقْ»..

وهذا جزء من بيت شعر وهو عبارة عن مثل.

وقيل: إنّ المهدي لمّا احتضر قال[5]:

أهـــمُّ بـــأمرِ الحـــزمِ لـــو أســـتطيعهُ وقـــدْ حيـــلَ بـــين العيـــرِ والنّـــزوانِ

فقد ضمن بيته المثل: «قدْ حيلَ بين العيرِ والنزوانِ».

وقال رجل توثب أيام أبي جعفر المنصور[6]:

فهو قد ضمن المثل: «منَ العناءِ رياضةُ الهرمِ».

---

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص396، سنة 195هـ.

(2) الوسيط في الأمثال للواحدي، تحقيق د. عفيف عبد الرحمن، ط دار الأندلس، 1986م، ص193، رقم 169.

(3) تاريخ الطبري، ج8، ص115، سنة 158هـ.

(4) المصدر نفسه، ج8، ص115، سنة 158هـ.

(5) المصدر نفسه، ج9، ص469، سنة 256هـ.

(6) المصدر نفسه، ج8، ص97، سنة 158هـ.

وكقول الحسين بن الضحاك[1] في مدح الإفشين:

قُتـــلَ الأكثـــرُ مـــنهمْ ونجـــا مـن نجـا لحمـًا علـى ظهـرِ وضـمْ

وهو يشير إلى المثل القائل: « إنّ النساءِ لحمٌ على وضم»[2].

5) الألفاظ الدخيلة

ومن الظواهر الأخرى في الشعر العباسي، استعمال الشعراء لبعض الألفاظ الدخيلة، وقد وردت في الشعر العباسي كثيرا، ولكنها جاءت في الشعر المثبت في تاريخ الطبري قليلة. وهناك عدة أسباب عزا إليها الباحثون وجود مثل هذه الألفاظ في الشعر، منها رأي الدكتور شوقي ضيف[3]:

الذي يعزو ذلك إلى كثرة الشعراء من الأجانب، فكان فيهم النبطي والسندي، أما الغالبية فكانوا من الفرس، أما المستشرق الألماني يوهان فك فعزا ورود هذه الألفاظ إلى «الانتقال من حياة من حياة البداوة إلى حضارة المدن، وتغلغل غير العرب في مناطق الأدب، وذلك الطابع الحوشي للعربية القديمة بثروتها الفياضة في الألفاظ والقوالب تراجع في ذلك العهد أمام أسلوب منمق مهذب، وهذه اللغة السهلة المنسكبة الواضحة سرعان ما احتذيت واستعملت في الأدب من قبل المثقفين جميعا في العالم الإسلامي دون تميز بين أصل وجنس»[4].

(1) تاريخ الطبري، ج9، ص70، سنة 223هـ.

(2) مجمع الأمثال للميداني، ج1، ص19.

(3) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، ص123-124.

(4) العربية، ص58-59.

أما الدكتور أحمد كمال زكي فإنه يرى أن المسألة عملية مقصودة من أجل إرساء دعائم المجتمع الشعوبي الجديد، فهو يرجع ذلك إلى الشعوبية[1]. وإنني أرى ما رآه الأستاذ الدكتور يوسف بكار في أنه كان للعامل الحضاري دخل كبير في المسالة، فالأديب في كل عصر تواق إلى استعمال ألفاظ وكلمات من عصره وحياته أصيلة كانت أم دخيلة، وقد يستخدم احدنا بعض الالفاظ المعربة والدخيلة ويطعم كلامه بها[2]. وقد أشار الجاحظ إلى ذلك فقال: إن البدو عندما كانوا يفدون إلى المدن، كانوا يتكلمون بلغة أهلها[3].

ولقد استعمل الشعراء من أصل عربي بعض الكلمات الدخيلة في شعرهم، لذا، فأنني أستبعد أن يكون للشعوبية يد في هذه المسألة.

ومن الألفاظ الدخيلة التي وردت في الشعر العباسي في تاريخ الطبري، ماسبذان في قول بكار بن رباح في ذكر خبر موت المهدي[4]:

إلا رحمة الرحمن في كل ساعة على رمة رمت بماسبذانِ

وبقردى وبازبدى في قول الشاعر[5]:

بقردى وبازبدى مصيف ومربع وعذب يحاكي السلسبيل برود

وكابل وزابلستان في قول أبي العذافر يذكر عيسى بن موسى[6]:

لم يدع كابلا ولا زابلستان فما حولها إلى الرخجين

وهذه الأسماء الأعجمية هي أسماء مواضع تتفق مع تسجيل الأحداث التاريخية.

---

(1) الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، د. أحمد كمال زكي، دار المعارف بمصر، 1971م، ص486.

(2) اتجاهات الغزل في القرن الثاني، د. يوسف بكار، ص367.

(3) البيان والتبيين، 1: 146.

(4) تاريخ الطبري، ج8، ص171، سنة 169هـ.

(5) المصدر نفسه، ج8، ص239، سنة 173هـ.

(6) المصدر نفسه، ج8، ص273، سنة 185هـ.

وكلمة الصفصاف في قول مروان بن أبي حفصة يذكر الرشيد[1]:

لقد ترك الصفاف هارون صفصفًا كان لم يدمنه من الناس حاضر
أشاخ على الصفصاف حتى استباحة فكابره فيها ألج مكابر

وكألفاظ برني، شهريز، يا زمان، بلج، توز، شناس، إفشين، ديباج، أبريز، في قول الشاعر[2]:

يا أهل بغداد موتوا دام غيظكم شوقًا إلى تمر برني وشهريز
نحن الذين ضربناكم مجاهرة قسراً وسقناكم سوق المعاجيز
لم تشكروا الله نعماه التي سلفت ولم تحوطوا أياديه بتعزيز
فاستنصروا العبد من أبناء دولتكم من يا زمان ومن بلج ومن توز
ومن شناس وإفشين ومن فرج المعلمين بديباج وإبريز

وكلفظ النيروز وأردشير في قول البحتري الطائي[3]:

إن يوم النيروز عاد إلى العهد الذي كان سنة أردشير

6) الفلسفة والتدليل المنطقي

وقد أثرت الفلسفة اليونانية في الشعر العباسي، فإننا نجد الجدل والتدليل المنطقي من أظهر خواص الشعر العباسي، فالشاعر يسد على خصمه المسالك فما يدع له حجة إلا دحضها وفندها، كما ازدحمت دواوين الشعراء بالاصطلاحات والآراء الفلسفية والعلمية، واصطلاحات علم الكلام والمنطق.

ومن الأمثلة على ذلك قول ابن هرمة لأبي جعفر المنصور، عندما ظهر محمد بن عبد الله بن حسن[4]:

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص247 ـ 248، سنة 193هـ.
(2) المصدر نفسه، ج9، ص10 ـ 11، سنة 220هـ.
(3) المصدر نفسه، ج9، ص218، سنة 245هـ، ديوان البحتري 2: 52
(4) المصدر نفسه، ج7، ص562، سنة 145هـ.

وما الناس احتبوك بها ولكن حباك بذلك الملك الجليل
تراث محمد لكم وكنتم أصول الحق إذ نفي الأصول

فالله -وليس الناس- هو الذي اختار الخليفة، وتراث محمد للخليفة وأهله، فهم أصول الحق فهم أحق بالخلافة من جميع الناس.

وفي المعنى نفسه يقول أبو نخيلة في مدحه للمهدي[1]:

بل يا أمين الواحد المؤيد إن الذي ولاك رب المسجد

وكقول عبد الملك بن صالح مخاطبا هارون الرشيد[2]:

الله قلد هارونا سياستنا لما اصطفاه فأحيا الدين والسننا
وقلد الأرض هارونا لرأفته بنا أمينا ومأمونا ومؤتمنا

وكقول إبراهيم الموصلي[3] عند عقد الرشيد البيعة لأبنائه:

خير الأمور مغبة وأحق أمر بالتمام
أمر قضى إحكامه الرحمان في البيت الحرام

وكقول مروان بن أبي حفصة[4]:

ملك الخليفة جعفر للدين والدنيا سلامة
لكم تراث محمد وبعدلكم تنفى الظلامة
يرجو التراث بنو البنات ومالهم فيها قلامة
والصهر ليس بوارث والبنت لا ترث الإمامة

فهو يؤكد على أحقية العباسيين في الحكم وليس لأبناء علي بن أبي طالب، فالصهر لا يورث، والبنت لا ترث، وإنما الذي يرث هو العم.

(1) المصدر نفسه، ج8، ص22، سنة 147هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص276، سنة 186هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص286، سنة 186هـ.
(4) المصدر نفسه، ج9، ص231، سنة 247هـ.

وكقوله أيضاً[1]:

كانت خلافة جعفر كنبوة جاءت بلا طلب ولا بتنحل
وهب الإله له الخلافة مثل ما وهب النبوة للنبي المرسل

وقوله:

تخير رب الناس للناس جعفراً فملكه أمر العباد تخيراً

فهو يؤكد على أن الله هو الذي اختار الخليفة للخلافة.

وكقول البحتري في مدح المعتز[2]:

وكيف ادعى حق الخلافة غاصب حوى دونه إرث النبي أقاربه

وكقول مروان بن أبي حفصة [3] للرشيد:

أمور بميراث النبي ولينها فأنت لها بالحزم طاو وناشر
إليكم تناهت فاستقرت وإنما إلى أهله صارت بهن المصاير

فالرشيد وأهله هم أهل الخلافة، وهم أحق الناس بها من غيرهم.

نستنتج مما سبق أن لغة الشعر في العصر العباسي قد تطورت تطورا بينا ظهر في مادة الشعر اللغوي وطرق تعبيرها بإدخال ألفاظ وأمثال أجنبية، وألفاظ وأمثال تتردد بين الناس، وتراكيب جاءت إليها من الثقافات التي كانت شائعة في ذلك العصر، وظهر أثر ذلك أيضا في هجر الألفاظ وتعابير من لغة الحياة اليومية، فمالت لغة الشعر في بعض الفترات وعند بعض الشعراء إلى الناحية الشعبية، كما اقتربت أحيانا من النثر إمعانا في السهولة والوضوح والبعد عن التراكيب اللغوية المعقدة، وهكذا تطورت لغة الشعر، وكان هذا التطور ضروريا ليتسق مع تطور العصر.

(1) تاريخ الطبري، ج9، ص232، سنة 247هـ.
(2) المصدر نفسه، ج9، ص352، سنة 252هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص348، سنة 193هـ.

- الأسلوب

الأسلوب شأنه شأن اللغة، تردد فيه الشعراء العباسيون بين الأساليب القديمة والجديدة. فقد سار عدد من الشعراء على الأساليب القديمة ولم يخرجوا عنها، ومالوا إلى الصياغة القديمة في النسيج العام لأساليبهم. وعدد آخر من الشعراء أخذوا يتخلصون من القديم ونسيجه، وجاءوا بمادة خفيفة قوامها الألفاظ السهلة والصياغة الرشيقة العذبة. ومن هنا نشأ الأسلوب المولد الجديد، وهو أسلوب ليس فيه ركاكة وابتذال إلى حد كبير، يمتاز بالبساطة مستفيدا من الثقافة المعاصرة وتقدم الحضارة. وبذل هؤلاء جهدا كبيرا في صياغة معانيهم وأخيلتهم وصياغاتهم وصورهم كي يتحقق لهم التفوق والبراعة.

وعلى الرغم من محاولة بعض الشعراء العباسيين التمسك بالصياغة القديمة في نسيج أساليبهم لموضوعات الشعر، فقد تخففت أساليبهم كثيرا من جفاء الأسلوب اليدوي، واكتسبت أساليبهم نوعا من السهولة والعذوبة في اختيار الألفاظ، وفي اختيار التراكيب في صياغة المعاني، وقد ينفذون إلى أساليب سلسلة رشيقة، فيها عذوبة، وفيها نقاء، يدعمها ذوق متحضر، يعرف كيف يسلم لغته من تراكيب القدماء الوعرة ويرتفع بها عن اللغة السوقية المبتذلة.

أما بالنسبة للبديع فقد كان في العصر الأموي طبيعيا غير متكلف، ولم يكن البديع مذهبا شعريا يقصد إليه لذاته حتى كان العصر العباسي ومال الناس إلى التجديد وسبقهم الشعراء، فهذا يجدد في المعنى، وهذا يجدد في الأسلوب.

وكان بشار يكثر من ضروب البديع في شعره، ولما جاء مسلم بن الوليد جعل هذا البديع مذهبا شعريا، وربما ضحى بالمعاني ليكسو الأسلوب محسنات لفظية. ولقد كان معظم الشعراء في العصر العباسي يزينون شعرهم بالمحسنات اللفظية، ولكن بنسب متفاوتة،

فجدد ابن هرمة وبشار بمقدار، وأسرف مسلم وأبو تمام كل الإسراف[1]. وقد عزا أحد الباحثين المحدثين غلبة البديع إلى الفرس الذين امتزجوا بالعنصر العربي في هذا العصر امتزاجا، وقد اشتهر الفرس بالميل إلى الغلو في التعبير والتهويل[2].

ومن ضروب البديع الجناس التام والناقص، والطباق، ورد العجز على الصدر، والمشاكلة، والتورية، والترادف والتقسيم، والمبالغة، والأسلوب القصصي والحوار، والاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف، وإيراد بعض الألفاظ الإسلامية.

1) الجناس

فإذا ما بدأنا بالجناس نجد أنه كان أكثر أنواع البديع شيوعا في الشعر العباسي في تاريخ الطبري، وجاء عند الشعراء بضربيه المعروفين التام والناقص.

أ- الجناس التام:

ومن أمثلة الجناس التام قول الشاعر[3]:

فلا عفا الله عن مروان ملمة لكن عفا الله عمن قال آمين

ومنه قول شريك[4]:

صلى وصام لدنيا كان يأملها فقد أصاب ولا صلى ولا صاما

ومنه قول الشاعر[5]:

أعداه جود أبيه يحيى وجود جدوده

(1) البديع، لعبد الله بن المعتز، تحقيق: كراتشكوفسكي، دمشق، مطبعة دار الحكمة، ص1.

(2) المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي في العصر الأول، د. عزيز فهمي، تحقيق: محمد قنديل البقلي، دار المعارف، ص354.

(3) تاريخ الطبري، ج7، ص437، سنة 132هـ.

(4) المصدر نفسه، ج8، ص120، سنة 159هـ.

(5) المصدر نفسه، ج8، ص252، سنة 176هـ.

ومنه قول العماني للرشيد[1]:

قيل للإمام المقتدى بأمه ... ما قاسم دون مدى ابن أمه

ومنه قول عمرو بن عبد الملك العتري الوراق[2]:

عريان ليس بذي قميص ... يغدو على طلب القميص

ومنه قول الحسين بن الضحاك يمدح الإفشين[3]:

قُتل الأكثر منهم ونجا ... من نجا لحما على ظهر وضم

ب- الجناس الناقص:

أما الجناس الناقص فكان أكثر استعمالا من التام، ومن أمثلته قول الشاعر[4]:

إذا ما الباب قعقعه سعيد ... هدجنا نحوه هدج الرئال

ومنه قول الشاعر[5]:

قتل الرحمن عيسى ... قاتل النفس الزكية

ومنه قول الشاعر[6]:

يا رب لا تجعلني كمن خان ... وباع باقي عيشه بخفقان

ومنه قول علي بن الخليل[7]:

يعقوب ينظر في الأمور ... وأنت تنظر ناحية

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص362، سنة 193هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص465، سنة 197هـ.
(3) المصدر نفسه، ج9، ص71، سنة 223هـ.
(4) المصدر نفسه، ج7، ص558، سنة 145هـ.
(5) المصدر نفسه، ج7، ص560، سنة 145هـ.
(6) المصدر نفسه، ج7، ص587، سنة 147هـ.
(7) المصدر نفسه، ج8، ص119، سنة 159هـ.

ومنه قول أبي العتاهية في ذكر خبر موت المهدي[1]:

كـــل نطـــاح مـــن الـــدهر لـــــه يـــــوم نطـــــوح

لست بالباقي ولو عمرت ما عمر نوح

فعلى نفسك نح إن كنت لابد تنوح

ومنه قول بكار بن رباح في ذكر خبر موت المهدي[2]:

إلا رحمة الرحمن في كل ساعة على رمة رمت بما سبذان

وقل أبي دلامة[3]:

أدعوك بالرحمن التي جمعت لنا في القرب بين قريبنا والأبعد

إلا سمعت وأنت أكرم من مشى من منشد يرجو جزاء المنشد

حل الصيام فصمته متعبدا أرجو ثواب الصائم المتعبد

ومنه قول مروان بن أبي حفصة[4]:

وما زال قدح الملك يخرج فائزا لكم كلما ضمت قداح المساهم

ومنه قول الشاعر[5]:

قد هاجت الشام هيجا يشـــــيب رأس وليـــــده

هـــو الجـــواد الـــذي بـــذ كـــل جـــود بجـــوده

ومنه قول مروان بن أبي حفصة[6]:

ما الفضل إلا شهاب لا أقول له عند الحروب إذا ما تأفل الشهب

---

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص170، سنة 169هـ، الأغاني 4/ 103.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص171، سنة 169هـ.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص183، سنة 169هـ.

(4) المصدر نفسه، ج8، ص243، سنة 176هـ.

(5) المصدر نفسه، ج8، ص252، سنة 176هـ.

(6) المصدر نفسه، ج8، ص257، سنة 178هـ.

وقوله[1]:

إن أميـــر المـــؤمنين المصـــطفى قـد تـرك الصفصـاف قاعـا صفصـفا

ومنه قول أبي نواس[2]:

الآن اســـترحنا واســـترحت ركابنـــا وأمسك من يجدي ومـن كـان يجتـدي

ومنه قول الحجاج بن يوسف التيمي[3]:

لـــيس الإمـــام وإن غفلنـــا غـــافلا عمـــا يســـوس بحزمـــه ويـــدير
لا نصـــح ينفـــع مـــن يغـــش إمامـــه والنصـــح مـــن نصـــائحه مشـــكور

ومنه قول أبي العتاهية[4]:

لك اسمان شقا من رشاد ومن هدى فأنـت الـذي تـدعى رشـيدا ومهـديا

ومنه قول مروان بن أبي حفصة[5]:

لقـد تـرك الصفصـاف هـارون صفصـفا كـأن لـم يدمـه مـن النـاس حاضـر
أناخ على الصفصاف حتى استباحه فكـــابره فيهـــا ألـــج مكـــابر

ومنه قول الشاعر[6]:

فصـــبرا ففـــي الصـــبر خيـــر كثيـــر وإن كـان قـد ضـاق صـدر الصـبور

ومنه قول أبي الأسد الشيباني[7]:

نهضـت بمـا أعيـا الرجـال بحملـه وأنـــت بســـعد حاضـــر وســـعيد

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص268، سنة 181 هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص300، سنة 187هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص308، سنة 187هـ.
(4) المصدر نفسه، ج8، ص309، سنة 187هـ.
(5) المصدر نفسه، ج8، ص347، سنة 193هـ.
(6) المصدر نفسه، ج8، ص396، سنة 195هـ.
(7) المصدر نفسه، ج8، ص423، سنة 196هـ.

ومنه قول العتري[1]:

أســتودع الله قومــا مــا ذكــرتهم إلا تحــدر مــاء العــين مــن عينــي
كــانوا ففــرقهم دهــر وصــدعهم والــدهر يصــدع مــا بــين الفــريقين

ومنه قول الحسين الخليع[2]:

ســــــــقينا وســــــــقيناهم ولكــــــن بهــــــم الحــــــرة

ومنه قول عمرو بن عبد الملك العتري الوراق[3]:

حرصــا علــى طلــب القتــال أشــد مــن حــرص الحــريص

ومنه قول جراية حميد بن عبد الحميد[4]:

مــن كــان أصــبح يــوم الفطــر مغتبطــا فمــا غبطنــا بــه والله محمــود
أو كــان منتظــرا في الفطــر ســيده فــإن ســيدنا في التــرب ملحــود

ومنه قول الشاعر[5]:

مــا إن تحولــت مــن إيــاد صــرت عــذابا علــى العبــاد
أنــت كمــا قلــت مــن إيــاد فــارفق بهــذا الخلــق يــا إيــادي

ومنه قول رجل من سليم[6]:

أميــر المــؤمنين ســما إلينــا ســمو الليــث ثــار مــن الغريــف

ومنه قول علي بن الجهم[7]:

الرخجيــون لا يوفــون مــا وعــدوا والرخجيــات لا يخلفــن ميعــادا

---

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص447، سنة 197هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص456، سنة 197هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص465، سنة 197هـ.
(4) المصدر نفسه، ج8، ص609، سنة 210هـ.
(5) المصدر نفسه، ج9، ص139، سنة 231هـ.
(6) المصدر نفسه، ج 9ص134، سنة 231هـ.
(7) المصدر نفسه، ج9، ص161، سنة 233هـ.

2) الطباق

أما الطباق فنجد أنه كان من أكثر أنواع البديع شيوعا بعد الجناس في الشعر العباسي في تاريخ الطبري، وكان أكثره من النوع البسيط الذي يجمع بين الكلمة وضدها من مثل قول الشاعر[1]:

أكلف ذنب قوم لست منهم ... وما جنت الشمال على اليمين

ومن أمثلته عند أبي دلامة[2]:

أدعوك بالرحم التي جمعت لنا ... في القرب بين قريبنا والأبعد

إلا سمعت وأنت أكرم من مشى ... من منشد يرجو جزاء المنشد

وعند سلم الخاسر[3]:

فهو الخليفة عن أبيه وجده ... شهدا عليه بمنظر وبمخبر

وكقول أحدهم في مدح موسى بن عيسى[4]:

فجاد موسى بن يحيى ... بطارف وتليده

وخصصته بمديحي ... منشوره وقصيده

وحووا على الشعر طرا ... خفيفة ومديده

وعند منصور النمري[5]:

رماها أمير المؤمنين بجعفر ... وفيه تلاقى صدعها وانجبارها

وفي قول أبي العذافر[6]:

كاد عيسى يكون ذا القرنين ... بلغ المشرقين والمغربين

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص530، سنة 144هـ.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص183، سنة 169هـ.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص240، سنة 175هـ.

(4) المصدر نفسه، ج8، ص252، سنة 176هـ.

(5) المصدر نفسه، ج8، ص262، سنة 180هـ.

(6) المصدر نفسه، ج8، ص273، سنة 185هـ.

وفي قول أبي نواس[1]:

ملـــك لـــه كانـــت يـــد فياضـــة أبـــدا تجـــود بطـــارف وبمتلـــد

وعند الحجاج بن يوسف التيمي[2]:

إن الإمـــام علـــى اقتســـارك قـــادر قربـــت ديـــارك أم نـــأت بـــك دور

وعند أبي الأسد الشيباني[3]:

رددت بهـــا للرائـــدين أعـــزهم ومثلـــك والـــى طارفـــا بتليـــد

وفي قول أحدهم[4]:

مـــن ذاق طعـــم الرقـــاد مـــن فـــرح فـــإنني قـــد أضـــر بـــي ســـهري

وفي قول الخريمي[5]:

أصـــــبحت في أمـــــة أوائلهـــــا قـــد فارقـــت هـــديها أواخرهـــا

وفي قول أحدهم[6]:

تبـــدلنا همومـــا مـــن ســـرور ومـــن ســـعة تبـــدلنا بضـــيق

وفي قول عبد الله بن طاهر[7]:

زعمـــــت جهـــــلا بـــــأني تعـــــب غيـــــر مـــــراح

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص308، سنة 187هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص423، سنة 196هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص434، سنة 196هـ.
(4) المصدر نفسه، ج8، ص454، سنة 197هـ.
(5) المصدر نفسه، ج8، ص457، سنة 197هـ.
(6) المصدر نفسه، ج8، ص617، سنة 211هـ.
(7) المصدر نفسه، ج8، ص273، سنة 185هـ.

وفي قول عمارة بن عقيل[1]:

نهبت مالك في الأدنين آصرة ... وفي الأباعد حتى حفك العدم

وفي قول شارية جارية إبراهيم المهدي[2]:

فليقل فيك يا كياتك ما شئت ... صباحا ووقت كل مساء

وفي قول علي بن الجهم[3]:

العسليات التي فرقت ... بين ذوي الرشدة والغي

وفي قول ابن المعتز[4]:

لأمر المنايا علينا طريق ... وللدهر فيه اتساع وضيق

وفي قول الهندواني[5]:

يا أحزم الناس رأيا في تخلفه ... عن القتال خلطت الصفو بالكدر

3) رد العجز على الصدر

ومن أنماط البديع الأخرى ما يسمى برد العجز على الصدر، وجاء في قول الشاعر[6]:

كره الموت أبو موسى وقد ... كان في الموت نجاء وكرم

وجاء في قول الحجاج بن يوسف التيمي[7]:

لا نصح ينفع من يغش إمامه ... والنصح من نصائحه مشكور

---

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص664، سنة 218هـ.
(2) المصدر نفسه، ج9، ص152، سنة 232هـ.
(3) المصدر نفسه، ج9، ص175، سنة 235هـ.
(4) المصدر نفسه، ج9، ص316، سنة 251هـ.
(5) المصدر نفسه، ج8، ص326، سنة 251هـ.
(6) المصدر نفسه، ج8، ص128، سنة 160هـ.
(7) المصدر نفسه، ج8، ص308، سنة 187هـ.

فلم يكتفِ الحجاج برد لفظة في عجز البيت على صدره، إنما رد لفظة النصح نفسها مرتين.

وجاء في قول الشاعر[1]:

فصبرا ففي الصبر خير كثير وإن كان قد ضاق صدر الصبور

وجاء في قول إبراهيم بن العباس الصولي[2]:

وكنت أذم إليك الزمان فأصبحت منك أذم ألزمانا
وكنت أعدك للنائبات فها أنا أطلب منك الأمانا

4) المشاكلة

أما المشاكلة فجاءت بقول مروان بن أبي حفصة[3]:

على ثقة ألقت إليك أمورها قريش كما ألقى عصاه المسافر

5) التورية

وأما التورية فجاءت في قول نصر بن سيار عندما كتب إلى مروان مرَّة وإلى يزيد بن هبيرة مرة أخرى قال[4]:

أرى بين الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب مبدؤها الكلام

فهو يتحدث عن أبي مسلم الخراساني وجيشه مستخدما أسلوب التورية العميقة وله أيضا[5]:

أبلغ يزيد وخير القول أصدقه وقد تبينت ألا خير في الكذب

---

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص389، سنة 195هـ.
(2) المصدر نفسه، ج9، ص160، سنة 233هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص347، سنة 193هـ.
(4) المصدر نفسه، ج7، ص369، سنة 129هـ.
(5) المصدر نفسه، ج7، ص369، سنة 129هـ.

أن خراسان أرض قد رأيت بها ... بيضا لو أفرخ قد حدثت بالعجب
فراخ عامين إلا أنها كبرت ... لما يطرن وقد سربلن بالزغب
فإن يطرن ولم يحتل لهن بها ... يلهين نيران حرب أيما لهب

وهو يقصد أيضا جيش أبي مسلم الخراساني.

6) الترادف والتقسيم

ومن ألوان البديع الظاهرة الترادف والتقسيم، كقول عبد الملك بن صالح[1]:

ومقام ضيق فرجته ... ببناني ولساني وجدلْ

وجاء في قول الشاعر[2]:

أضاع الخلافة غش الوزير ... وفسق الأمير، وجهل المشير
ففضل وزير، وبكر مشير ... يريدان ما فيه حتف الأمير

وجاء الترادف والتقسيم بشكل كبير في قصيدة لابن المعتز يصور فيها ما حل ببغداد[3]:

قتال مبيد، وسيف عتيد ... وخوف شديد، وحصن وثيق
وطول صياح لداعي الصباح السلاح ... السلاح، فما يستفيق
فهذا قتيل وهذا جريح ... وهذا حريق وهذا غريق
وهذا قتيل وهذا تليل ... وآخر يشدخه المنجنيق
هناك اغتصاب وثم انتهاب ... ودور خراب، وكانت تروق

وجاء أيضا بقول شاعر من بغداد[4]:

غدروا به، مكروا به، خانوا به ... لزم الفراش، وحالف التضجيعا

---

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص304، سنة 187هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص389، سنة 195هـ.
(3) المصدر نفسه، ج9، ص316، سنة 251هـ.
(4) المصدر نفسه، ج9، ص350، سنة 252هـ.

7) المبالغة

ومن المبالغة قول الشاعر علي بن جبلة[1]:

إنمـــا الـــدنيا أبـــو دلـــف ... بـــين مغـــزاه ومحتضـــرة
فـــإذا ولـــى أبـــو دلـــف ... ولـــت الـــدنيا علـــى أثـــره

وله أيضا[2]:

لـــولا حميـــد لـــم يكـــن ... حســـب يعـــد ولا نســـب
يـــا واحـــد العـــرب الـــذي ... عـــزت بعزتـــه العـــرب

وبعد هذا المدح حاول الشاعر مدح الخليفة إلا أنه رفض، لأنه لا يستطيع مدحه بأكثر من هذا المدح[3].

8) الأسلوب القصصي والحوار

ومن ألوان البديع الأخرى الأسلوب القصصي والحوار، وقد جاء هذا في شعر عمرو بن عبد الملك في ذكر حصار بغداد[4]:

قلـت لمطعـون وفيـه روحـه لـم تبـد

مـــن أنـــت يـــا ويلـــك يـــا ... مســـكين مـــن محمـــد
فقـــال لا مـــن نســـب ... دان ولا مـــن بلـــد
لـــم أره قـــط ولـــم ... أجدلـــه مـــن صـــفد
وقـــال لا للغـــي قاتلـــتُ ... ولا للرشـــد
إلا لشـــيء عاجـــل ... يصـــير منـــه في يـــدي

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص659، سنة 218هـ.
(2) المصدر نفسه، ج8، ص655، سنة 218هـ.
(3) المصدر نفسه، ج8، ص659، سنة 218هـ.
(4) المصدر نفسه، ج8، ص462، سنة 197هـ.

9) الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف

ومن أبرز ظواهر الأسلوب في الشعر العباسي في تاريخ الطبري ميل أكثر الشعراء إلى الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف لفظا ومعنى.

أ- الاقتباس من القرآن الكريم:

والأمثلة عليه كثيرة، منها ما جاء في قول الشاعر[1]:

زار الحجيج عصابة قد خالفوا دين الإله ففر عبد الواحد

فهو قد نظر إلى قوله تعالى: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله»[2].

من التأثر بالقرآن قول أبي جعفر المنصور[3]:

زعمت أن الدين لا يقتضى فاستوف بالكيل أبا مجرم

فهو قد نظر إلى قوله تعالى: ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين﴾[5].

وممن تأثر بالقرآن ابن مصعب في قوله[6]:

والله لو شهد النبي محمد صلى الإله على النبي وسلما

فهو متأثر بقوله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾[7].

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص376، سنة 129هـ.

(2) الأنفال، 39.

(3) تاريخ الطبري، ج7، ص457، سنة 132هـ.

(4) الإسراء، 35.

(5) الشعراء، 181.

(6) تاريخ الطبري، ج7، ص602، سنة 145هـ.

(7) الأحزاب، 56.

و﴿يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾[1].

وممن تأثر بالقرآن الكريم أبو العتاهية في قوله[2]:

لست بالباقي ولو عمرت ما عمر نوح

فهو متأثر بقوله تعالى:

﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾[3]، وبقوله تعالى: ﴿كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾[4].

كذلك فإن أبا زار الأعمى متأثر بالآيتين السابقتين في قوله[5]:

فلا تبعد فكل فتى سيأتي عليه الموت يطرق أو يغادي

وقد تأثر سلم الخاسر بالقرآن الكريم في قوله[6]:

تخفى الملوك لموسى عند طلعته مثل النجوم لقرن الشمس إذ طلعا

وكذلك تأثر بالقرآن الكريم عبد الملك بن صالح في قوله[7]:

يا أيها الملك الذي لو كان نجما كان سعدا

وكذلك سيف بن إبراهيم[8]:

هوت أنجم الجدوى وشلت يد الندى وغاضت بحور الجود بعد البرامك

هوت أنجم كانت لأبناء برمك بها يعرف الحادي طريق المسالك

---

(1) الأحزاب، 56.

(2) تاريخ الطبري، ج8، ص170، سنة 169هـ.

(3) آل عمران، 185.

(4) الرحمن، 26.

(5) تاريخ الطبري، ج8، ص295، سنة 187هـ.

(6) المصدر نفسه، ج8، ص225، سنة 170هـ.

(7) المصدر نفسه، ج8، ص276، سنة 186هـ.

(8) المصدر نفسه، ج8، ص301، سنة 187هـ.

وفي قول علي بن جبلة[1]:

هل رأيت النجوم أغنت عن المأمون شيئا أو ملكه المأسوس

وجميع هذه الأبيات تأخذ قبسا من الآيات القرآنية الكثيرة التي تكرر هذا المعنى بصور منوعة، كقوله تعالى[2]: ﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى﴾. وقوله تعالى[3]: ﴿وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب﴾.

وقد تأثر مروان بن أبي حفصة بالقرآن الكريم في قوله[4]:

ما الفضل إلا شهاب لا أفول له عند الحروب إذا ما تأفل الشهب

فهو متأثر بقوله تعالى[5]: ﴿إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾.

وبقوله تعالى[6]: ﴿إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾.

وبقوله تعالى[7]: ﴿فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا﴾.

وكقول عبد الملك بن صالح[8]:

الله قلد هارونا سياستنا لما اصطفاه فأحيا الدين والسننا

فهو متأثر بقوله تعالى[9]: ﴿إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ وبقوله تعالى[10]: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير﴾.

---

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص655، سنة 218هـ.

(2) النجم، 1.

(3) الطارق، 3.

(4) تاريخ الطبري، ج8، ص257، سنة 178هـ.

(5) الحجر، 18.

(6) الصافات، 18.

(7) الجن، 3.

(8) تاريخ الطبري، ج8، ص276، سنة 186هـ.

(9) آل عمران، 42.

(10) الحج، 75.

وتأثر عبد الملك بن صالح بالقرآن الكريم في قوله[1]:

الله فـــــــــرد واحـــــــــد فاجعـــــل ولاة العهـــــد فـــــردا

فهو متأثر بقوله تعالى ﴿قل هو الله أحد﴾[2].

وتأثر بهذه الآية خزيمة بن الحسن بقوله[3]:

سـبحان ربـك رب العـزة الصـمد مـاذا أصـبنا بـه في صـبحه الأحـد

وتأثر أبو العتاهية بالقرآن الكريم في قوله[4]:

سـبحان مـن دانـت الملـوك لـه أشـــــهد أن لا إلـــــه إلا هـــــو

فهو متأثر بآيات منها قوله تعالى[5] ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾.

وبقوله تعالى[6]: ﴿وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة﴾.

وبقوله تعالى[7]: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة﴾.

وتأثر الحجاج بن يوسف التيمي بالقرآن الكريم بقوله[8]:

لـــيس الإمـــام وإن غفلنـــا غـــافلا عمـــا يســـوس بحزمـــة ويـــدير

فهو متأثر بقوله تعالى[9]: ﴿ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾. وبقوله تعالى[10]: ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾.

---

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص276، سنة 186هـ.

(2) الإخلاص، 1.

(3) تاريخ الطبري، ج 8، ص506، سنة 198 هـ.

(4) المصدر نفسه، ج8، ص302، سنة 187هـ.

(5) طه، 8.

(6) القصص، 70.

(7) الحشر، 22.

(8) تاريخ الطبري، ج8، ص308، سنة 187هـ.

(9) البقرة، 85.

(10) إبراهيم، 42.

وتأثر شاعر من الأبناء بالقرآن الكريم في قوله[1]:

أضحى زمان الملك في كفه مقاتلا للفئة الباغية

فهو متأثر بقوله تعالى[2]: ﴿فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي﴾.

وتأثر بقول غيره بقوله تعالى[3]: ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ بقوله[4]:

يا صاحب المنجنيق ما فعلت كفاك، لم تبقيا ولم تذرا

وتأثر الخريمي بالقرآن الكريم بقوله[5]:

جنة خلد ودار مغبطة قلَّ من النائيات واترها

فهو تأثر بكثير من الآيات منها قوله تعالى[6]: «أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون» وبقوله تعالى[7]: ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾.

وتأثر الخريمي بقوله تعالى[8]: ﴿وأرسل عليهم طيرا أبابيل﴾، بقوله[9]:

طيرا أبابيل أرسلت عبثا يقدم سودانها أحامرها

وتأثر أحدهم بالقرآن الكريم في قوله [10]يذكر بغداد:

أصابتها من الحساد عين فأفنت أهلها بالمنجنيق

---

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص443، سنة 196هـ.

(2) الحجرات، 9.

(3) المدثر، 28.

(4) تاريخ الطبري، ج 8، ص445، سنة 197 هـ.

(5) المصدر نفسه، ج 8، ص448، سنة 197 هـ.

(6) يونس، 26، وهود، 23.

(7) النساء، 13.

(8) الفيل، 3.

(9) تاريخ الطبري، ج 8، ص450، سنة 197 هـ.

(10) المصدر نفسه، ج 8، ص457، سنة 197 هـ.

فهو تأثر بقوله تعالى[1]: ﴿قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق * ومن شر غاسق إذا وقب * ومن شر النفاثات في العقد * ومن شر حاسد إذا حسد﴾.

وتأثر عبد الملك العتري بالقرآن الكريم في قوله[2]:

أإلى الفردوس وجهت أم النار توجه

تأثر بقوله تعالى[3]: ﴿كانت لهم جنات الفردوس نزلا﴾.

وتأثر أبو نواس بالقرآن الكريم في قوله[4]:

أسداً باسطا ذراعية يهوى أهرت الشدق كالح الأنياب

فهو متأثر بقوله تعالى[5]: ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾.

وتأثر أبو نواس بالقرآن الكريم في قوله[6]:

ما من يد في الناس واحدة إلا أبو العباس مولاها

وقد تأثر إبراهيم بن المهدي بالقرآن الكريم أيضا في قوله[7]:

الله يعلم ما أقول فإنها جهد الألية من حنيف راكع

فهو متأثر بقوله تعالى[8]: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا﴾.

وتأثر عبد الملك بن طاهر بالقرآن الكريم في قوله[9]:

أنا للمأمون عبد منه في ظل جناح

---

(1) الفلق، 13.

(2) تاريخ الطبري، ج 8، ص470، سنة 197 هـ.

(3) الكهف، 70.

(4) تاريخ الطبري، ج 8، ص509، سنة 198 هـ.

(5)الكهف، 18.

(6) تاريخ الطبري، ج 8، ص525، سنة 198 هـ.

(7) المصدر نفسه، ج 8، ص605، سنة 210 هـ.

(8) الروم، 30.

(9) تاريخ الطبري، ج 8، ص617، سنة 211 هـ.

فهو متأثر بقوله تعالى[1]: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾.

وتأثر الحسين بن الضحاك بالقرآن الكريم في قوله[2]:

لم يدع بالبذ من ساكنة غير أمثال كأمثال إرم

فهو متأثر بالآية الكريمة[3]: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد﴾.

وتأثر مروان بن أبي الجنوب بقوله تعالى[4]: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾، وبقوله تعالى[5] : ﴿وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب﴾. في قوله[6]:

وقيل لي الزيات لاقى حمامه فقلت أتاني الله بالفتح والنصر

وتأثر الشاعر باذنجانه بالقرآن الكريم في قوله[7]:

وجيوش أمامهن أبو أحمد نعم المولى ونعم النصير

فهو متأثر بقوله تعالى[8]: ﴿وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير﴾، وبقوله تعالى[9]: ﴿واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾.

وتأثر مروان بن أبي الجنوب بالآية الكريمة [10] ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء﴾.

---

(1) الإسراء، 24.

(2) تاريخ الطبري، ج 9، ص70، سنة 223 هـ.

(3) الفجر، 7.

(4) النصر، 1.

(5) الصف، 13.

(6) تاريخ الطبري، ج 9، ص231، سنة 247 هـ.

(7) المصدر نفسه، ج 9، ص291، سنة 251 هـ.

(8) الأنفال، 10.

(9) الحج، 78.

(10) آل عمران، 26.

في قوله[1]:

ومالــك الملــك مؤتيــه ونازعــه آتـاك ملكـًا ومنـه الملـك قـد نزعـا

وتأثر أحد الشعراء بالقرآن في قوله[2]:

قــل لقاضــي مدينــة المنصــور بــم أحللــت أخــذ رأس الأميــر

بعــد إعطائــه المواثيــق والعهــد وعقــد الأيمــان في منشــور

فهو متأثر بقوله تعالى[3]: ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾، وبقوله تعالى[4]: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾.

ب- الاقتباس من الحديث الشريف:

أما الاقتباس من الحديث الشريف والتأثر به، فكان أقل من القرآن الكريم بكثير، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في قول مروان بن أبي حفصة مخاطبا الخليفة بقولة[5]:

يــا راعــي الإســلام غيــر مفــرط في لــين مغتــبط وطيــب مشــام

فهو متأثر بقوله ﷺ[6]: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته».

(1) تاريخ الطبري، ج 9، ص351، سنة 253 هـ.

(2) المصدر نفسه، ج 10، ص93، سنة 289 هـ.

(3) البقرة، 177.

(4) المؤمنون، 8، والمعارج، 32

(5) تاريخ الطبري، ج 8، ص251، سنة 176 هـ.

(6) الترغيب والترهيب للإمام الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق مصطفى محمد عمارة، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 1406 هـ/ 1986 م، ج 3، ص65 ـ 66.

واقتبس الشاعر الحديث الشريف[1]، قال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر! قلنا بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين -وكان متكئا فجلس فقال- ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت».

في قوله[2]:

يـا قليـل الحيـاء يـا أكـذب الأمَّـةِ يـــــا شـــــاهداً شـــــهادة زورِ

وبالنسبة للاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف، فيصعب على الباحث أن يحدد ما إذا كان الشاعر قد اتكأ على القرآن في اقتباسه أو على الحديث، فكما نعرف فإن الحديث جاء مفسرا للقرآن الكريم، ومعظم الآيات القرآنية عززها الحديث بشرح وتفصيل، فمثلا: البيت الذي استشهدت به ويتحدث فيه صاحبه عن شهادة الزور، فقد وجدت عدداً من الآيات التي تتحدث عن شهادة الزور، كما وجدت عدداً من الأحاديث، ومن الآيات قوله تعالى في سورة الحج[3]: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾، وقوله تعالى في سورة الفرقان[4]: ﴿والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما» و«أعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا[5]﴾ وقوله تعالى[6]: ﴿وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا﴾.

ورأيي في هذه المسألة أن الشعراء نهلوا من منابع الثقافة الإسلامية، قرأوا القرآن الكريم، والحديث الشريف، وتأثروا بهما، فهم في شعرهم اقتبسوا من القرآن الكريم، والحديث

(1) تاريخ الطبري، ج 10، ص93، سنة 289 هـ.
(2) تفسير القرآن العظيم، لأبن كثير، دار الخير، بيروت، لبنان، ج3، ص218.
(3) الحج، 30.
(4) الفرقان، 72.
(5) الفرقان، 4.
(6) المجادلة، 2.

الشريف، فليس هذا متأثراً بالقرآن الكريم، وهذا متأثراً بالحديث الشريف، بل: إنهم متأثرون بالقرآن الكريم وبالحديث الشريف. لكن الذي يحسم المسألة النظر في أسلوب الشاعر؛ أهو متأثر بأسلوب القرآن الكريم أم بأسلوب الحديث الشريف؟

10) الألفاظ الإسلامية

وتنتشر في الشعر العباسي ألفاظ إسلامية كثيرة يرددها الشعراء بين الحين والآخر، من مثل: دين الإله، وعفا الله، وآمين، وآل الرسول، ورب المسجد، والله، والصلاة، والصوم، ورحمة الرحمن، وسجدت، والمسجد، والحمد لله، والبيت الحرام، والكعبة. والأمثلة على ذلك كثيرة، منها قول الشاعر[1]:

زار الحجيج عصابة قد خالفوا ... دين الإله ففر عبد الواحد

وقال غيره[2]:

فلا عفا الله عن مروان مظلمة ... لكن عفا الله عمن قال آمين

وكقول إبراهيم بن عبد الله[3]:

كيف اعتذاري إلى الإله ولم ... يشهرن فيك المأثورة القضب!
وأصبح آل الرسول أحمد في الناس ... كذي عرة به جرب

وكقول أبي نخيلة[4]:

بل يا أمين الواحد المؤبد ... إن الذي ولاك رب المسجد

وكقوله أيضاً[5]:

وحان تحويل الغوى المفسد ... قال لها الله هلمي وارشدي

(1) تاريخ الطبري، ج 7، ص397، سنة 130 هـ.
(2) المصدر نفسه، ج 7، ص437، سنة 132 هـ.
(3) المصدر نفسه، ج 7، ص545، سنة 144 هـ.
(4) المصدر نفسه، ج 8، ص22، سنة 147 هـ.
(5) المصدر نفسه، ج 8، ص23، سنة 147 هـ.

وكقول العلاء بن الحداد الأعمى[1]:

أيــا أمــين الله هــارون ذي النــدى فهــارون واليهــا ويحيــى وزيرهــا

وكقول إبراهيم الموصلي[2]:

بيمــين أمــين الله هــارون ذي النــدى فهــارون واليهــا ويحيــى وزيرهــا

وكقول داؤد بن رزين[3]:

إمــام بــذات الله أصــبح شــغله وأكثـر مـا يعنـى بـه الغـزو والحـج

وإن أمــين الله هــارون ذا النــدى ينيل الذي يرجوه أضعاف ما يرجو

وكقول أبي العتاهية[4]:

إن أمــــــين الله في خلقــــــه حــــن بــــه البــــر إلــــى مولــــده

وكقول شريك[5]:

صــلى وصــام لــدنيا كــان يأملهــا فقــد أصــاب ولا صــلى ولا صــاما

وكقول بكار بن رباح[6]:

إلا رحمــة الــرحمن في كــل ســاعة علــى رمــة رمــت بماســبذانِ

وكقول أبي دلامة[7]:

وسـجدت حتـى جبهتـي مشـجوجة ممـا أكلـف مـن نطـاح المسـجد

(1) تاريخ الطبري، ج 8، ص190، سنة 169 هـ.
(2) المصدر نفسه، ج 8، ص233، سنة 170 هـ.
(3) المصدر نفسه، ج 8، ص234، سنة 170 هـ.
(4) المصدر نفسه، ج 8، ص317، سنة 189 هـ.
(5) المصدر نفسه، ج 8، ص120، سنة 159 هـ.
(6) المصدر نفسه، ج 8، ص171، سنة 169 هـ.
(7) المصدر نفسه، ج 8، ص183، سنة 169 هـ.

وكقول أبان اللاحقي[1]:

عزمت أمير المؤمنين على الرشد برأي هدى، فالحمد لله ذي الحمد

وكقول إبراهيم الموصلي[2]:

أمر قضى إحكامه الرحمان في البيت الحرام

وكقول أبي المعالي الكلابي[3]:

فمن يطلب لقاءك أو يرده فبالحرمين أو أقصى الثغور

وبعد فإن أهم ملاحظة على ما سبق هو كثرة ورود الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف وورود كثير من الألفاظ الإسلامية، وهذا عائد إلى شخصية وثقافة المؤرخ الذي اختار هذا الشعر، فالطبري العالم الإسلامي الورع صاحب التفسير الكبير الجليل أثرت فيه ثقافته على اختياره للشعر، لذا جاء الشعر حاويا ألفاظ القرآن والحديث والألفاظ الإسلامية، فلو كان غير الطبري الذي اختار الشعر لضمن في شعره ما يوافقه ويوافق ثقافته وميوله.

(1) تاريخ الطبري، ج 8، ص241، سنة 175 هـ.

(2) المصدر نفسه، ج 8، ص286، سنة 186 هـ.

(3) المصدر نفسه، ج 8، ص321، سنة 190 هـ.

الخاتمة

تناول هذا البحث بالدراسة والتمحيص فيما تقدم من فصول الشعر العباسي في تاريخ الطبري في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وقد جاء البحث في مقدمة وأربعة فصول.

ففي المقدمة، تحدثت عن اختيار الموضوع وأهميته وأسباب ذلك ودواعيه، ثم نوّهت بعدد من المصادر والمراجع التي أفاد منها كثيرا.

وتناولت في الفصل الأول مواكبة الشعر للأحداث، وقسّمت الأحداث إلى عدة أقسام هي: بدايات الثورة رالعباسية، الصراع بين العباسيين والأُمويين، الصراع بين العباسيين والشيعة، الصراع بين العباسيين والخوارج، سياسة العباسيين، الزندقة، الفتن والثورات والحروب الداخلية، الصراع بين العباسيين والروم (الحروب الخارجية).

ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث أنّ عددا كبيرا من الشعراء اشتغلوا بهمومهم التكسبية، ووظائفهم، ولم يلتفتوا إلى ما قد يصيب الفرد أَو الجماعة من هموم ومآس نتيجة الثورات والفتن، ولقد عاصر هذه الأَحداث عدد كبير من كبار الشعراء، الذين اشتغلوا بمدح كبار الشخصيات، وقد أوشك شعراء –لا يعدون عند مؤرخي الأدب في عداد الشعراء– أَن يختصوا بهذه الأحداث مثل الخريميّ وعمرو الوراق العتري.

والنتيجة الثانية أَنّ الشعر العباسي في تاريخ الطبري جاء مواكبا لمعظم الأَحداث السياسية في ذلك العصر، لكن الطبري قد يسرد مجموعة من الأحداث لا يستشهد عليها بشعر أَو رُبَّما عاد هذا إلى عدة أسباب منها:

1- عدم استساغته لإيراد هذا الشعر أو ذاك، فقد يكون رخيصا أَو متنافيا مع أَخلاق الطبري وورعه، رغم أَنّه أورد شعرا من هذا القبيل في عدة مواضع من تاريخه.

2- عدم وجود شعر في الأصل لهذه الحادثة أو تلك.

3- وجود شعر لشعراء لايريد الطبري أن يستشهد بهم.

وإِذا كان قد بدا للدارس أنَّ الشعر قصَّر في تغطية بعض الأحداث فربما تكون تلك الأَحداث لم تثر اهتمام المؤرخ للاستدلال عليها بالشعر، أو رُبَّما أَنَّ هذه الأَحداث واضحة لا يلزمها الشعر لتأكيد صحتها، أو للأسباب التي أوردتها آنفا بالنسبة لعدم الاستشهاد بالشعر.

ولقد فات الطبري أَن يستشهد ببعض الأشعار على بعض الأحداث المهمة كالحرب التي دارت بين المنصور ومحمد بن عبدالله بن حسن الملقب (بالنّفس الزَّكيَّة) وأخيه إِبراهيم، وكفتح عمورية في عهد المعتصم، وكذكر بعض القادة مثل محمد بن حميد الطوسي الذي قتل أثناء حربه مع بابك الخُرَّميّ وغير ذلك. وهذه أَحداث جسام في مسيرة الدولة العباسية، وانعطافات بارزة، لم يكن أمام المؤرخ بدّ من أَن يستشهد عليها بالشعر.

وفي الفصل الثاني بدأت بالحديث عن علاقة الشعر بالتاريخ وأهميته في ذلك، وعن الرواية والرواة. ثم بحثت فيه مصادر الشعر العباسي في تاريخ الطبري، فوجدت أن هذه المصادر انقسمت إلى قسمين:

1. مصادر شفوية من الرواة، وهم كثر.

2. مصادر مكتوبة من مثل: كتب السير والمغازي والتاريخ، كتب التفسير، كتب الأنساب، دواوين الشعراء المفردة، دواوين الحماسة، كتب النحو، واللغة، والأدب، والتراجم، والطبقات.

ومن النتائج التي توصل إليها البحث: أَنّ الطبري كان لا يورد أسماء من ينقل عنهم -خوفا عليهم- ولا يورد أسماء الكتب التي ينقل منها، بل يورد أسماء أصحابها، فإِنْ كان لكل واحد من هؤلاء عدة كتب. فلا ندري من أيها نقل، وأحيانا فإِنّه يذكر عبارات من مثل: وَذُكِرَ لنا، فإِنّه لَمْ يورد اسم الرّاوي أَيضا، ومن الصعوبة بمكان أَنْ نحدّد تحديدا دقيقا المصادر التي اعتمد عليها الطبري في نقل الشعر العباسي ووضعه في تاريخه للأسباب السالفة، ولأَنَّ بعض الكتب التي نقل عنها الطبري، وغير الطبري، ضاعت -مع الأسف- ولم تصل إِلينا.

أما الفصل الثالث، فهو عبارة عن دراسة مقارنة في منهج الاستشهاد بالشعر عند الطبري في تاريخ الرُّسل والملوك، وعند المسعودي في مروج الذهب، وعند الكندي في ولاة مصر، وبحثت فيه المنهج، ومواكبة الشعر للأحداث والأغراض الشعرية من حيث مواطن الاتفاق ومواطن الاختلاف وتميز كل منهما عن الآخر، كما بحثت أثر شخصية كل منهم على اختياره للشعر.

وقد اهتم الطبري بشعر شعراء دون غيرهم، فقد اهتم بشعر الخريمي وعمرو الوراق العتري، ولم يهتم بشعر الشعراء المشهورين. أَمّا المسعودي فقد اهتم بشعر الشعراء المشهورين وغير المشهورين. واهتم الكندي بشعر سعيد بن عفير أكثر من غيره من الشعراء، كما استشهد بشعر الشاعر الكبير حبيب بن أوس الطائي لأَنَّه كان

في زيارة لمصر، وقال شعرا واكب الأحداث التي كتب عنها، فاستشهد بِهِ، ولم يستشهد بشعر لشعراء غيره من الشعر المشهورين، وذلك لبعد مصر عن مركز الخلافة بغداد التي استقطبت فحول الشعر العربي في تلك الفترة إِليها.

ومن النتائج التي توصل إليها البحث: أَنّ المؤرخين الثلاثة كانوا يستشهدون على الحادثة ببيت شعري واحد، أَو بيتين أَو ثلاثة، أو أربعة، أو خمسة، أو بقصيدة، أو بقصيدتين أو بعدة قصائد. وقد يكرّرون الشعر في أكثر من موطن، وقد يستشهدون بمجموعة من الأبيات على حادثة، ثم يضيفون إليها أبياتا أخرى في موطن آخر. وقد استشهد المؤرخون بالشعر أكثر من الرَّجز، كما أَنّ الشعر الذي استشهد به المؤرخون الثلاثة موجود في كثير من المصادر. وقد استشهد الطبري والمسعودي بشعر غير ورع، كما أَن الطبري اهتم بالشعراء غير المشهورين في حين اهتم المسعودي والكندي بالشعراء المشهورين وغير المشهورين.

وانقسم الشعر الذي استشهد به المؤرخون الثلاثة إلى قسمين:

1. قسم استشهد به المؤرخون للتدليل على الحادثة وصدق وقوعها. فقد يستشهد المؤرخ ببيت من الشعر أو بيتين أو ثلاثة.
2. قسم آخر استشهد به المؤرخون لتوضيح الموقف. وهذا الشعر قد يكون مجموعة من الأبيات أو قصيدة أَو عدّة قصائد.

وكان المؤرخون الثلاثة يذكرون أسماء الشعراء في معظم المواطن، إلا أَنَّهم في مواطن قليلة أَغفلوا ذكر اسم الشاعر، وكانوا أَحيانا أخرى ينسبون النّص الشعري إلى شاعرين، وقد ينسب الطبري الشعر لشاعر، في حين ينسب السعودي الشعر نفسه لشاعر آخر، وقد جاء الشعر في التواريخ الثلاثة متناسبا مع حجم كل تاريخ، فكان

الطبري أولا، ثم المسعودي، فالكندي. وقد واكب الشعر الأحداث السياسية المختلفة، والأغراض الشعرية، وقد بحثت مواكبة الشعر للأحداث والأغراض الشعرية بشكل منفصل عند الكندي، لأَنَّهُ أَرَّخَ لولاة مصر فكان تاريخهُ جزءا من تاريخ الطبري وتاريخ المسعودي. كما قمت بدراسة مقارنة لمواكبة الشعر للأحداث والأغراض الشعرية عند الطبري والمسعودي. من حيث مواطن الاتفاق، ومواطن الاختلاف، وتميز كل منهما عن الآخر في المنهج ومواكبة الشعر للأحداث والأغراض الشعرية.

ومن أهم النتائج التي توصل إِليها البحث أَيضا أَنّ الطبري والمسعودي اتفقا في كثير من المواطن في الاستشهاد بالشعر على مختلف الأحداث السياسية. والأغراض الشعرية، وقد يستشهدون بنصوص شعرية مختلفة للشعراء أنفسهم أو لشعراء مختلفين على الحادثة نفسها. وقد يستشهد الطبري على حادثة بنص شعرى أو أكثر، في حين لم يَرُقْ للمسعودي الاستشهاد على هذه الحادثة بشعر، كما أَنّ الطبري فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يستشهد على حادثة بشعر، فإِنَّ المسعودي قد يستشهد عليها بشعر، وقد يسير المسعودي أحيانا على نهج الطبري، فعندما لم يستشهد الطبري على فتح المعتصم لعمورَّية بشعر، لم يستشهد المسعودي على هذه الحادثة بشعر أيضا. فالمسعودي تلميذ من تلاميذ الطبري، وتاريخ الطبري من أهم المصادر التي اعتمد عليها المسعودي، فلا غرابة أَنْ ينقل عن أُستاذه وأن يحذو حذوه.

وقد يتميز أحدهما عن الآخر في الاستشهاد بنص شعري، فنقول لقد جاء هذا النص واصفا للحادثة أَو موضحا لها بشكل أفضل، لكن المؤرخ له الخيار في الاستشهاد بالشعر. فلا فرق بين قصيدة وأخرى، كما أَنَّ المؤرخ لا يهتم بالنواحي الفنية لهذا الشعر. فالاستشهاد بالشعر لشعراء مختلفين لا يؤثر عند المؤرخ ما دام هذا

الشعر قيل في هذه المناسبة أو تلك. ولا ينبئ عن تحيُّز من المؤرخ لشاعر دون آخر. وربّما كان المسعودي متحيزا -بعض الشيء- في استشهاده بشعر لشعراء شيعة عند الاستشهاد بالشعر على الحوادث التي تخصهم، وفي اختياره لبعض الأبيات من القصيدة نفسها التي استشهد منها الطبري كما سبق وأَنْ وضَّحتُ في ثنايا البحث.

ومن أهم الملاحظات على منهج المسعودي أَنّ ثقافته الأدبية قد أثَّرت عليه كثيرا، وقد ابتعد المسعودي عن النواحي السياسية كثيراً، كما أنَّ المسعودي اهتم بالنواحي الأدبية أكثر من الطبري؛ فقد ذكر المسعودي عددا كبيرا من المؤلفين وكتبهم، وأعطى نبذة عن كل واحد منهم، كما اهتم كثيرا بالعلماء فكان يذكر سنيّ وفاتهم. وقد أورد المسعودي مواقف أدبية ومناظرات شعرية دون ربط ذلك بأحداث تاريخية، وذلك لأَنَّهُ أديب ميَّال إلى الأدب. وقد أورد شعرا كثيرا لعدد كبير من الشعراء وكأَنَّهُ مولع بالشعر، وكان يخرج عن الموضوع الذي يتحدث عنه، فأثناء حديثه عن علاقة أبي العتاهية بالمهدي خرج عن الموضوع، وأَخذ يتحدث عن أبي العتاهية ومحبوبته عتبة. وأورد عدة صفحات من الشعر الذي قاله أبو العتاهية بها. في حين اهتم الطبري بالنواحي السياسية وركَّز عليها.

وقد استشهد الطبري والمسعودي بشعر للجن، واستشهد المسعودي بشعر قيل على لسان الحمير، كما أنّ المسعودي ذكر كثيرا من شعر الزُّهد، واستشهد أكثر من الطبري بنصوص في مجال الغزل.

ومن أهم الملاحظات على الشعر في تاريخ الطبري، أَنّ الطبري كان يستشهد على الأحداث بعدد كبير من الأبيات من القصائد أو بالقصيدة كاملة، مع أَنَّهُ استشهد في بعض المواطن بعدد قليل من الأبيات. في حين أَنّ المسعودي كان يستشهد على الأحداث بعدد قليل من الأبيات مع أنّهُ استشهد في بعض المواطن بعدد كبير منها، أَمَّا

الكندي فكان غالبا ما يستشهد بمقطوعات شعرية على الأحداث تراوحت بين الطول والقصر، وقد اختار المؤرخون من الشعر ما يناسب الغرض أو الحدث الذي يتحدثون عنه، وما رآه كل منهم متفقا مع ذوقه واختياره.

وقد كان استشهاد الطبري على الأحداث والأغراض الشعرية شاملا، وبذلك انعكست ثقافة الطبري الشاملة والموسوعية على اختياره للشعر، أَمّا المسعودي فقد كان استشهاده على الصراع بين العباسيين والشيعة، وفي رثاء آل البيت شاملا، وقد أَثَرت ميُولُه الشيعية وحب آل البيت على اختياره للشعر، واهتمامه بالشعر الذي يخصهم. ولم يعبأ بالشعر الذي تحدث عن الموالي أو الخوارج أو حتى الحروب الخارجية، كما أَنَّ المسعودي أورد كثيرا من المناظرات الأدبية والحكايات والأشعار دون ربط ذلك بالأحداث بفضل ثقافته الأدبية. أَمَّا الكندي، فقد واكب الشعر عنده الأحداث التاريخية والأغراض الشعرية»، وقد أثر تحديد موضوع كتابه ولاة مصر على الشعر الذي استشهد به. وبذلك أَثَّرت ثقافة وشخصية كل من المؤرخين الثلاثة على اختيارهم للشعر.

الفصل الرابع: وخصصته للدراسة الفنية، وقسَّمتها إلى قسمين: قسمٌ لدراسة الخيال والصورة، وقسم لدراسة اللُّغة والأُسلوب.

فقد بدأت الفصل بالحديث عن الخيال والصورة الشعرية، فعرَّفْتُ الخيال، وذكرت وظائفه ومصادره وأنواعه. واتضح أَنّ الخيال في الشعر العربي عامة يقوم على كاهل بعض الفنون البلاغية، وفي مقدمتها التشبيه والاستعارة بأقسامهما المختلفة. وتبين أَنّ أجمل الصور وأحسنها ما اعتمد على التشخيص، وقد كثرت في أشعار العباسيين الصور المنتزعة من العالم المحسوس، وقلّت في أشعارهم الصور المعنوية التي تخرج عن دائرة الحس إلى دائرة المعنى. وكان معظم هذه الصور معتمدا على

التشبيه أكثر من الاستعارة. وقد كان للطبري المؤرخ أثر كبير في تحديد نوعية الصور في الشعر العباسي في تاريخ الطبري. فهو لم يهتم بالشعر إلّا للتدليل على الأحداث، ولأنَّه كان يختار جزءا من القصيدة ليمثل على حادثة، ولم يثبت القصيدة كاملة التي تحوي صورا فنية جميلة لا تخفى على الدراسين. كما لاحظت عدم وجود مظاهر حضارية أو صور غريبة أو صور مركزة عميقة وشاملة في الصور الشعرية في الشعر العباسي في تاريخ الطبري، على الرغم من كثرة مثل هذه الصور في الشعر العباسي بشكل عام.

ثم انتقلت إلى اللغة، ففي اللغة اتضح أنّ الشعراء وقعوا في ازدواج لغوي، فقسم منهم كانوا يفزعون إلى المعجم اللغوي القديم يتخيرون ألفاظهم إرضاءً للتيار المحافظ وتمشيا معه، وقسم آخر نبذ المعجم القديم، وجاء بلغة سهلة وألفاظ عذبة منتقاة، وظهر الاتجاه إلى الشعبية والقرب من لغة الحياة اليومية عند كثير من الشعراء، ومما يتصل بشعبية اللغة ما وجد من ميل بعض الشعراء إلى استعمال الأمثال، واستعمال بعض ألفاظ التذلل مثل: عبد، سيّد، ومنها استعمال الكلمات الدخيلة.

وختمت الفصل بالحديث عن الأُسلوب، فقد سلك فيه الشعراء مسلكين: قسم سلك منهج القدماء وسار على نسيجهم القديم، وقسم آخر تخلص من النسيج القديم وجاء بأسلوب أخف وأرشق، ومن هنا نشأ ما عرف بالأُسلوب المولّد، وشاع في أسلوب الشعراء البديع شيوعا كبيرا، فمن الجناس التام والناقص إلى الطباق إلى ما يسمى ردَّ العجز على الصدر، والتورية والمشاكلة والترادف والتقسيم والمبالغة، والأُسلوب القصصي والحوار، والاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف وتضمين الشعر لبعض الألفاظ الإسلامية.

وبهذا أَكونُ قد أَتيت على نهاية هذا العرض الموجز لفصول هذه الدراسة ونتائجها، فإِنْ حققت أهدافها فهو ما قصدت إليه وعملت من أَجله، وإِلاّ فعذري أَنَّنَي طالب علم يخطئ ويصيب، وما الكمال إلا لله وحده. وفوق كل ذي علم عليم.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.**

- **المصادر المطبوعة:**

1. أخبار الدولة العباسية، لمؤلف مجهول من القرن الثالث للهجرة، تحقيق عبد العزيز الدوري وعبدالجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت، لبنان 1971م.
2. كتاب الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، لأبي الخير شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السَّخاوي (902هـ)، ونُشر ضمن كتاب «علم التاريخ عند المسلمين»، لروزنثال تعريب أ. د. صالح أحمد العلي، مراجعة أ- محمد توفيق حسين، مط المثنى، بغداد، 1383هـ/ 1963م.
3. الأغاني، لأبي الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم القرشي الأصفهاني (ت356هـ)، طبعة دار الكتب، طبعة الساسي، طبعة بيروت، وطبعة دار الشعب طبعة بولاق.
4. البديع: عبدالله بن المعتز، تحقيق كراتشكوفسكي، دمشق، مطبعة دار الحكمة.
5. البيان والتبيين للجاحظ أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب (ت 255هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1368هـ-1949م.
6. تاريخ بغداد، أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، (ت463هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

7. تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط4.
8. تذكرة الحفّاظ للذهبي، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، 1375هـ 1377هـ، 1955- 1957م، وطبعة دار إحياء التراث العربي، القاهرة.
9. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، للإمام الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي بن عبدالله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (ت 656هـ)، تحقيق: مصطفى محمد عمارة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
10. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوبن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي أبو الفداء عماد الدين (ت 774 هـ)، دار الخير، بيروت، لبنان.
11. ديوان إبراهيم بن العباسي الصولي (ت 247هـ)، ضمن مجموعة الطرائف الأدبية للميمني، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ودار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
12. ديوان البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد (ت 284هـ)، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف.
13. ديوان بشار بن برد بن يرجوخ (ت 168هـ)، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
14. ديوان أبي تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت 231هـ)، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، ط دار المعارف، القاهرة.
15. ديوان الحماسة لأبي تمام، بشرح التبريزي (ت 502هـ)، مكتبة النوري، دمشق.

16. ديوان دعبل بن علي الخزاعي (ت 257هـ)، جمع وتقديم وتحقيق: عبد الصاحب عمران الدّجيلي، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، ط 21، 1972م.
17. ديوان أبي دلامة الأسدي، تحقيق: رشدي علي حسن، مؤسسة الرسالة، دار عمار، ط1، 1985م.
18. ديوان ابن الرومي، علي بن العباس بن جريج (ت 284هـ)، تحقيق: د. حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981م.
19. ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره، صنعه عبدالله الجبوري، المكتب الإسلامي، ط1، 1404هـ/ 1984م.
20. ديوان أبي العتاهية، أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العتري بالولاء (ت 213هـ)، مطبعة جامعة دمشق، 1384هـ/ 1965م، تحقيق: شكري فيصل، وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1405هـ/ 1985.
21. ديوان علي بن الجهم (ت 249هـ)، تحقيق: خليل مردم بك، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1895هـ/ 1951م.
22. ديوان أبي نواس، الحسن بن هانئ (ت 197هـ)، تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
23. شعر مروان بن أبي حفصة، جمع وتحقيق: د. حسين عطوان، دار المعارف، ط3، 1982م.
24. شعر منصور النَّمري، جمع وتحقيق: الطّيب العشّاش، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دار المعارف للطباعة، دمشق، 1401هـ/ 1981م.
25. الشعر والشعراء، لابن قتيبة أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت 276هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف.

26. طبقات الشعراء، لعبدالله بن المعتز (ت 296هـ)، تحقيق عبدالستار فراج، دار المعارف، سنة 1956م.
27. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ابن الطقطقي محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقيي(ت 709هـ)، المكتبة التجارية، القاهرة 1346هـ/ 1927م.
28. الفهرست لابن النديم، أبو الفرج، محمد بن إسحاق بن يعقوب (ت 385هـ) مطبعة الرحمانية، القاهرة 1348هـ، تحقيق رضا تجدد مط دانشكاه، طهران، 1391هـ/ 1971م.
29. مجالس ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 291هـ)، طبعة دار المعارف.
30. مجمع الأمثال للميداني. أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت 518هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد مطبعة السنة المحمدية- 1955م.
31. مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت 346هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مط السعادة، القاهرة، 1958- والمكتبة الإسلامية، بدون، وطبعة دار الأندلس.
32. مقدمة ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد (ت 808هـ)، دار الشعب، القاهرة، 1386هـ/ 1966م.
33. معجم الأدباء، لأبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الروصي (ت 626هـ)، مط دار المأمون، القاهرة، 1355هـ/ 1936م.

34. الوسيط في الأمثال، للواحدي علي بن أحمد بن علي بن متوية، أبو الحسن الواحدي (ت 468هـ)، تحقيق: د. عفيف عبدالرحمن أبو الهيجاء، دار الأندلس، 1986م.
35. وفيات الاعيان، لابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعي (ت671هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، مط السعادة، القاهرة، 1367هـ/ 1947م.
36. ولاة مصر، محمد بن يوسف الكندي (ت 350هـ)، دار صادر، تحقيق د. حسين نصار.

- **المراجع:**

1. اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هدارة، دار المعارف بمصر، ط2- 1970م.
2. اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، د. يوسف بكار، دار الأندلس، ط2، 1401هـ/ 1981م.
3. الأصول الفنية للأدب، عبد الحميد حسن، مطبعة العلوم بالقاهرة، ط1، 1964م.
4. أصول النقد الأدبي، د. أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط8، سنة 1973م.
5. بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، د. عبد العزيز الدوري، بيروت، دار المشرق، 1983م.
6. بعض مؤرخي الإسلام، على أدهم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1974م بيروت، لبنان.
7. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د. حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، ط9، 1979م.

8. تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، د. نجيب البهبيتي، دار الفكر، مكتبة الخانجي.
9. التاريخ والمؤرخون العرب، د. السيد عبدالعزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، 1987م.
10. التطوير والتجديد في الشعر الأموي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1959م.
11. الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، د. أحمد كمال زكي، دار المعارف بمصر، 1971م.
12. حياة الشعر في الكوفة، د. يوسف خليف، دار العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م.
13. دراسة في مصادر الأدب، د. الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط6، 1986م.
14. رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، د. مصطفى الشكعة، عالم الكتب بيروت، 1979م.
15. شعر الصراع مع الروم في ضوء التاريخ، العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع، د. نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، ط1- 1397هـ/ 1977م.
16. الشعر في الحاضرة العباسية، د. وديعة نجم، شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، ط1، 1977م.
17. الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي، د. عفيف عبدالرحمن أبو الهجاء، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1404هـ/ 1984م.
18. الشعر والتاريخ، د. نوري القيسي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1401هـ/ 1980م.

19. ضحى الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8، 1372هـ/ 1972م.
20. الطبري، د. أحمد الحوفي، أعلام العرب 13، مطبعة مصر، القاهرة، 1382هـ/ 1963م.
21. الطبري السيرة والتاريخ، د. عبدالرحمن حسين العزَّاوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989م.
22. الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط10.
23. في الأدب العباسي، د. عز الدين إسماعيل، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر، بيروت، 1975م.
24. في النقد الأدبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر.
25. مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، د. سيّدة كاشف، القاهرة، 1960م.
26. المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي في العصر الأول، د. عزيز فهمي، تحقيق محمد قنديل البقلي، دار المعارف.
27. مناهج التأليف عند العلماء العرب، قسم الأدب، د. مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1974م.
28. النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، مطبعة دار نهضة مصر، الفجالة.

- **المراجع المعربة:**

1. الألفاظ الفارسية المعربَّة، أدي شير، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م.
2. دائرة المعارف الإسلامية، تعريب أحمد الشنتناوي وآخرين، ط القاهرة، 1352هـ/ 1923م، وط دار الشعب، القاهرة، 1389هـ/ 1969م.
3. العربية، تأليف يوهان فك، ترجمة عبد الحليم النجار، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، 1951م.
4. علم التاريخ عند المسلمين، فرانز روزنثال، تعريب: أ. د. صالح أحمد العلي، مراجعة: أحمد توفيق حسين، مط المثنى بغداد، 1383هـ/ 1963م.

- **المجلات:**

1. مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد:
- موارد تاريخ الطبري، أ. د. جواد علي، مط التفيض، بغداد، ذو القعدة 1369هـ/ أيلول 1950م، السنة الأولى، الجزء الأول، ص 143- 231.
- موارد تاريخ الطبري، أ. د. جواد علي، مط التفيض، بغداد، 1371هـ/ 1951م، السنة الأولى، الجزء الثاني، ص 135 - 190.
- موارد تاريخ الطبري، أ. د. جواد علي، الجزء الأول، المجلد 3، 1373هـ/ 1854م، ص 16-56.
- موارد تاريخ الطبري، أ. د. جواد علي، مط المجمع العلمي العراقي 1381هـ/ 1961م، المجلد 8، ص 425- 439.

فهرس المحتويات

شكر وتقدير 9

المقدمة 11

الفصل الأول

مواكبة الشعر العباسي للأحداث

الثورة العباسية 23

الصراع بين العباسيين وبقايا الأمويين 29

الصراع بين العباسيين والشيعة 34

الصراع بين العباسيين والموالي 48

الصراع بين العباسيين والخوارج 53

الزندقة 57

الفتن والثورات والحروب الداخلية 59

السياسة 73

الصراع بين العباسيين والروم (الحروب الخارجية) 80

الفصل الثاني

مصادر الشعر العباسي في تاريخ الطبري

الرواية والرواة 99

مصادر الشعر 106
كتب السير والمغازي والتاريخ 106
كتب التفسير 108
كتب الأنساب..... 110
دواوين الشعراء المفردة 110
دواوين حماسية..... 111
كتب النحو، وكتب اللغة، وكتب الأدب، وكتب التراجم والطبقات 112

الفصل الثالث

دراسة مقارنة في منهج الاستشهاد بالشعر عند الطبري والمسعودي والكندي

المنهج..... 120
مواطن الاتفاق 121
مواطن الاختلاف 126
مواكبة الشعر للأحداث والأغراض الشعرية عند الكندي..... 133
مواكبة الشعر للأحداث عند الكندي 133
مواكبة الشعر للأغراض الشعرية عند الكندي 134
المدح 135
الهجاء 135
الرثاء..... 135
الوصف 135

مواطن الاتفاق في الاستشهاد بالشعر عند الطبري والكندي 136
مواكبة الشعر للأحداث عند الطبري والمسعودي 137
مواطن الاتفاق في الاستشهاد بالشعر 137
الثورة العباسية 137
مواطن الاختلاف في الاستشهاد بالشعر، وتميز كل منهما عن الآخر 143
الأغراض الشعرية 165
مواطن الاتفاق في الاستشهاد بالشعر 165
مواطن الاختلاف في الاستشهاد بالشعر، وتميز كل منهما عن الآخر 169
شخصية كل مؤرخ وأثرها على اختياره للشعر 189

الفصل الرابع

الـــدراســـة الفنيـــة

دراسة في الخيال والصورة 201
ما هو الخيال؟ 201
وظيفة الخيال ومصادره وأنواعه 202
التشبيه 204
صورة الخليفة وولي العهد 204
صورة الولاة والقادة 206
صورة الرجال، وصورة الناس والكعبة 208
صورة المحب والمحبوبة 208
صورة الحصان 210

صورة المدن 210
صورة السيف والراية 211
صورة الشيب 212
صورة الخمر 212
التشبيه المعكوس (الطَّرْد) 212
التشبيه التمثيلي 213
التشبيه الضمني 213
التجسيم 214
الاستعارة 214
اللغة والأسلوب 222
اللغة 222
لغة الشعر وتطورها 220
مقدمات القصائد 225
الاتجاه إلى الشعبية 230
استعمال الأمثال 241
الألفاظ الدخيلة 244
الفلسفة والتدليل المنطقي 246
الأسلوب 251
الجناس 250
الطباق 255
رد العجز على الصدر 257

المشاكلة 258
التورية 258
الترادف والتقسيم 259
المبالغة 260
الأسلوب القصصي والحوار 260
الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف 261
الألفاظ الإسلامية 270

الخاتمة 275
المصادر والمراجع 287